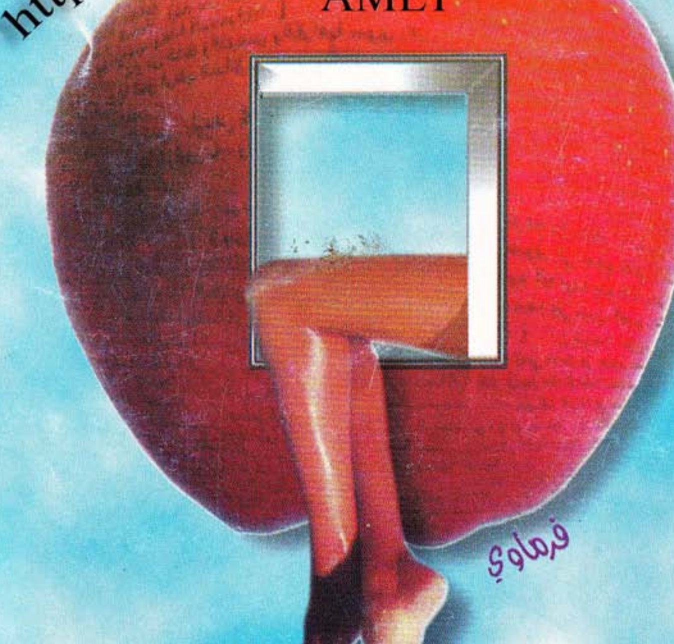
كتاب الجمهورية



أسامة أنور عكاشة



رواية

منخفض الهند الموسمي

كتاب الجمهورية

رئيس مجلس الإدارة

ورئيس التحرير

سمير رجب

رئيس التحرير التنفيذى

د. فتحى عبدالفتاح

مايو ٢٠٠٠

كتاب الجمهورية



أسامة انور عكاشة

رقم الايداع ٧٩٠٩ / ٢٠٠٠
الترقيم الدولى ISBN ٩٧٧ - ٢٣٦ - ٢٨٧ - ٢

هذه الرواية

ذات مساء من شتاء هذا العام.. أغلب الظن فى أواخر يناير ٢٠٠٠ اتصل بى هاتفياً الصحفى والكاتب الشاب «يسرى السيد» المحرر بصحيفة الجمهورية (العدد الأسبوعى) وسألنى فيما بدالى ساعتها مناقشة صحفية معتادة عن أعمالى الدرامية بالتليفزيون.. ولا أذكر كيف تطرق بنا الحديث إلى تساؤل منه عما إذا كان الحنين لايراودنى إلى زيارة أرض الوطن الأول.. أرض الأدب المقروء...

يعرف يسرى كما يعرف كثيرون غيره أننى ظللت على مدى ستة عشر عاماً منذ أول الستينيات وحتى ثلث السبعينيات الأخير اكتب القصة.. وكنت واحداً من المتعبدين فى محراب الأدب المقروء.. حتى هاجرت إلى أرض الدراما والأدب المرئى... فسؤاله إذاً يلامس عصباً حساساً فى أعماقى... لأنه يشير إلى الحب الأول... وأجبته حين سأل بأننى أتمنى أن افرغ لكتابة رواية يتقلب موضوعها كالجنين

فى رحم أفكارى منذ سنوات تكاد تبلغ عقداً كاملاً.. وأننى فى شتاء كل عام اتعهد امام نفسى بأننى سأخصص «الصيف القادم» لكتابة الرواية ــ ولن اكتب فيه للتليفزيون.. وينتهى الشتاء ويدبر بعده الصيف وأنا أدور فى طاحونة الارتباطات والتعاقدات والالتزامات التليفزيونية حتى بدأ التفكير فى كتابة الرواية وكأنه انشغال بالسراب...

ولم يتركنى يسرى.. فعاجلنى بسؤال آخر عن إمكانية أن اكتب ولو فصلاً أول فى تلك الرواية ينشر فى الملحق الأسبوعى.. فربما استطاع أن يربطنى بالتزام تجاه قارئ الجريدة ويدفعنى لمواصلة الكتابة...

وقلت له: ربما... سأفكر...

أدرك يسرى بذكاء شديد أن اجابتى تمهد للهروب ولكنها تشير فى الوقت ذاته إلى رغبة حقيقية فى خوض التجربة... والمسألة تحتاج إلى دفعة... تدفعنى إلى البحر ثم تتركنى لأعوم... أو...

وأفاجأ بعد ذلك بيومين بخبر يتصدر عدد الجمهورية الأسبوعى ينهى إلى القراء خبر رواية اكتبها خصيصاً للصحيفة وتنشر حلقاتها أسبوعياً وذلك بدءً من «العدد القادم»... وأسقط فى يدى...

ووجدتنى أردد عبارة طارق بن زياد... العدو أمامكم والبحر من خلفكم فأين المفر؟..

سبق السيف العزل ولابد من قبول التحدى...

لم يكن التحدى أن أثبت للآخرين شيئاً...

ولم يكن أن أفى بالتزام ورطنى فيه يسرى السيد أمام قراء الجمهورية...

... كان التحدى الحقيقى أن أثبت لنفسى قبل غيرى أن قلمى الذى

ابتعد عـشرين عاماً عن القصة والنص الروائى لم يعـقم ولـم يغترب وأنه مازال قـادراً على أن يخوض بى تجربة مـغامرة روائيـة احلم بها منذ سنوات...

وكتبت الرواية...

كسبت السباق الزمنى... أمـا عن التحدى فللآن لا أعرف... تجربتى خـرجت من أعـماقى وأصـبـحت ملكاً للمـتلقى والناقـد... وهمـا وحدهما يستطيعان أن يصدرا الحكم...

... والآن...

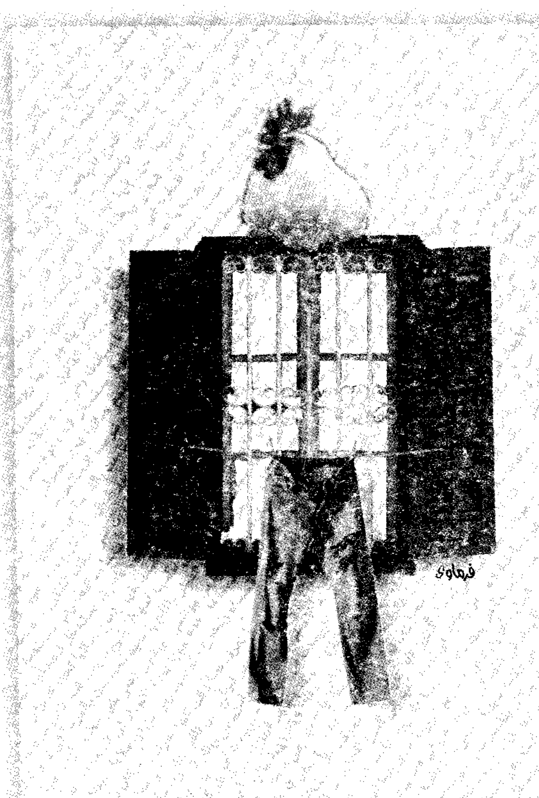
إذا كـان فى هذه الروايـة مـايمكن أن يوضع فى خـانـة الايجـابيـات فالفضل فيه يرجع إلى جسارة يسرى السيد ومبادرة «الجمهورية»...

وانا مـدين بالكـثيـر لكل من آزرنى واسـهم بجـهـد مـعى فى هذه الرواية.. وعلى رأسـهم من تصدى لنشرها وتحـمس لاخراجـها فى هذا الكتاب الأستاذ سميـر رجب الذى ألبس الجمهورية رداء جديدا من التطوير والتـقدم وجـعلها فى مقـدمة المؤسـسات الصـحفـية فى مصر.

شكراً ليـسرى السـيد... وللفنان الجـميل «الفـرماوى»... وللأسـتاذ الشرقاوى... وللجميع محبتى.

أسامة أنور عكاشة

القاهرة ـ ابريل ٢٠٠٠



[١] حماده غزلان



فجـــر مخنـــوق

ــ الدنيا عرقانه..

جهـاز التكييف تعطل فى أول الليل ولم يؤد فـتح الشبابيك والشـرفة وباب الشقة المواجه لهم إلى أى نتيجة..

والمروحـــة تجلب هواءاً سـاخـنا كـأنهـــا وضـعت على بـاب جنهم!

وقطرات العرق تجمعت وصنعت على المـرتبة القطن دائرة مبللة تذكر بأيام الطفولة حتى لكأنــها استدعت معهـا رائحة «الصنان».. والمخدة ابتلت هى الأخـــرى من وجـهـيـهـا ولم تفلح الـفـوطة المفـرودة فى امتصاص العرق أو ترطيب الجلد.. الفراش كله مزروع بالأشواك.

ومن النافذة المطلة علـى الجامع ومئذنتـه المطلية باللون الأصفـر كانت الزرقة الباهتـة للفجر تتحول إلى لون كـالح لا إسم له إلا أن نشتق له إسماً من «الغبار» المعلق أو «الضوء» المخنوق ــ أصوات الشارع التى تعلو بالـتـدريج تشـيـر إلى صـبـاح وشـيك.. ولا أمـل فى لحظة نوم أخرى.. اللحظة التى حدثت هى انفجارة شاهندة..

ــ أموت بالتدريج ياسيـد.. الحّر يقتلنى بالأسلوب البطىء.. فكر فى

حل أو دعنى اسافر لماما فى مراقيا! حرام عليك.
.. وكانت الشمس قد اندلعت.. وأدارت شاهندة مفتاح التليفزيون ليظهر مذيع مبتسم.. متصالح مع كل الأشياء.. يتحدث فى برنامج صباحى مبكر..
ـ من مصلحة الأرصاد الجوية معنا الأستاذ.. يحدثنا عن تكرر الموجات الحارة الرطبة هذا الصيف..
يقول الرجل بأسلوب تقريرى جاف..
السبب هو منخفض الهند الموسمى.. وهو عبارة عن رياح ساخنة تهب من صحراء شبه الجزيرة العربية وتعبر البحر الأحمر فيحملها برطوبة شديدة هى التى تسبب هذا الارتفاع الملحوظ فى درجة الحرارة مصحوباً بازدياد كبير فى نسبة الرطوبة.. ودرجة الحرارة اليوم فى القاهرة فوق معدلاتها بالنسبة لهذا الوقت من السنة وقد تصل الى الأربعين درجة مئوية ومما يزيد من وطأة الإحساس بالحر ارتفاع نسبة الرطوبة الى حدها الأقصى.. وينتظر أن تستمر الموجة الحالية إلى نهاية الاسبوع..
ـ ونحن فى بدايته.. بشرة خير.. أسافر؟
ـ سافرى..
ونهض ليرد على التليفون!..

مونولوج خارجى

يقول حمادة غزلان أن الليلة كانت شديدة الحرارة..
ـ موت ياباشا.. موت!.. ظللنا ساهرين للفجر أمام التليفزيون.. فيلم فيديو تفرجنا عليه أنا واصحابى.. وضعنا الجهاز على الرصيف أمام المكتب.. وسهرنا لاندرى شيئاً خارج «القعدة».. كان الحر

«لامؤاخذة» كابس على أنفاسنا ولاتوجد نسمة واحدة ولا أكسوجين فى الجو.. لم نر أحداً لأن المكتب فى ظهر العمارة.. والشارع ضيق من الجهة القبلية.. هو ليس شارعاً فى الحقيقة! تستطيع أن تعتبره ممر بين عمارتين يستخدم غالباً كموقف انتظار.. أما الشارع الكبير ففى «قفانا» عند المدخل الرئيسى.. دوشة ووجع دماغ وناس داخله وناس خارجه.. لذا رفضت أن افتح مكتبى هناك.. ففضلت المدخل الخلفى.. هادىء وبعيد عن العيون وجنب الرصيف شبرين أو ثلاث خضرة نعتبرهم تجاوزا «جنينه»... كما أن «المسقط» بين العمارات يعتبر «مصيدة» هواء معتبرة.. ومع ذلك فلا يوجد هواء أصلاً كى يفلح أى شىء فى اصطياده.. الطقس فى البلد دى جرى له شىء لاأعرفه.. زمان.. فى الصيف كان الحر فى النهار وبمجرد غروب الشمس ومقدم الليل تصبح «مصر» جنة.. تصدق ياباشا.. كنا نخرج الى النيل أمام ساحل روض الفرج ونتمشى ونلعب.. وبعد منتصف الليل نحس بالبرد.. لكن السنين الأخيرة زحفت بالحر على اليوم كله.. لافرق بين نهار وليل.. الرطوبة مثلاً.. لم نكن نحس بها إلا فى أغسطس مع زنقة «النيل» ووصول مياه الفيضان الحمراء ويطلع لنا «حمو النيل» ونعالجه «بالردة» وقشر البطيخ!... كنت أكره أغسطس أيضا لأنه شهر «الباذنجان».. يسيطر على كل البيوت.. فتشم فيها كلها رائحة الباذنجان المقلى! حر ورطوبة وباذنجان.. ورزق شحيح.. كان زمن «فقرى» رغم اعتدال الجو.. ونسمات الليل الحنونة.

أمس كنت فى بيت «العيال» فى شارع الصناديلى فى الجيزة.. واجهته غربى قبلى وجدرانه وسقفه يختزنان النار.. كنت أريد قضاء

حاجتى حين هاجمنى «المغص» وانا تحت نفق الهرم.. اضطررت للتوقف عند «إجلال» رغم كرهى لها.. وحين خرجت من الحمام قالت بلهجة مسمومة : شفيتم يابوسمير.. كتر خير خراك اللى فكرك بنا! وبما إنى اتحاشى الاشتباك معها فى معظم الأحوال فقد تشاغلت بتعليق عن الجوّ «الزبالة».. فرد علىّ سمير بأن السبب هو «الأوزون» وراح يشرح لى ماسمعه من قبل فى برنامج تليفزيونى ولم أفهمه.. لأنى اعتقد مليون بالمايه أن السبب هو «غضب ربنا»..
نعم ياباشا.. ربنا غضبان علينا لأننا لم نعد نحب بعضنا.. وأصبح الواحد منا ينظر للآخر بنظرة فيها حقد أو حسد أو غيره! مع إن الرزق زاد ويكفى الجميع.. والبلد أصبحت اليوم «بتشغى».. النمل كثير.. ولاتضحك.. فالنمل دليل الخير.. كانت أمى رحمها الله تردد دائماً أن البيت الذى يسرح فيه النمل.. بيت عامر بالخير والبركات.. وكانت تمنعنا من قتل النمل.. والنمل الذى يملأ «مصر» اليوم يتغذى على الرواج الذى يأتى مع الحمام.. أى حمام؟ كأنك لاتفهمنى!.. الحمام الابيض الذى تحط أسرابه كل صيف على البلد.. نهايته ياباشا.. الرطوبة والحر والعرق على عيننا وراسنا مادامت الأحول «عال» والأشيا «معدن»... أقول لك حكمة؟..
ربنا سبحانه وتعالى إذا امتحن الناس بالجو السيىء.. لابد أن يعوضهم عنه بالرزق الواسع! ولكنه لايحب الحقود ولا الحسود ويحرمه من نعمته فلا يبقى له إلا الحر فى الصيف والبرد فى الشتاء مع الفقر وقلة «الشيىء»!..
ــ الدنيا حرّ موت... والتكييف عطلان!

انفجر صوت بالداخل.. انثوى دسم.. تبعته بعد قليل صاحبته..
ــ اقـدم لك ياباشا.. «نوسـه».. آخر بـختى!... وقـدم السعـد علىّ وعلى أهلى!
تتحـرك نوسه فى أرجـاء المكان بقمـيص نوم داخلى فاضح يحـتوى جـسـداً لـه ذلك الجـمـال الوقـح والجـارح الذى لايـراعى أى من مسلمات الخجل أو التظاهر به.. (جملة اعتـراضية خارج السياق).. ويواصل حمادة.
سنة سـته وسـبعـون كانت سنة الفـتح العظيم!.. يوم فى أول شـهر سبعـة كنت أمام المطار في السيارة الأجرة «البـادج» حين التقيت بابو «سامـر» لأول مرة!.. قال لى انت سواق «عـفريت»! وطلب منى ان اعمل له طوال فـترة وجوده ولأن محـسوبك يشم الفرصـة على بعد عشـرين كيلو فـقد «لبدت» فى عـبه! ولازمـته كظله.. وجـعلته فى احتياج دائم لوجودى معـه.. وفى آخر الاجازة عرض علىّ أن أسافر معه وأواصل خدمتى له هناك فى بلده!...
... فى بلده الحـر أقسى وأشـد ولكن.. مع النَفَس تستنشق «رائـحة» الفلوس! البلد كلها رائحتها «فلوس».. وأينما مددت يدك فستغرف منها كـما تريد بشرط أن تتصـرف وفقا لمبدأ «الرزق يحب الخـفية».. فتلك هى الشطارة الحقيقية... وكنت أنا أخف من «الريشة» ولـم تعد مسـئوليتـى منحصرة فى قـيادة سيـارة الأسرة وتوصـيل أفرادها الى المدارس والأسواق ومساكن الأهل والأصحـاب.. بل لم أعد سائقاً من أصله.. فـأبوسامر يـعتبـرنى سرّه وظله... ورَجُله!.. هـل تعرف مثلا أننى صرت خـلال سنة واحدة هناك أهم من سكرتيره الخاص..

وأقرب من مدير شركته التجارية الكبيرة التى لها هناك شنه ورنة فى السوق؟.. بطرف عينى لمحت أن «سامر» هو أقرب الطرق لقلب أبيه.. وبطرف عينى الأخرى لمحت أن الولد المراهق يعانى من تعنت «الأم» ومحاولتها الدائمة لفرض وصايتها عليه.. فأدركت أن هناك «مهمة» تائهة تنتظر من يؤديها.. وفرصة تلمع كما ومضة البرق و«الشاطر» من ينتبه اليها.. وأنا اعتبر نفسى «شاطر».. وبسرعة مددت يدى.. ثم رأسى.. ثم صدرى..

أصبح «سامر» فى حضنى.. و«أبوسامر» خاتما فى أصبعى!..

لو رمتك الظروف مرة أخرى ياباشا على محسوبك سأروى لك كل شىء بالتفصيل لا لشىء.. إلا لتعرف أن الإنسان يصنع بيده سعده وشقاه وأنه يستطيع أن يكون كما يريد!.. انظر لنوسه مثلاً.. مارأيك فيها؟ دعك من الجمال والحلاوة.. هل تعرف أنها تحمل بكالوريوس هندسة؟.. هاهى الشهادة معلقة فى البرواز الذى يعلو رأس سعادتك.. هى زوجتى الثالثة.. الأولى إجلال أم «العيال».. لاتزال فى عصمتى لاجل خاطر «سمير» واخواته.. أما هناء فقد تزوجتها وأنا فى الخليج ورفضت العودة معى حين قررت أن أعود فطلقتها.. لم أنجب منها لأنى اكتشفت بعد الزواج أنها استأصلت الرحم.. رغم أنها لم تكن كبيرة.. ماعلينا.. «يخرب بيت الحر».. وأجهزة التكييف هنا ضعيفة ولابد أن نغيرها!.. انت أيضا تعانى من الجو.. لاعليك..

الحر إذا عاشرته ستجده نعمة.. دائماً يأتى بالخير.. وها أنت سمعتنى ألعنه ولكنى فى الوقت نفسه أحبه.. بيننا عشرة لاتهون إلا على أولاد الحرام!

مرة أصرّ أبوسامر أن يصحبنى معه فى رحلته الصيفية إلى لندن! تصدق أننا عشنا فيها أسبوعاً من الحر الفظيع؟... لم أصدق نفسى.. وأخذت عهداً بأن اكشف الحقيقة للجميع.. خصوصاً الذين يظنون أن الحر موجود فى الخليج فقط.
والآن.. ماذا تريد أن تعرف عن الليلة الماضية؟.. لحظة.. قبل أن ترد.. تشرب شاي أم قهوة؟.. عندنا بن من هناك.. لامثيل له..

صورة شخصية

أحمد ربيع عبدالحى.. وشهرته حمادة غُزلان! صاحب ومدير مكتب «لؤلؤة الخليج للعقارات والخدمات السياحية».. ومكانه بالدور الأرضى للعمارة رقم تسعة شارع السليمانية بحى المهندسين.. وسكنه بالعمارة رقم اثنان وثلاثون بشارع شهاب.. عمره خمس وخمسون عاماً... أصله من أسرة فقيرة بروض الفرج شمال القاهرة.. الماضى غامض إلا مايرويه عن نفسه فى شذرات وحكايات متفرقة تختلف وتتناقض وفقاً لحالته «المزاجية» وضعية من يروى له! لايعرف أحد على وجه الدقة أصل اشتهاره باسم «حمادة غزلان»... اللقب بالتحديد.. لإن الإسم هو فى أغلب الظن تدليل «أحمد»... وهو يقول أن «غزلان» كانت لفظ مداعبة ناداه به أصدقاء ولى نعمته فى القطر الذى سافر ليعمل به ويكون منه «الخميرة» التى أسست نشاطه «التجارى» حالياً..
... وهو أسمر.. نحيل... هضيم الوجه.. «قلّه» بالتعبير الدارج.. (تقتحمه العين.. بالعربية الفصحى).. أهم مايميزه فى الشكل طابع «حسن» فى ذقنه لايعطيه أى «ملاحة».. ونظرة تائهة تلمع أحيانا

وتنطفىء أحيانا تحت جفنين ثقيلين.. ثم ذلك الرأس الغريب.. منسحق عند الجبهة.. منبعج قليلا للخلف.. أصلع تماما إذا رأيته بعد أن يخلع «الباروكة».. خيل إليك أنه رأس لم تنبت به شعرة يوماً ما.. (هناك صور قديمة عثر عليها فى بيت أسرته وقد ظهر فيها بشعر أكرت كثيف يكاد يلتصق بحاجبيه.. مما يدعو للشك فى أن صلعه جاء نتيجة لمرض ألم به) وحمادة لايطيق أن يمازحه أحد بذكر الصلعة أو الاقتراب من الباروكة.. وقد ضرب أحد أصدقائه مرة بمنفضة سجائر من البللور الثقيل فشج رأسه وتسبب فى إجراء جراحة تربنه لمجرد أنه داعبه بخطف الباروكة من على رأسه.. وكانت حكاية!

يردد الرجل دائماً أن لأسرته جذوراً صعيدية تصل إلى قبيلة جهينة ذات الأصول العربية ويحكى أحيانا ــ خصوصا إذا تسلطن فى سهرة حشيش ــ رواية تراثية اسطورية عن جد بعيد له كان شيخاً لقبيلة يمنية وجاء إلى مصر ضمن جيش عمرو بن العاص ثم استقر بها.. وعين والياً على جرجا ومات هناك ومن نسله جاءت الأسرة التى انتقلت الى المحروسة فى عصر السلطان قلاوون.

يضحك «محسن العرايشى» أقرب أصدقاء حمادة الى قلبه إذا انتحيت به جانباً وسألته عن حقيقته حكايات الرجل فى مسألة النسب والأصول.

ــ ابن القحبة هذا لاأصل له ولافصل وكل أسرته عبارة عن أب «لومانجى» كان عاملاً فى مصبغة بدسوق، ودخل السجن فى جناية سرقة مواشى.. وأثناء وجوده فى السجن.. بالتحديد ــ يواصل محسن ــ بعد سنتين بالتمام والكمال ولدت زوجته طفلها الذى هو

السيد غزلان.. ونسبته الى الأب السجين الذى لم يعترض خاصة حين خرج من السجن فوجدها قد تزوجت عليه (دون ان تطلق منه) برهومة السخاوى.. والبحث المدقق لمن له صبر وروح.. يشير الى منطقية واتساق مايرويه العرايشى واتفاقه مع التواريخ المحتملة.. خصوصا وإن بداية تواجد الأسرة فى روض الفرج يتوافق مع تاريخ عودة برهومة السخاوى من غربته فى البرارى لورشة الحدادة التى يملكها فى السبتية ومعه زوجته خضرة شناوية التى اسكنها بروض الفرج وعرفت بعد ذلك كأم للولد احمد ربيع!

ولا أحد غير محسن العرايشى يعرف الكثير عن أصل «غزلان».. حتى الزوجة الأولى إجلال أم سمير والبنات والتي صحبته سنوات طويلة بصرف النظر عما حدث بينهما من انفصال فى المعاشرة ـ قطع وقطعت سيرته.. من يومه وهو كما هو.. كأنه نبات شيطانى.. فى الأول كنت اسأله فيجيب بأن برهومة السخاوى هو أبوه (أمال ربيع عبدالحى اللى بتتسمى به يكون مين؟) ألحيت عليه فى ليلة فسب لى الأهل والملة.. ورديت عليه وشتمت أمه فانهال علىّ ضربا حتي وقعت مقطوعة النفس وعملت محضر فى القسم!.. طول عمره لايطيق أن يذكر مخلوق أمه بسوء.. وكأنها خضرة الشريفة!

ماتت منذ ثلاث سنوات فقط ـ يروى محسن العرايشى ـ بعد أن تناولت فى وجبة العشاء جوزين من الحمام المحشى بخلطة الأرز والحشيش.

ـ كانت ـ ولايجوز عليها إلا الرحمة ـ تعشق الحشيش.. تنام على أنفاسه فى الفجر وتصحو على اصطباحته فى الظهر.. وبينهما تأكله

وتشربه حتى فجر اليوم التالى.. وأورثت حمادة حبه فى دمه فنشأ يعشق الاثنين.. أمه.. والحشيش!

أما إذا سألت حمادة عن معنى لقب أمه «شناوية» فهو لايعرف لأن السيدة خضرة لم تكن لها شهادة ميلاد.. ولا عثر فى أوراقها على قسيمة زواج أو طلاق.. لذا فالأرجح لدى من يعرف «عب» البرارى.. أن المرأة أحيانا تنسب لعائلتها.. ومن ثم تكون المرأة من أسرة «الشناوى» شناوية.. أو ربما انتسبت للبلد.. فإذا علمنا أن بلدها الأصلى.. هى تلك القرية المرمية فى حضن البرارى واسمها «شنو».. إذاً لكان هذا الاحتمال هو الأقرب!

... وللآن.. ورغم مرور سنوات ثلاث على رحيل الست خضرة فى هذا الحادث المأساوى.. يبكى حمادة منهنهاً كالأطفال كلما جره الحديث فى أى مناسبة الى سيرة أمه.. وإذا لمح ابتسامة استغراب أو استخفاف على وجه من يحادثه مسح دموعه بكمى «الدشداشة».. ثم يهتف معتذراً وهو يستعير مقطعاً غنائياً لام كلثوم.

ـ أعمل إيه.. لو مر عالخاطر ذكراها تنزل من الوجد دموعى!..

ويشير هذا الرد المراوغ بين الجدية والخفة وبين الحزن والعبث لملمح هام من ملامح غزلان وهو قدرته المطبوعة على «المسامرة» والمنادمة.. لأنه من صغره «صبى « قعدة».. وتلك صفة مطلوبة دائماً فى مجالس «المزاج» الذى يتولى فيها صبى القعدة تجهيز كل مستلزمات «الكيف» وفى الوقت نفسه يتولى مهمة «تسخين» الجو فيلقى بالدعابات والقفشات ويبدأ الحكايات التى لاتنتهى غالباً.. وحمادة يجيد صفات التخديم بالسليقة أو ربما دربته عليها الست خضرة الشناوية! المهم أنه شب يجيدها وظل يطور أداءه فيها حتى نجح

بامتياز وأسس من خلالها مستقبله المثير.. فمكتب لؤلؤة الخليج للاستثمار السياحى والعقارى بحجمه «الصغير» فى المكان هو مجرد «إشارة» غير داله.. فالثروة التى يحتكم عليها «غزلان» تفوق كثيرا مايشير إليه نشاط المكتب العتيد!

عن أحواله المالية.. يقول صديقه العرايشى أن حمادة لايثق فى مخلوق لدرجة تجعله يأتمنه على أسراره التجارية والمالية.. ولكنه يظن ــ أى العرايشى ــ أن صديقه «ينام» على ثروة معتبره لاتقل عن أرنبين أو ثلاثة.

أما إجلال ام سمير فتقسم أيمانا مغلظة بأن لديه حظيرة ارانب! وملايينه لاتقل عن العشرة ولكنه «بخيل جلده» لايخرج من جيبه جنيه واحد إلا بخلع الضرس..

بينما يضحك هو بانشراح ملحوظ..

ــ ملايين مرة واحدة؟ يسمع منهم ربنا! عموما ياباشا.. الصيت ولا الغنى!

وهو دائماً يقبل يده وجهاً لظهر ويردد أن الحال «مستورة والحمد لله!».. فهل يعكس هذا إحساساً حقيقيا بالرضا؟..

إذا نظرت إلى عينيه الناعستين تحت جفنيه النصف مطبقين وهو يتحدث عن الستر ربما صدقت أنه رجل قانع راض بما لديه.. ولكنها لحظة تختفى بعدها تلك النظرة الناعسة ويواصل الرجل نشاطه الوافر الذى يحتم عليه أن يكون متيقظاً منتبها مستنفراً كل حواسه.. متأهبا لأى طارىء.. وما أكثر طوارىء حمادة غزلان!

يقول «سيد العجاتى» ــ المقدم بمباحث الآداب ــ أن ملف حمادة

غزلان يشير إلى مثوله أكثر من سبع مرات أمام النيابة المختصة بعد مداهمات ليلية ذكرت فيها بعض الفتيات إسمه.. ولكنه كان يخرج كل مرة كالشعرة من العجين..

ـ لئيم وابن لئيمة! صاحى.. ينام كالذئاب مفتوح العينين.. ومعه محامى بهلوان يجيد اللعب بالبيضة والحجر.. صنف يستحق الحرق.. ولو علىّ لحاكمت المحامى قبل القواد الذى يوكله!

و«غزلان» هو موضوع المقدم سيد المفضل.. عليك فقط أن تذكر إسمه فيأتيك الفيضان..

ـ ابن الحرام يمسك مسبحة ولسع جبهته بيد معلقة احمرت فى النار ليصنع لنفسه «زبيبة» صلاة.. ويداوم على صلاة الجمعة.. ويواظب على التراويح فى مسجد محمود طوال رمضان.. وفى الوقت نفسه يدير أعتى شبكة للرقيق الأبيض فى تاريخ محافظة الجيزة.. لايستخدم أى وسيلة اتصال فى عمله.. لاتليفون سلكى. ولا لاسلكى.. ولا محمول.. بل يعتمد على أسلوب تجار المخدرات ويستخدم البشر.. عنده جيش لانعرف تعداده وإن كنا نعرف أنه مكون فى معظمه من الصبية والشبان.. تخيل! هو لايكتفى بالمهنة الحقيرة الدنسة ولكنه يتعداها إلى إفساد أولاد وشباب فى عمر الورد!.. المشكلة أننا كلما أمسكنا بصبى أو شاب من أفراد الشبكة عجزنا على أن نصل من خلاله الى الآخرين.. لأن ابن خضرة هذا يدير منظمته بطريقة الخلايا العنقودية التي استعملها الشيوعيون وجماعات الارهاب! فلا أحد من هؤلاء الصبية يعرف غير واحداً آخر.. وهذا لايعرف إلا ثالث.. ثم تنفرط الخيوط ولاتجمعها إلا يد

حمادة شخصياً! ولكنى أقسمت وانا أؤدى العمرة وأطوف بالكعبة المشرفة أن أظل وراء حمادة الرّمة هذا حتى أجعله عبرة!..

حديث القسمة والنصيب

تعترف إجلال عبدالفتاح الشيمى بأن حمادة قد عرض أكثر من مرة أن ينقلها مع أولادها إلى شقة فخمة فى المهندسين.. ولكنها رفضت باصرار بلغ آخر مرة درجة الشجار الذى أنذرته فيه بأنه لو عاود الإلحاح فستضربه بأقدم حذاء لديها.

ـ والله لو حتى جهز لى فيللا فى أوروبا أو أمريكا!

ـ تكرهينه ياست إجلال؟

ـ كرهته منذ زمن.. ولاأطيق رؤياه.. وحين يمر علينا تركبنى العفاريت!..

ـ ولم تزوجته أصلاً؟..

ـ القسمة والنصيب!

وتحدثك إجلال عن القسمة والنصيب اللذين أوقعاها فى براثن ابن خضرة ـ كما تسميه ـ وتحكى حكايتها معه منذ عرفته فى أواخر الستينيات.. سائق تاكسى يبدو لمن لايعرفه عن قرب طيباً ودوداً يبدى من صفات «الجدعنة» مايدخله قلبك.. يومها أصرّ على أن يقل «إجلال» والمرحومة أمها إلى المستشفى مجانا.. رفض أن يتقاضى مليماً واحداً.. وانتظر حتى أقلهما فى الرجوع.

ـ وانا اللى يعمل فى معروف يأكل عقلى!

وأكل حمادة عقلها وقلبها.. وحين تقدم طالباً يدها رحبت به الأم قبل ابنتها رغم إن «إجلال» ساقطة إعدادية بينما لم يدخل

هو أى مدرسة.. ولم يهتم أحد.. فهو رجل «كسيب».. كما أن إجلال تولت مسئولية تعليمه القراءة والكتابة ليستطيع استخراج رخصة قيادة (اكتشفت بعد شهر العسل مباشرة أنه يقود بدون رخصة وأنه يركب كل يوم «تاكسى» مدعيا أن رخصته ضاعت وانه يستخرج بدل فاقد عنها.. حتى إذا ضاق الخناق.. ترك التاكسى إلى غيره.. وهكذا).. ومن ساعتها ـ تقول إجلال ـ انكسر الحلم داخلها.. ثم كرت الأيام لتكشف لها بالتدريج «وكستها» القوية..

ـ كنت شابة فى عزى.. إذا لبست ووضعت «التواليت».. أبدو ولا سعاد حسنى بجلالة قدرها.. ذات ليلة طلبنى بالتليفون عند البقال وأخبرنى أنه سيحضر على العشاء صديق عزيز ويجب أن ارتدى أفضل ماعندى! لم يطلب أن أعد عشاء خاصاً أو صنفاً مميزاً من الحلوى.. فقط طلب أن «ألبس».. التيس!!

.. كان الضيف المنتظر هو أبو «سامر».. جاء محملاً بالهدايا للمدام والأولاد.. وجاءت خلفه وجبة جاهزة فاخرة للعشاء.

بغريزة الست التى تعرف إذا نظر إليها رجل مغزى تلك النظرة.. فهمت إجلال مايريد أبوسامر لكن صدمتها الحقيقية حدثت حين استأذن «حمادة» ضيفه ليغيب دقائق لقضاء مصلحة عاجلة..

ـ وحياتك ياباشا ضربت الاثنين ليلتها بالشبشب!..

... إجلال ست «حرّة».. لاتميل مع المايل! وقد اكتشفت حقيقة «غزلان» وقررت بعدها أن تحمى بيتها وأولادها منه!.. وطالبته بالطلاق (بالراحة وبدون شوشرة أو فضائح كما دخلنا بالمعروف

نخرج بالمعروف) وعدها بأن يفعل ولكنه لم يفعل.
ـ فجأة وبدون إنذار فص ملح وداب.. ثلاثة شهور كاملة.. لاحس ولا خبر.. ولامليم أصرف منه على البيت.. بعت ذهبى قبل أن يصلنى خطابه بيوم واحد.. أرسل يقول أنه يعمل فى الخليج وأنه سيرسل لنا مانريد من أموال وملابس واجهزة.. حكمت عقلى.. هو حلوف وتيس بقرنين.. فليفعل بنفسه مايريد.. ويكفينى أن يبتعد عن سمير واخواته.. يصرف فلوس ويدفع دم قلبه لأربيهم أحسن تربية وأعلمهم فى أحسن مدارس وفى نفس الوقت لايقربهم.
وهذا ماجرى عليه الحال.. كان اتفاقاً غير معلن قبله حمادة ويبدو أنه رأى فيه مايريحه من وجع الدماغ! غاظه بعض الشيء أن يحس بغربته وسط الأولاد كلما زار.. وأخنقه كثيراً ماتفعله به إجلال أمامهم!... بعد كل زيارة كان يشكو همه الى محسن العرايشى.
ـ خسرت تربية الاولاد على ابوهم يامحسن.. لاأحد فيهم يحترمنى.. أو يسمع كلامى.. تصور أنى سألت الولد سمير عن أحواله فى المدرسة فعقد حاجبيه ثم ضحك وقال «صح النوم ياعم احمد.. أنا فى تانية جامعة»!.. والمفعوصة شيرين اطلب منها تناولنى كوب ماء فتنادى على الشغالة لتحضره لى!
ولايظن أحد أن الأولاد يعرفون شيئاً عن أبيهم غير ماغرسته إجلال فى وعى كل منهم (إسم حمادة غزلان مثلاً مجهول تماما بالنسبة لهم).
أبوهم ياباشا إسمه أحمد ربيع عبدالحى.. مقاول.. رجل بسيط غير متعلم.. هجر أمهم وتزوج عليها بعد أن فتح الله عليه.. جاهل..

لكنه غنى.. ودمتم.. لاأحد منهم يعرف غير هذا مسألة المشاعر لاتهم الست إجلال.. ويبدو أنها لاتعنى أمراً ذا بال لدى الأولاد.. فلم يعرف أحد منهم الأب بمعنى العشرة والمعايشة.. فى سنوات نموهم الأولى.. كان دائماً «فى الخليج» يرسل لهم النقود والهدايا.. ويراهم لماما.. (مرة أو مرتان خلال عشر سنوات).. لم تكن العواطف بصراحة حارة أو متدفقة سواء من جانبه أو من جانبهم.

ـ الحب ياباشا كالوردة لابد أن ترويها باستمرار لتظل حية.. وحمادة غزلان لم يحب قط سوى المرحومة أمه.. حتى نفسه لم يحبها.. لأنه لو أحب نفسه لابد أن يحب أولاده.. لأن البنى آدم مننا يحب نفسه فى أولاده!

ـ ياست ام سمير.. يقول حمادة أنك السبب فى فتور العلاقات بينه وبين الأولاد لأنك حرضتهم ضده وسممت أفكارهم عنه!

يقول غزلان مايقول.. فكلامه محض هراء! لاتثور أم الأولاد ولا تغضب.. بل ترد فى هدوء بمنطق سليم أنها لو أرادت حقاً أن تحرضهم عليه أو تسمم أفكارهم تجاهه لفضحته وكشفت لهم الستار ليروا بأعينهم «بلاويه وخيبته الثقيلة» ولكنها قد استسلمت منذ زمن لقسمتها ونصيبها لاترى مناصاً من الإبقاء على «صورة» الأب أمام الأولاد.. ولو كانت مزورة!

ولكن.. ألم تخش يوماً من جار أو قريب أو حتى عابر سبيل يعرف أن احمد ربيع عبدالحى هو نفسه «حمادة غزلان»؟ فيهتك الستر ويفشى المكتوم؟.. رغم لمعة خوف خاطفة تبرق فى العينين إلا أنها تتجاوزها سريعاً فى استهانة.

ـ سنقول أن «غزلان» إسم شهرة تجارى.. وهناك مكتب مرخص

وأعمال تجارية تتم علانية أمام الجميع.. أما ماخفى فلادليل عليه.. ومادامت الأمور بعيدة عن السجن والقضايا والسوابق فلا شىء هناك نخشى منه على الأولاد!!

ـ وإذا حدث ياام سمير؟ وصحوت ذات يوم لتجدى حمادة يرسف فى الاصفاد ويقف أمام محكمة ترسله إلى الليمان؟

تشحب المرأة ويغيض ماء الحياة فى وجهها.. وتبدو عيناها كأن غيمة داكنة تغشاها.. وتصمت قليلاً ثم تتمتم بصوت متحشرج خافت كأنه صادر من أعماق الحب..

ـ تكون كمالة القسمة والنصيب؟

أخبار الخلّ الوفى ..

شهرته «القنفذ».. وهناك تفسيرين! أولهما يتعلق بشعره الكثيف المجعد.. وله خاصية طريفة يراها الجميع حين ينفعل محسن غضباً أو خوفاً أو حين يباغته أمرٌ ما.. فإذا بشعره ينتصب كالإبر فوق رأسه تماما كالقنفذ مما أدى بأصدقائه المقربين إلى معابثته أحيانا بتعمد مفاجأته أو إغضابه ليشاهدوا الظاهرة فيضحكوا لها أو يتيحوا لأى من معارفهم مشاهدتها وكأنها ملمح سياحى أو بعض من غرائب الطبيعة.

أما التفسير الآخر فهو مايدعيه العرايشى عن نفسه..

ـ تجدنى أنعم من «الغرّيبه» مع من يدخل لى بالذوق والمفهومية واللسان الحلو.. أما من يستوطىء حيطى عدم المؤاخذة أو يدوس لى على طرف فعينيك لن ترى إلا النور.. تجدنى كالقنفذ حين يخرج اشواكه لتجرح وتسيحّ دم الأبعد!

ومحسن القنفذ.. أو محسن العرايشى، هو إسمه الحقيقى ـ ذو أصل بدوى سيناوى.. وان كان يصر على إنه «عربى».

ـ أنا أهلى عرب بجد.. غير أهل حمادة غزلان.. ومكتوب فى البطاقة.. انظر حضرتك.. محل الميلاد.. الشيخ زويد!..

فهو يعتبر مولده فى الشيخ زويد دليلاً لاينقص على أصله «العربى».. وإن حاول «غزلان» أن يكايده (القنفذ أصله غجرى.. من النَورَ الذين يجوبون البلاد طولاً وعرضا بلا وطن ولا أصل) وفى مرة تطورت المداعبة إلى مشادة ما لبثت أن صارت اشتباكاً بدنيا.. أذهل الجيران فى منطقة مابين البرجين حيث يتواجه مكتب غزلان مع «أجانس» العرايشى! ولم يكن الذهول نابعاً فقط من غرابة اشتباك الصديقين الحميمين ـ الأمر الذى لم يحدث قبلها ولم يتكرر بعدها ـ بل كان مصدرة الحقيقى ماتبادله الرجلان من معايرة وتنابز بالالقاب أطلقا رذاذا من الأسرار الخبيئة كالإشارة إلى نسب غزلان الحائر بين أبين.. أب بشهادة الميلاد.. وأب حقيقى.. والتلميح الذى أطلقه حماده عن الشبهات التى أحاطت بتعاون محسن مع اليهود أثناء احتلال سيناء.. وبعيداً عما قيل خلال المعركة تبدو علامات الاستفهام كثيرة أمام أصل ثروة العرايشى وفصلها.. فمعرض السيارات وحده حكاية.. وله غيره محطة خدمة على الطريق الزراعى قرب قليوب ويقال أن له محجراً فى الصحراوى ومزرعة مواشى على مشارف الفيوم!

البسطاء يقولون أن الأرزاق بيد الله وأنه إذا وهب فلا تسألن عن السبب! أما هؤلاء الذين لايتركون أحداً فى حاله وعيونهم دائما

مسددة فى أموال الناس فيتهامسون تارة عن الخميرة التى تكونت من التعامل مع الاسرائيليين قبل حرب اكتوبر.. وتارة أخرى تدور مسامراتهم حول صفقة مخدرات ضخمة ـ بودرة غالباً ـ هى الأساس فيما يرتع فيه العرايشى الآن.. وإذا سألت حمادة غزلان عن صاحبه دافع عنه بشدة وهاجم المتقولين عليه بشراسة.

ـ ياباشا هؤلاء ناس سوّ.. لاهم لهم إلا القيل والقال.. يملؤهم الحسد والحقد اللهم احفظنا! أما الصداقة بين الرجلين فهما وحدهما يعرفان متى وكيف بدأت.. الثابت أن الجيرة لادخل لها بالأمر فقد جاءا إلى «بين البرجين» صديقين.. أى أن علاقتهما بدأت قبل أن يفتتحا المكتب والمعرض فى نفس الشارع (فيما بعد.. أثبتت التحريات أن أحمد ربيع ومحسن العرايشى قد التقيا لأول مرة فى أوائل الثمانينيات على ظهر يخت مملوك لأحد الأثرياء كان يجوب البحر الأحمر فى رحلة.. وكانت بداية صداقتهما عملية مشتركة بينهما لحساب هذا الثرى) أما كيف عرف كل منهما عن ماضى صاحبه فلا يخرج الأمر عن احتمالين.. أولهما أن يكون قدراً كبيرا من الثقة والمحبة قد نما بينهما وأدى إلى أن يتعرى كل منهما امام الآخر.. وهو احتمال رومانسى ساذج لايتفق مع تكوين الرجلين والاحتمال الأقرب للمنطق أنهما وقد بدأت علاقتهما من خلال العمل وتوثقت أيضا من خلال عمليات متتالية.. فلابد أن يبحث أحدهما من طرفه فى تاريخ الآخر ليأمن جانبه! والمقطوع به فى تاريخ علاقة الرجلين أن الصداقة الحقة لم تتوثق بينهما إلا بعد انقطاع صلة العمل واستقلال كل واحد بتجارته ونشاطه.

بين البرجين

والبرجين هما بنايتين منفصلتين ولكنهما توإمان.. بنيتا بنفس الطراز والارتفاع فى أواخر السبعينيات.. تتكون كل منهما من عشرين طابقاً.. تحول الممر الفاصل بينهما إلى شارع تتوسطه مساحة مزروعة بالنجيل الأخضر.. ويستخدم كله تقريبا كجراج لسيارات معرض العرايشى.. وأطلق عليه عرفيا إسم «بين البرجين».. وشاع الاسم فى منطقة المهندسين بأكملها خاصة بعد أن تم إشغال باقى المحلات المغلقة فى كل برج.. وافتتحت فيها كافتيريا ومطعم وشركة للصرافة تجاور المعرض.. ويعرف القليلون أن شركة الصرافة مملوكة لنفس مالك البرجين.. وهو نفسه الثرى مالك اليخت الذى تعارف عليه حمادة غزلان ومحسن العرايشى... ويقال أنه يحتفظ لنفسه بفيللا دورين فى البرج الأول بالطابق العشرين.. وهو طابق منفصل تماما عن سائر البناية وله مصعد خاص لايتوقف إلا به وله مفتاح من نسختين واحد يحتفظ بها البواب «رمضان».. والأخرى مع حمادة غزلان بصفته وكيلا للمالك عن البرجين.. وفى هذا المصعد وجدت الجثة!

لذلك فقد بدأ التحقيق بهما.. أولاً رمضان البواب.. وبعده حمادة غزلان.. وإذ حدد الطبيب الشرعى ساعة الوفاة فى الوقت بين الثانية بعد منتصف الليل والخامسة صباحاً فقد ارتطم التحقيق منذ بدايته بحائط مصمت وبدا طريقه مسدوداً.. فرمضان البواب يقطن غرفة مجاورة لمكتب رجال الأمن وهم اثنان يسهران الليل غير اثنين آخرين للنهار.. وقد شهدا بأن رمضان أوى الى غرفته فى الثانية عشر تماما ولم تمض دقائق حتى سمعا غطيطه.. كما شهدا بأن مصعد الروف الخاص لم يفتح صعوداً ولا هبوطا طوال الليل وإنما لحظا فى الثانية صباحا حين استعدا لتسليم النوبتجية الى رجلى النهار أن

المصعد تم سحبه لأعلا.. واستغربا لأن رمضان كان يتناول أفطاره أمامهما فى نفس اللحظة.. و«حمادة غزلان» الذى يمتلك النسخة الأخرى من المفتاح لم يدخل العمارة على الأطلاق.. لذا بمجرد هبوط المصعد مرة أخرى هرعا إليه مع رمضان.. وبداخله الجثة!
أما حمادة فقد كان سهرانا مع الشلة أمام مكتبه فى الشارع الخلفى .. إذ تم نقل جهاز التليفزيون كالعادة على الرصيف.. وتحلق حوله حمادة ومحسن العرايشى وطلعت زيدان صاحب الكافيتريا ونصبت أدوات الشيشة وأقعى بجوارهم «فرج» يخدّم على «القعدة».. وظلوا معاً من الحادية عشر ليلاً إلى بزوغ الشمس فى السادسة صباحاً.. حيث انصرف كل منهم إلى بيته ليكمل نومه حتى العصر!

ـ يخرب بيت المفتاح واليوم الذى حملته فيه.. كانت مجرد خدمة باباشا.. الرجل يثق فىّ وطلب أن أتولى ـ جدعنة فقط وشرف سعادتك ـ أمر مصالحه فى العمارتين.. شغلانة لا أتقاضى منها مليم أحمر وليس لى فيها مصلحة إلا رد جميل للرجل الذى غمرنا بأفضاله زمان!

ـ كم شقة مفروشة فى العمارتين ياغزلان؟
يتدخل سيد العجاتى وكأنه يصفعه..

ـ كثير.. تستطيع سعادتك أن تسأل رمضان بواب البحرية.. وخفاجى بواب القبلية.. أنا كل مهمتى لما يوردوا لى الايجارات الشهرية أن اسلم الايصالات ثم أودع الإيراد بالبنك فى حساب الرجل صاحب العقار.

كانت المسام تنزف عرقاً ملحياً لزجاً والحر له كثافة الدخان.. كان حراً يمكن «رؤيته»!
وسيد يستهلك كلينكس بدينه!..

حمادة غزلان لايفعل.. وهو يترك العرق يتكون ثم ينسال وينزلق.. من تحت الباروكة إلى الجبهة والقفا.. يتقاطر من أرنبة الأنف وشحمتي الأذن ويسقط على الدشداشة البيضاء.. كما يقطر من أصابع الكفين.. ــ الخنزير يتلذذ بالبلل والعرق ــ (هكذا فكر سيد العجاتي وهو يقاوم رغبة بلهاء تغريه بأن يقبض بأصابعه على رقبة غزلان ويظل يضغط حتى يتناثر رذاذ العرق مع الدم).

واجه حمادة نظرات العجاتي بهدوء وثبات.. ولكنه أخطأ حين سبقه لسانه بالتحية..

ــ منورّ ياسيد باشا..

وإذا بيد العجاتي تمتد بسرعة الريح لتخطف الباروكة وتلقيها بعيداً..

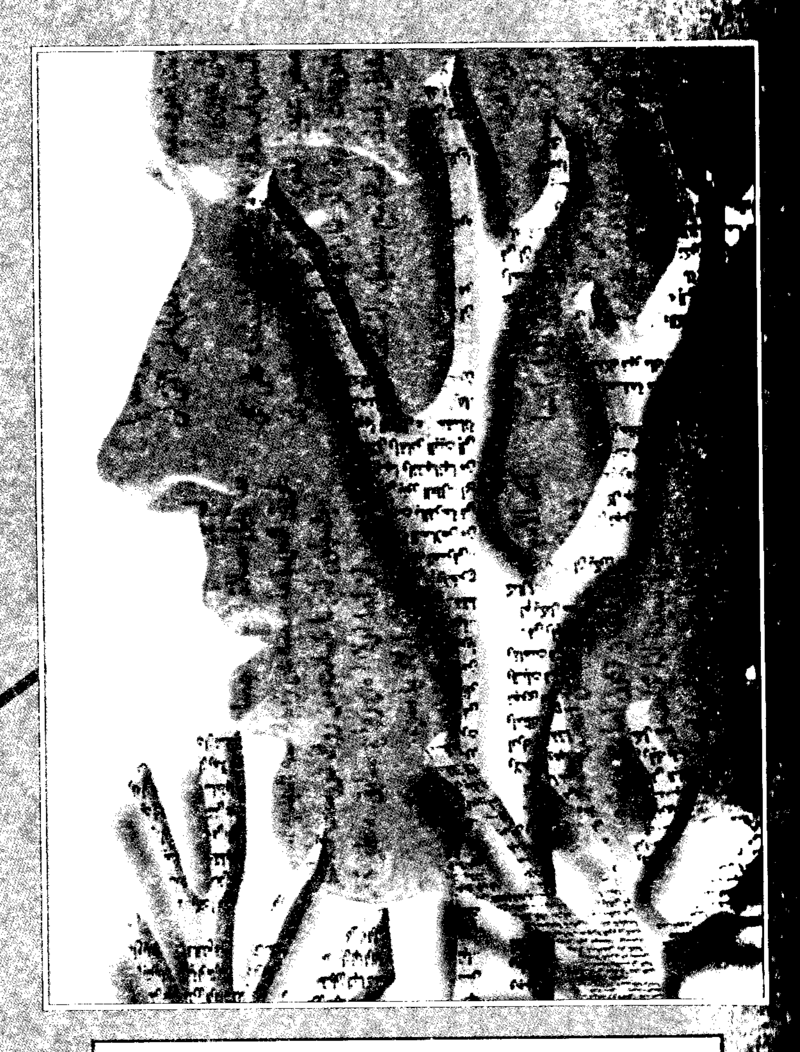
ــ اخلع الباروكة ياروح أمك!

وهبّ حمادة ثائراً ــ فليس يستثنى أحداً فيما يختص بالباروكة ــ ولايرى إلا الدنيا غارقة فى الظلام.. وحين أطلق سبابه فى وجه العجاتي انهال عليه ضربا.. حتى تدخل ضابطى شرطة يرتديان «الميرى» وانقذه من يديه.

.. ويتحسس حمادة غزلان شفته النازفة وقد انغرست فيها سنته البورسلين المكسورة.. ويقسم فى أعماقه بلاصوت.

ورحمة أمي لأرينك ياسيد ياعجاتي! والأيام بيننا..

ثم لاذ بالصمت ورفض أن يجيب على أى اسئلة أخرى!



[٢] سيد العجاتى



الشمس وضحاها

مكالمة الهاتف لم تستمر اكثر من دقيقتين.. ومع ذلك كانت شاهندة قد أحضرت حقيبة السفر وفتحتها وبدأت فى جمع ثيابها وحاجياتها! لهفتها تثير ألماً غامضاً فى بطنه.. أهو الحرّ حقاً؟
طلبت منه أن يوصلها فى طريقه لتركب «السوبر جيت».. أخبرها أنهم يستدعونه على وجه السرعة وأنه سيدبر لها «تاكسيا» يقلها..
ـ زمان كنت تصحبنى الى المحطة وتظل واقفاً على الرصيف حتى يتحرك القطار وتلوح لى مودعاً وعيناك تغرورقان!!
.. زمان كنتُ ألح عليك ياشاهندة كى تلحقى بأسرتك فى المصيف وأنت ترفضين.. تقولين لن أسافر وأدعك وحدك فى الهجير!
وأى هجير!!
الشمس لاتبزغ ولاتشرق.. إنها تولد مشتعلة وتحرق كل ذرة أوكسجين فى طريقها لتصهر الدماغ وتذيب الجلد! (أعذر شاهندة إذاً.. فى هذا الأوار المستعر وتتركها طوال اليوم لاتسليه لها إلا

التليفزيون والثرثرة مع الجارات والصديقات.. فاتورة التليفون الماضية كانت دماراً وتسببت فى الخناقة المائة بعد الألف!.. كن عادلاً ودعها تقضى أيام الموجة اللعينة مع أهلها فى مراقيا.. ربما عادت منها أسلس قياداً).

... حين توقف التاكسى.. وقبل أن تركب.. همست له..

ـ حتى متى اتبهدل فى التاكسيات؟.. أين السيارة التى وعدت؟..

ولم تنتظر اجابة.. رمت نفسها داخل السيارة وصفقت الباب وسمعها تأمر السائق..

ـ موقف السوبر جيت!

أجل.. قد وعدها بأن يشترى لها سيارة بالتقسيط وفقاً للشروط التى وضعتها «الادارة» لضباطها.. ولكنه تراجع بعد «الحادثة».. لم يستسغ نفسياً أن تكون لها سيارة تركبها فى أى وقت!

على مطلع كوبرى اكتوبر كانت السخونة قد صهرت «الأسفلت» وسمع صوت احتكاك العجلات بالزفت.. الزحام جعل السيارة تقف على المطلع فى وضع شبه رأسى.. هاجمه الدوار فشد فرامل اليد وأغمض عينيه.. (فى ردغة الزفت هذه يمكن للفرامل أن «تفّوت» فترجع السيارة للخلف.. كان يجب أن يعطيها للشاويش سعد الله بالأمس حين أحس بأن الفرامل خفيفة).. وامتزج عادم ألف سيارة بأنفاس شيطان ينفخ النار.. وانهمر من شعره إلى قفاه.. إلى سلسلة ظهره خط زاحف من العرق وتحولت «طارة المقود» الى حلقة ملتهبة لايجرؤ أى كف على ملامستها..

بركن عينه لمح فى سيارة «شبح مجاورة» مغلقة النوافذ.. إمرأة

لصف تبـدو وكأنها خـرجت لتوها من صـالون تجمـيل فى باريس.. فاخرة الجمـال والأناقة.. تجلس مسترخيـة فى الأريكة الخلفية.. وفى الأمام سائق عجوز جهم الملامح.. (جنة تكييف متحركة).. وقبل أن يسحـب نظره بعيـداً تسمرت عـيناه ثانيـة على رف مفرود فـى ظهر مقـعد السـائق وعليه فـنجان «نسكافـيه» شـخر فى سـره.. (أحّه).. ولحرك الركب فـحّل فرامل اليد.. كان «الـتى شيرت» قد تبلل عـرقاً و«قلحف» عليه فـصار له ملمس الشوك.. حتى «السلـيب» المحشور أسفله داخل مؤخرته! واليوم لم يزل بعد فى أوله!.. وهذا المنخفض اللعين القادم من الهند جاثم على صدر البلد.. لايرحل.. ولايرحم! فى الراديو.. مذيع آخر يتحدث فى الموضوع.

ـ مـائل للحـرارة على شمـال البـلاد.. شديد الحـرارة على القـاهرة ومصر الوسطى..

أصغى سمعه وكان واحداً من مئات المطربين الجديد يغنى..

ـ سيد عجاتى.. سيد ياعجاتى.. خيبتك القوية عايزة مغنواتى..

ابتـسم فى مـرآة السـائق كـأنه يرى نفـسه وسـط «دفعـتـه» فى كليـة الشـرطة.. وعمر الجـندى.. يغنى له فى التهـريج والتريقـة (لـم يسلم واحد من رفـاق الدفعـة من لسان عـمر وشعـره.. كان يجـيد «قلب الاغانى».. وهـذه الأغنية بالذات أصلهـا يقول : عاشـت الأسامى.. عاشت الأسامى).

آه.. اكتشف أن «عاشت الأسامى» تترامى الى سمعه من راديو سيارة مجـاورة.. ومع ذلك فالخـيبـة قوية فعـلاً ياعمـر ياجندى.. ترى أين أنت؟.. آخـر اخـباره انه فى مـطروح! ولكنه كف عن الاتصـال منذ

شهور!.. أيكون قد فعلها وتزوج؟.. انحدرت قطرة عرق سريعة من جبينه وسقطت داخل العين.. شطة.. يابنت الكلب! علبة الكلينكس فارغة؟.. أهلا..

على طول دراعه رمى الفارغ من نافذة السيارة.. ثم راح يبحث عن أي شيء يجفف به عرقه.. لاشيء.. فتح التابلوه.. لم يجد غير علبة السجائر.. أفرغها.. وفتحها وراح يمسح بحافتها العرق عن جبهته..

وكانت الشمس تزحف الى ضحاها!

تقرير من الإدارة ..

فى تقرير رفع للرؤساء رداً على شكوى قدمها الرائد ــ وقتها ــ سيد راشد العجاتى ــ بسبب عدم ورود إسمه فى حركة الترقيات الأخيرة.. «أن مقدم الشكوى ضابط نشط يؤدى عمله بصورة مرضية ولكنه عصبى وسريع الاشتعال وقد أجرى معه أكثر من تحقيق بسبب تجاوزاته وتم لفت نظره ثم إنذاره كما أوقف عن العمل لمدة شهرين كاملين بأمر من السيد اللواء مساعد الوزير حتي يتم الفصل فى واقعة تعدى بالضرب المبرح على المواطن احمد ربيع عبدالحى الشهير بحمادة غزلان.. وقد ثبتت براءته من التهمة وألغى إيقافه»..

وزملاء سيد فى «الإدارة» يعرفون أن سيد لم يكن بريئاً.. ولكن غزلان يستحق مافعله به.. يضحك كمال شيحه متحفظا.. «ياإخواننا حمادة هذا منجوس وابن زانية ويستاهل الضرب بالرصاص شأنه شأن الكلاب الضالة.. ولكن «العجاتى» زودها.. «يعلقه».. جائز يضعه فى «الفلكة».. ممكن.. ان شالله يشبحه على العروسة! لكن

بأمر العريف «شطا» بإيلاج العصا فى دبره فهذا تجاوز بلاشك».
وكمال شيحه لايخفى تعاطفه مع سيد حتى ليبرر له كل مايراه فيه الآخرون من عيوب..
ـ أنا أعرف سيد منذ تزاملنا فى كلية الشرطة.. كنت أنا وهوه وعمر الجندى ثالوث لايفترق.. سيد طول عمره مرح وابن حظ وباله طويل.. العصبية وضيق الخلق جدّا عليه فيما بعد.. وأعتقد أن زيجته هى السبب! شىء ما انكسر بداخله حين ثبت بعد عشر سنوات من الزواج أنه المسئول عن عدم الانجاب.. فى الظاهر بين اصدقائه وزملائه يتجاهل الأمر ويحاول أن يكون طبيعياً لدرجة المبالغة.. ولكنه بداخله لم يتقبل الأمر أبداً.. وانعكس هذا على أسلوب أدائه لعمله وتأخرت ترقيته سنتين كاملتين فزاد الطين بله!
والدائرة المفرغة الجهنمية التي يدور فيها سيد لاتعنى سيادة العميد عاطف خلف الله مدير الإدارة فى شىء.. هو فى رأيه.. ضابط «رخم» لايحبه لله فى الله!
ومن القلب للقلب رسول خفى يسعى لنقل المشاعر المبهمة والأفكار المنزوية فى الأركان فسيد العجاتى يكن مقتاً ضارياً لرئيسه.. ذلك «الديك الشركسى» ذو الصوت الذى يحاكى صوت أوزة مذبوحة!
ـ سعادتك كلفتهم باستدعائى؟
ـ أوحشتنى ياعجاتى!
وظل يرمقه وعيناه الصغيرتان تثقبان عظام جبهة سيد.. وبدا مستمتعاً بوقفته أمامه لدرجة التلذذ..
ـ تسمح لى اقعد سعادتك؟

ـ لاداعى.. المسألة لاتستاهل.. أصحابنا فى جرائم النفس يطلبونك!

ـ لا أريد أن أنُقل سعادتك.. أنا مرتاح هنا!

ـ لاتتعجل الرد فلم يطلب أحد نقلك.. ستعاونهم فقط فى جناية وقعت فى دائرة القسم الذى اشتغلت فيه على شبكة حمادة غزلان!

لم يشأ العميد خلف الله أن ينهى مثول سيد أمامه إلا بتوجيه تحذيرات مشددة تبلغ من التأنيب المسبق بوجوب الاقتصار على تقديم المعونة الفنية والابتعاد تماما عن أى احتكاك بحمادة!

... صارحه كمال شيحه...

ـ وأنا أوافق ياسيد! ومن زمن بعيد أنصحك بالبعد عن غزلان.. فهو نذير شؤم فى حياتك.. اترك ملفه لعلاء الصاوى أو توفيق الشاعر.. واخرجه من دماغك! ليته كان يستطيع..

المسألة خرجت عن نطاق العمل.. وأصبحت ثأراً شخصياً.. ولكن.. إذا كان حمادة غزلان لن ينسى واقعة العريف «شطا» يوم كسر العجاتى «عينه» ومرغ رجولته وكرامته فى التراب.. فما هو ثأر الآخر؟

كمال شيحه يقول أن سيد لديه مشكلة تثبيت نفسى (أو بسيشن) فيما يتعلق بحمادة حتى لتبدو المسألة أحيانا نوعاً من الهوس الجنونى.. وهو أمر لابد له من سبب.. لأن سيد تولى الكثير من قضايا الإدارة وكان أداؤه خلالها أقرب للاتزان والموضوعية.. فلابد بالتالى من ظروف «خاصة» تكتنف علاقته بغزلان بالذات.. وقد ابتهج العميد خلف الله كثيرا بهذا الطرح واقترح أن يحول سَيد

لمشورة الطب النفسى! ويومها.. كادت تحدث مأساة حقيقية بالإدارة لولا تدخل الجميع!

والجميع يتبادلون سؤلاً متكرراً كلما حدثت مشكلة يتسبب فيها العجاتى.. ماالذى يجعله دائماً يبدو وكأنه يمارس مهنة لايحبها؟

إن «سمعة» الضابط داخل إدارته هى المعبر الذى يخطو عليه نحو التقدم.. وسمعة سيد العجاتى كان يمكن أن تكون مبهرة.. لولا..

سمع سيد من كمال.. ومن عمر.. ومن آخرين.. ولم يجب بغير الصمت.. حتى إذا ألحوا.. ابتسم تلك الابتسامة الغريبة التى يقتطب لها الحاجبان وينفرج الفم فتبدو أقرب الى التكشيرة.. ثم غمغم فى اقتضاب.

ـ إللى مايعرفش يقول عدس!

.. ومن يعرف؟ من الذى يمكنه ياعرب أن يخمن صنفاً غير العدس؟.. يقول كمال بثقة..

ـ فتش عن المرأة!..

تاريخ حالة

جبين الطفل يلسع الكف التى تستطلع الحرارة.. والسعال يمزق رئتيه وقلب الست أم ممدوح! ليلتها ثارت على الطبيب حين أمر بتكرار المضاد الحيوى.

ـ ياشيخ روح! أى كلية طب هذه التى اعطتك الشهادة!

لم يغضب الدكتور «بدير» ولم ينزعج.. فهو طبيب «العائلة» وصديق شخصى لكل أفرادها وهو يعرف الست أم ممدوح جيداً.. ولقد «تعوّد» على غضبها الدائم الذى تضعه كالقناع وتخفى وراءه

أرق المشاعر.. فى نفس الليلة حملت طفلها وهرعت به الى مقام أم هاشم..
ومازال النور الاخضر يراوح بأطيافه.. وبقيت آثار العطر النفاذ.. وذلك الدوار الخفيف يراوح على حافة الاغفاءة ومصابيح النجف والمشكايات تتأرجح على أنغام أدعية صوفية يرددها المريدون فى حلقة الذكر منضبطين على صفقة كف قائد «الحضرة»!
ياسيدة.. ياسيدة.. يام الشموع القايدة..
يااخت الحسن.. واخت الحسين.. وبنت اكرم والدة..
أم العواجز تتوسل بوسيلة آل البيت والواصلين وتستحضر الشفاء بإذنه وحده!.. ينفعل الشيخ سعد العجاتى وهو يؤكد أن التوسل بغير الله كفر صريح.. وأن التماس الرغبات من الراقدين فى الأضرحة نوع من الوثنية الجاهلية..
برقته الوادعة يخفف أخوه الأكبر من غلوائه..
ـ على مهلك ياشيخ سعد.. مادام القلب لايشرك والنفس تنطوى على حب آل البيت فلا جناح!..
ولكن الست أم ممدوح لاتفلت الفرصة «فسلفها» الشيخ سعد هو فريستها المفضلة يأتيها برجليه.. والمصيبة أنه يعلم..
ـ نعم نعم ياشيخ رعد؟ (لم تدعه أبداً بسعد إلا فى حالات نادرة).. زيارة أم هاشم كفر؟ يمين بالله ثلاثاً لن تتذوق لقمة واحدة من طبيخى اليوم!!
وتصر فعلاً على حرمانه.. وتجبره على الانصراف الى منزله..
ـ روح لسنيه كُلّ عندها!

كان سعد العجاتى «عريساً له شهران فقط فى بيت الزوجية.. بعد أن ترك بيت شقيقه الأكبر الذى رباه «راشد افندى العجاتى».. وكانت الست ام ممدوح بالنسبة له بمثابة أم ولم ينظر لها أبداً كمجرد زوجة لأخيه.. ثم أن فارق السن بينه وبين ممدوح ابنها البكر لايتجاوز عامين ونصف فهما من دور بعض.
«حضن» الست يتسع لكل أفراد العائلة بفروعها.. فلم تكن أم ممدوح وحده..
يقول لها راشد فى ساعة صفا.. انت ام الجميع بما فيهم أنا..!
وتبتسم.. إحدى ابتساماتها النادرة الشحيحة وتشفعها بجملة يعتبرها راشد حدثاً فى تاريخ زيجتهما الطويل «يخليك لى يابوممدوح»!
وإذا كانت ابتسامة أم ممدوح عزيزة فدمعتها أعز.. (لاأذكر دموعها غير مرة واحدة يوم ترك نبيل البيت..)
يروى سيد أن هذا حدث يوم اعلان نتيجة قبوله فى كلية الشرطة.. حين احتفلت به الأم بوجبة عشاء دسمة اعقبتها كعكة «بنت اسبانيا» من صنع يديها.. قال نبيل ساخراً وهو يقضم قطعة كبيرة من «الكعكة».
ـ أربع سنين وتتخرج كلباً من كلاب السلطة!
هكذا بدأ النقاش الذى تحول إلى مأساة.. فقد كان الشيخ سعد موجوداً وفجر تناقضه القديم مع نبيل واتهمه بانه شيوعى وملحد..
... وأم ممدوح لاتحب السياسة.. ولا الكلام فيها.. ويكفى ماجرى من تحت راسها! ولكن كلمة ««شيوعى ملحد» خرقت أذنها!..
خاصة حين اندفع الشيخ سعد فى حماسه ونسى ماتفق عليه الجميع

وأفشى السرّ.. (كذبوا عليك ياأم ممدوح.. بسلامته لم يسافر فى مهمة للجريدة.. ولكنه اعتقل فى قضية التنظيم الشيوعى)..

ـ ابنك شيوعى ياراشد؟.. انت شيوعى ياولد؟..

ـ عقيدة سياسية ياأمى ولاتعنى الإلحاد..

فى سرعة البرق صدر القرار..

ـ تحرم علىّ عشرتك ومخاطبتك والأكل معك فى طبق واحد!

ولم تجد أى محاولة للصلح!.. خرج نبيل من البيت.. وجلست أم ممدوح تحت صورة إبنها البكر تبكى.. هل كانت تبكى نبيل أم ممدوح؟ ممدوح حبها الأكبر وزهرة شبابها وحشاشة قلبها.. وحزنها الأبدى! فى سن الرابعة والعشرين.. عبر الرائد ممدوح راشد العجاتى القناة تحت جنح الظلام على رأس قوة كوماندوز لتنفيذ عملية خاصة على أرض سيناء المحتلة.. وبعد اتمام المهمة بنجاح واثناء عودة المجموعة الى الضفة الغربية عبر القناة أصيب الرائد ممدوح بطلق قناص اسرائيلى أودت بحياته! ـ أذكره طبعاً ـ يقول سيد ـ فقد كان عمرى وقتها أحد عشر عاما.. كان حنوناً.. طيباً.. يشبه أمى لدرجة كبيرة.. وكان صوته حلو ويجيد غناء أغانى عبدالحليم حافظ.. ولدينا شريط ربع بوصة مسجل عليه أغانى بصوته.. ولكنى لاأعلم أين أخفته الحاجة! نعم حجت.. أخذها أبى فى محاولة لجلب السلوان.. عادت من الحج اكثر حزناً.. تعرف؟.. أحيانا أتصور أنها ماتت بنفس الرصاصة التى أردت ممدوح! على الأقل لم تعد هى نفسها! حتى معاملتها لنبيل ولى أصابها قدر اكبر من الخشونة.. بل والقسوة أحيانا.. وأعتقد أنها تلومنا فى عقلها الباطن لأن ممدوح هو الذى مات وبقينا نحن.. قالتها مرة بلهجة مزاح (مايقعد على المداود

إلا شر البقـر).. تدمع عينا سيد وهو الذى ورث عـن أمه عزة الدمع وقدرته!... فهل ورث عنها أيضا هذا الانقلاب المزاجى الحاد!؟.. أم أن الزواج هو السبب كما يقول كمال شيحة؟..

نبيل العجاتى يؤكد رأيه القديم.. كلية الشرطة هى السبب.. فقد جهزته ليـخرج منهـا مكشـراً عن أنيابه كـفصـيلة «الوولف» أو «الدوبرمـــان».. فـآلة القـــهــر تدور لتنتـج الرجـال المقـــهــورين القاهرين! وإلا كـيف يتحول سـيد.. الرقـيق.. الذى كان يكتب الشعـر ويحمر خـجلاً كـالبنات إلى أداة قمع بشريـة مدربة على البطش والتنكيل؟

ـ كنت أبحث عنه وقلبت عليه الدنيا.. شاهـندة أخبرتنى انه سهران فى المديرية.. وذهبت اليه.. واستغرق الموضوع سهرة اجبارية ورأيت مايهمله الذى كان يوماً يخجـل من ظله.. وكأنه يستعـرض أمامى.. أمر شرطياً يتبعه بتسييخ شخصاً يدعى «حمادة غزلان».. وسألته عن معنى الكلمـة وأرجعتنى إجابتـه الى أيام المعتقل.. إتفو! تحـول كما تنبـأت له عـن يقين.. مـجـرد حـيـوان سـادى يتلـذذ بالولوغ فى دم ضحاياه.

ـ ضحايا؟.. «آبيه» نبيل يسمى أمـثال حمادة غزلان ضحايا!.. ومع ذلك دعك منه فقد عاش ساذجاً وسيمـوت أحمقاً وسيبعث ان شاء الله مع المعوقين!

... ومـارأيك فى الست أم ممـدوح؟.. هى لاتعـرف من هو حـمـادة غزلان ولا ماذا فعلت به أو فعل هو بالأخرين.. ولكنها كثيرا ماتردد «سيد اتغير..».

ــ تغيرت إلى أى شيء؟.. أصبحت حشرة مثلاً؟
يحتج سيد وهو يكرر تحليله لما يدور فى العقل الباطن للست والدته!.. أما هى فبطبعها لاتميل للظن والتخمين ومع ذلك فهى تتفق مع كمال شيحه.
ــ شاهندة!! منها لله!!
لم تستطع أبداً أن تحبها.. ومنذ أول نظرة حين اضطرها للذهاب معه لقراءة الفاتحة استثقلت ظلها.. ليلتها قالت لراشد (إبنك سيقع على بوزه) فأخبرها أنه تحدث معه طويلاً وحاول إثنائه عن عزمه.
ــ ليس فقط مايبدو عليها من «قنعرة» ومظهرية.. المشكلة ياأم ممدوح فى أسرتها.. ليلة أن واعدنى الأب.. ذهبت لأجدهم يقيمون حفلة «دانس».. رقص يعنى كما ترينه فى الأفلام.. والست أمها فى حضن أحد أصدقاء الأب! مسخرة! وبطريقتها فى اتخاذ القرارات الحاسمة.. أعلنت سيد بأنه لو صمم على الزواج من شاهندة فقد حرّم بيته عليها.. (بدورك لاتحضرها معك.. طبعا سنستقبلها ونقدم لها التحية ولكننا لن نرحب بيها.. على البارد يعنى!).
أصر سيد على الزواج من شاهندة.. واستسلمت الأسرة فالقربة المثقوبة ستخر على دماغه هو..!... ومن يومها لم يعد سيد.. هو سيد..

إستبطان

ملامحى فى المرآة كما ألفتها دائماً.. أنفى الكبير.. وجبهتى بعظمتيها.. والحاجبين الكثيفين والشارب الكاسى على شفتى العليا يكاد يغطيها.. وحتى الندبة القديمة فى خدى الايسر.. ركبت

العجلة ــ الثمانية وعشرين ــ وتسابقت بها مع العيال من أول شارع قدرى الى قسم الخليفة.. كسر عليّ فوزى عليوه وحين تفاديته ارتطمت أنا والعجلة بعربة كارو تحمل مجموعة نسوان يرتدين السواد فى طريقهن للمقابر.. جرحت وبقيت الندبة.. شاهندة أخبرتنى أن عادل ابن خالتها جراح التجميل يعرض أن يصلح الندبة.. نهرتها وشتمت قريبها الذى لم ينزل لى من زور! ليست مسألة غيرة بسبب ماعرفته من أنه طلب يد شاهندة قبلى.. وأنهما خطبا لفترة قصيرة ثم فسخت الخطوبة لأسباب عادية تحدث كل يوم انما لأنه شخص لزج لسانه أحلى من اللازم ورائحة عرقه نفاذه.. وحاسة الشم لدى هى بلوتى.. مرهفة لدرجة مرعبة! كنت أجلس فى صباى وسط فتيات وسيدات الأسرة وأعرف ــ بالشم فقط ــ من فيهم عندها «العادة» ــ وخاطرت ذات مرة فأعلنت اكتشافى.. ومن يومها نفرن منى.. حتى أمى كانت تؤنبنى إذا نظرت اليها وطالت النظرة مما أربكنى الى حد كبير عمرى ماقصدت شراً.. فما الذى تغير؟.. شعرى يتراجع معلنا عن مقدمات الصلع ــ وراثه كما قرأت وكما رأيت فى صلعة أبى وصلعة نبيل..ممدوح لم يعش ليتساقط شعره وصورته المعلقة فى صدر الصالون تظهره بشعر غزير مموج وبراق كأنه شعر أنور وجدى فى الأفلام القديمة التى نراها فى التليفزيون.. وكان يبعث بأصابعه فيه يمشطه وهو يقف فى الشباك.. وأمامه فى شباك العمارة المجاورة تقف بثينة بنت فؤاد السمالوطى تاجر الذهب فى شارع السد البرانى.. كانا يتخاطبان بالاشارة فى مرحلة البداية ثم

بدأت المراسـلات.. كنت أحـمل لهـا خـطاباته.. وأتولى أيضـا توصيل خطاباتها.. وكـنت أقرأ مايكتباه.. كـان أسلوبه هو جميل وبسيط ولكن خـطه كنبش الفراخ.. أما هى فـخطها جـميل ولكن كلامـها كله منقـول من كتاب رخـيص الطبع عنوانه «مـائة رسالة غرام»..

فى أطول خطاب حـملـته مـنهـا كـتـبت تقـول «أكـتب لك يازين الملاح.. على ورق يطيـر مع الرياح ولو طار لطرت شوقـاً.. ولكن كيف يـطير مقـصوص الجناح.. ورغم سـنى الصغـير فلم أسـتسغ الكلام.. وحين حكين لـنبـيل أخـبـرنى بمعلومـة كـتـاب الرسـائل الرخيص.. كـما أفشاها لمـدوح الذى انزعج كثيـرا وعاتبنى لأنى لم أكن حافظاً للسر.. بعدها انتهت مرحلة التراسل وبدأت مرحلة اللقاء.. تغيم الذاكـرة هنا قليلا لتنقشع الغمـامة عن حفلة الخطوبة فى بيت الحـاج فؤاد السمـالوطى.. والرؤى التى خالجـتنى وممدوح يرفع يد بثينة بعد إلباس الشبكة الى شفتيه ويقبلها.. رأيت الغربان تصفق بأجنحتـها على قبة جامع الحنفـى.. ربما كان حلماً أو خلطاً بين يومين مخـتلفين.. ولكنى رأيت أيضا ممدوح بعـد استشـهاده.. نعم!.. كنت على سطـوح بيتنا سـاعـة المغرب فى رمـضـان أنتظر رؤية كـــرة الـنار حين ينـطلق المـدفع.. وجـــاء ممدوح من سـلـم السطوح.. لم اخف.. واندفـعت اليـه احتـضنه.. وأخبـرنى أنه لم يمت لأن الشـهداء عنـد ربهم يرزقون.. وطلب مـنى أن اخفى نبـأ لقاءنا عن امى..! ثم اختفى كما جاء.. قصصت ماحدث على أبى فاغرورقت عيـناه وربت على رأسى وطلب منى بدوره أن لا أخبر

أمى.. ولكنى حين حكيت لنبيل ضحك ساخراً وأخبرنى أنى كنت نائما وتركت مؤخرتى عارية!!.. وامتنعت بعدها عن سرد ما أمر به من احداث لنبيل.. كرهته وتمنيت موته ـ أمنية أطفال بالطبع ـ ... كان يسألنى كثيراً عن بثينة.. فتقمصتنى روح ممدوح.. وحاوت ذات ليلة أن أخنقه أثناء نومه.. لاأعرف هل حدث هذا قبل أو بعد تقدمه لخطبة بثينة!... الآن فقط أرى ما لم أراه منذ ربع قرن.. أمى لم تطرد نبيبل من البيت بسبب شيوعيته والحاده.. بل لأنه انتهك ذكرى حبيبها ممدوح وتجرأ على التفكير فى خطيبته.. العجيب أن يوافق فؤاد السمالوطى.. والأعجب أن توافق بثينة!!..

كان ممدوح يكبرنى بثلاثة عشر عاما.. ويكبرنى نبيل بعشرة لم أغفر له أو لبثينة ماتصورته من خيانة لذكرى ممدوح الا بعد سنوات.. ولكن أمى لم تغفر لهما حتى الآن.. فى حفل زفافى أنا وشاهندة أدارت ظهرها لبثينة وعاملت نبيل ببرود أحس به الجميع حتى العروس المشغولة بليلتها!

هل تحبنا أمى حباً مرضيا كما تتهمها شاهندة وبالتالى تغار من زوجاتنا وترفضهن؟ شردت طويلاً مع الفكرة.. ولكنها تبدو اكثر سماجة كلما فكرت فيها.. وقد حذرت شاهندة من أى محاولة للإساءة إلى أمى.. تطاولت فتشاجرنا.. ضربتها.. وهذا من حقى «فاضربوهن واهجروهن فى المضاجع»!.. ما الذى تغير فىّ؟

هم الذين تغيروا.. أمى تغيرت منذ أمد طويل.. بالتحديد بعد موت ممدوح.. وأبى بعد خروجه الى المعاش.. ركبه الاكتئاب ودفن نفسه بالحيا فى شرنقة صمت جعلته بالنسبة للجميع «فاسوخة» أو

«بركة».. ومـازلت حتى اليـوم أقبل يده فـى الأعياد ويصّـر هو على منحى العيدية!
كنا نقف امـامه فى طابور تتـقدمـه أمى.. ثم ممدوح فنبيل فـأنا!.. لم يمنحنى أحدا أبدا المعـاملة الخاصة بآخـر العنقود!.. فى لحظات نادرة فقط سـمعت أمى تردد العبارة المأثـورة : آخر العنقود سكر معـقود! ولكنها لم تتـرجم العبارة أبداً الى تصرف يميـزنى أو يجعل لى مكانة خاصة... شغلتنى كثيراً فكرة أن أمى لم تحبنى.. كانت تتمنى لحملها الثالث أن يكون في بنت ــ هكذا قالت خالتى نجاة...
ــ ولاّ يوم ولادة سيـد ومافعلتـه «دولت».. ما إن أخبرتهـا أم حافظ الداية بأن المولود ذكر حتى اجهشت بالبكاء!
أبى أيضـاً ــ كان نفـسه فى بنت ـــ هكذا سمـعت من عمى الشـيخ سعد.. وعايرنى بها نبيل اثناء إحدى مشاجراتنا..
ــ الأسطى عـبـده الحـلاق هو الـذى سـمـاك يافـالح.. بعـثـه أبوك ليـسـتـخرج شـهـادة ميـلادك فى مكتب الصـحة ونسى أن يحـدد له الاسم.. فاختار لك الحلاق اسم سيد!
وحين أردت التحقق من صـحة القصة وسألت أبـى لم يعطنى عقاداً نافعاً.. ابتسم بطريقته الطفولية التى تحيدك تماما تجاهه وهو يغمغم..
ــ وماله سيد؟.. سيد وأنت سيد.. ياسيّد!
أما الست أم ممدوح فقد نظرت لى ساخرة.. وهى تنهى النقاش!
ــ وهل يصدق عقل مثل هذا الكلام؟.. أنا من اختار لك اسم سيد!
... معقول؟.. بعد ممدوح ونبيل.. تسمينى سيد؟
آه.. كم كرهـت العيد الـكبير فى طـفولتى! أطفـال البيت والبـيوت المجاورة.. يزفوننى يوم الوقفة..

«بكره العيد ونعيدّ.. وندبحك ياشيخ سيد»..
قال الشيخ سعد.. العوام يسمون الخروف سيدّ.. فرددت عليه بأن الصحيح أنهم يسمونه سعداً.. غضب وقاطعني.. ثم انتقم مني حين مهدوا بى إليه ليساعدنى على فهم قواعد اللغة العربية ونحوها!..
أذنت له أمى بأن يضربنى ــ من أجل العلام ــ وحين أسرف فى استخدام المأذون له به وشكوت لها ردت باقتضاب :
«يابخت من بكانى وبكى علىّ.. ولاضحكنى وضحك الناس علىّ»..
كرهت عمي سعد كراهة التحريم.. وللآن هو أبعد أهلى عنى.. جاء مع زوجته ليؤدى واجب التهنئة ويدفع «نقوط» الصباحية.. وحين ودعته عند باب الشقة التفت لى وقال : مبروك عليك.. ان شاء الله حاتخلص منك القديم والجديد!
ولاأنكر أن شاهندة عاملته هو وزوجته بقلة ذوق وجليطة.. حين اشارت حانقة الى الطين الذى حمله حذاء الشيخ سعد إلى سجادة الصالون.. وحين غمغمت زوجته معتذرة فى غشم «أنها ليست سجادة صلاة» ردت عليها بسرعة البرق بأن النظافة ليست قاصرة على سجاد الصلاة.. ولم أعاتب العروس.. كانت صباحية وبداية عسل.. ولم أكن أعرفها جيداً.. كل الحكاية تمت فى شهرين..
رأيتها أول مرة حين داهمت شقة فى عمارة مجاورة لعمارتهم فى العجوزة.. ووقفت فى بلكونة شقتهم تتفرج على موكب النسوان العرايا الملفوفات بملاءات السراير ونحن نقودهن الى «البوكس»..
اصطادت عيناى فتشعلقتا بابتسامة تملأ وجهها بأكمله.. صورة

مطابقة تماما لصورة الممثلة التى كـان ممدوح يضعها فى إطار ويعلقها على الحائط فـوق مكتبه.. كان يعـتبرها اجمل نسـاء العالم.. وحين مات أخذتها وورثت لنفسى إعجابه بها.. وعرفت أنها المانية الأصل واسمها «رومى شنايدر»..

خلال أسبوع بدأت عـلاقتنا.. وبعد شهر تقدمت اليهـا.. وبعد شهر آخر تزوجنا.. رغم معارضة الجمـيع!.. بعد سنة أبدت لى اعتراضها على شكل أنفي وعلى ذوقى فى اختيار الهـدايا التى اشتريها.. وبعد عـامين بدأنا نتشـاجر.. وكـثرت مـرات «الغـضب» واللجوء لبـيت «بابا».. كان التهمة المفضلة لديها «البخل»..

أنا بخيل أيها الشخص الذى يواجهنى فى المرآة؟.. أنا؟

فى الخناقـة رقم مـائة طلبـت منى أن أسـعى للنقل من إدارة حـمـاية الآداب..

ــ كل يوم غرقان وسط المومسات والقواديـن وتجىء آخر الليل لتتقيأ فى الحمام وترمى نفسك على الفراش بهدومك!

.. كان يوماً ملعوناً.. فى ذروة موجـة حر بشعة.. مثل هذه وربما أبشع.. يوم الحادث.. عند «نعمـة» حين ركنت السيارة.. لنتناول «ساندويتش» الـطعميـة.. وفى مرآة السائـق.. وفى الاشارة تقف السيـارات.. ودشداشـة ابن خضـرة شناوية تسرع الى الـرصيف لتلحق بـصـاحـبـة «التى شـيـرت» السـمـاوى.. يـوم اندفـعت كـالصاروخ.. ولمحك بركن عـينه.. فدفـعهـا الى داخل السيـارة وقفز بعدها.. وتتغير الاشارة.. ويختفى الجميع..

تغيرت؟.. نعم تغيرت!.. الحجر نفسه يتغير! وسبحان من لايتغير!

فى عز الضهر الاحمر

وكيل النائب العام يعاين! ومعه رجال البحث الجنائى وجرائم النفس.. وكردون الشرطة جمع حوله لفيفاً من الفضوليين والمتسكعين..

ـ لولا الجو لتجمعوا بالمئات..

كانت الظهيرة حمراء بالفعل.. حين اقترب سيد.. لمحه حمادة فاصفر وجهه.. وأعطى ظهره لنافذة المكتب المطلة على الممر حيث وقف سيد.. كانت من «الالوميتال».. وكانت مغلقة لوجود التكييف.. سمع حمادة نقرات أصابع سيد على الزجاج ولكنه تجاهلها.. تمنى لو كان الولد فرج موجود.. أو حتى البنت نجوى السكرتيرة..

ضرب سيد بقدمه الباب المعدنى ودخل المكتب..

ـ تعطينى قفاك وتتظاهر بالطرش يابن خضرة؟

ـ ياباشا جهاز «الكونديشن» به خلل وصوته عالى.. ومع ذلك أنا فى خدمة سعاتك!

ـ سألوك؟..

ـ وجاوبت!..

ـ لم لاتستدعى محاميك..

ـ ومن بحاجة الى محامى؟..

فى الوقت المناسب تماما دخل ضابط المباحث الجنائية محتجاً على تدخل سيد فى التحقيق.. انفرجت أسارير حمادة وجأر بالشكوى..

ـ سيادة المقدم سيد يترصد لى.. يأبى أن يتركنى فى حالى.. ماذا يريد منى ياعالم؟

«الخنزير يريد أن يسمع وكيل النيابة!..»
خرج سيد مع زميله وهو يلقى بالنذير.. «راجع لك يابن خضرة»..
قال محسن القنفذ لصديقه.. (ابطح روحك عليه.. تلبسه قضية ويبعد عنك للأبد) يهز حمادة غزلان رأسه رافضاً.. ويؤكد أنه لن يغلب فى «حتة» ضابط لاراح ولاجاء..
ــ صارحنى ياحمادة.. أنا اخوك.. لابد أن هناك ما أثاره ضدك.. فهو يتصرف كما لو كان بينك وبينه تار!!
ينظر حمادة للعرايشى من تحت جفنيه المتهدلين.. وبريق مراوغ يتأرجح فى عينيه..
ــ انت تعلم أن الشكوى التى قدمتها ضده للوزير أخرت ترقيته سنتين..
والقنفذ لايقنعه مثل هذا الكلام ويقسم برحمة أمه أن فى الأمر «سرّ» ولكنه يكف عن الإلحاح (على كيفك يابن الشناوية.. وقت ماتريد مصارحتى أنا حاضر) بجدية تامة يؤكد حمادة لصاحبه أن سيد العجاتى يسقط قرفه من بيته على خلق الله..
ــ ربنا حرمك الخلفة.. فما ذنب الناس؟
ــ ويقولون أيضا ياصاحبى إن امرأته تلوّن عليه! تعرفها؟
يبتسم حمادة وهو ينفث دخان التعميرة..
ــ تعرف؟.. المغربى هذا حكاية.. فى رأيى أحسن مليون مرة من الأفغانى!!
فيخرج محسن من قطعة ملفوفة بالسيلوفان الأزرق..
ــ جرّب هذه وطز فى المغربى والأفغانى..

... رغم رجود الهـواء وتكاثف الرطوبة.. تشمم المقدم سـيد والرائد رائحة الصنف!

ــ أولاد الهـرمة! المكـان يملؤه رجال البـحث الجنائى.. وضـابط من الآداب.. ووكيل نيابة ونازلين «ضرب» على الشيشة!

ضحك سيد مكشراً عن أنيابه..

ــ هاهم متلبسين.. لو راجل اقبض عليهم!..

ــ افعلها والله!..

ــ تبـقى حمار! همـا يعلمان جـيداً أنك تسـتطيع أن تقبض علـيهم متلبـسين.. ولكن محـاميهم سـيخرجـهم تانى يوم.. لأنك كنت هنا لواقعـة أخرى ولم تكن هنا لضبط مـخدرات.. جلسا فى الكافتـيريا المكيفة.. بعد أن تفاهماً.. واقتنع مجـدى أن سيد جاء ليعاونه باعتبار الصلة بين شـغله فى ملف غـزلان.. وبين تواجد الرجل فى البـرج.. ومسئوليته عنه.. وامتلاكه لمفتاح من مفاتيح الفيللا العلوية..

ــ تظن أن هناك صلة؟

ــ يجب أن تكون.. المنطق يحتم وجودها!..

.. وجاء فرج ليخبر حمادة أن الضابطين جالسين فى الكافتيريا..

ــ اقعد يابن القديمة كرَّس وسمسم النار...

وإذا كبسوا؟.. ياأهلاً وسهلاً..

تتـوهج حمـرة النار فى جمـرات الفحم.. ويتطاير الشـرر.. ودبيب النمل يزغـرد فى جمـجمة غـزلان وصاحـبه.. الذى يهـتف.. الله.. التكيف لذيذ...

ويجيبه الاول ... «تصدق بمن خلقك وسواك وعدلك؟...»

يرد القنفذ وهو يشرق بالضحك.. «أصدق»..

يؤكد حمادة... «إذاً صدق أنى أراه...»

ـ ترى مين؟..

ـ الحرّ.. أراه واقفاً خلف النافذة لابساً الضهر الاحمر..

ـ بايختك.. وصلت!..

تأملهما سيد العجاتى من زجاج النافذة.. وابتسم.. وكانت ابتسامته تعنى أن شيئاً ما قد خطر له.. وقرر أن يتصرف بناء عليه..

وصاح حمادة ...

ـ اتفضل ياسيد بيه!..

... مدينة من القار المصهور تتبدى لمن يخوض مغامرة الظهيرة.. ولابد له أن يخوضها (ما الذى يستحق ياسيد؟...)

ويغمغم بصوت يسمعه واضحاً.. أشياء كثيرة.. تستحق!

توقف أمام البناية الفخمة (قيل له أن الشقة الواحدة تباع فيها بمليون جنيه)

.. ودخل لتحتويه أحضان الهواء البارد المكيف...

... أهى رعشة استمتاع.. أم رعشك مرض وشيك؟

.. أمام الشقة مكتب لموظف أمن أو حارس خاص.. وتفتح الباب خادمة آسيوية لاتتحدث العربية..

... وتدخل «نوسة» لترحب بسيد بيه!



[٣] نوسة وشاهندة



صهد العصارى

بدت مبادرة «نوسة» مثيرة للدهشة حين هرعت الى مفتاح «التكييف» لتغلقه بمجرد دخولها.. ولكنها سرعان ما اجابته قبل ان يسال:

ـ عرقك محميك يا سيد بيه.. وثيابك تعصر عصراً.. وعضة التكييف لا ترحم.. وهل يهمها يا سيد ان تحميك من نزلة برد محتملة؟.. أم أن المسألة ليست اكثر من سلوك اعتيادى يصدر عن طبيعة تغلب التطبع؟.. الانسان الرجل يحتاج دائما للمسة الحنان التى تدغدغ مشاعره وتوقعاته.. فابتسم لها.

ـ تخافين علىّ يا نوسة؟

انفرجت فى وجهها ماضمته شفتيها من ابتسامات مخبوءة.. ولم تحجب رغم وقاحة اطلالتها فقد اسدلت جفنيها بسرعة حين شرعت عينا سيد العجاتى تجردانها من ثيابها! كان قد استسلم لحظة لحضور «الانثى».. هو لا ينس وصف محسن العرايشى لزوجة صديقه:

ـ مرَه لها «هبوّ» يا باشا.. لو قربت منها يلسعك كهبو الفرن!

والقنفـذ لا يرى ضيـرا فى الحديث عن «حـرم» الصديق.. لانه كـما يدعى هو الذى عرفه بها.
ـ حدثنى «حـفنى» مخلص الجمـارك الذى يتولى عن رجالى الاتفـاقات «التشـهيلية» فـقال ابنة اختـه حصلت على بكالوريوس التجـارة ولا تجد عـملا.. ورجـانى ان ابحث لهـا عن حل فطلبت منه ان يرسلهـا الى فى المعرض.. وجاءت.. ورآها حماده فـسال لعابه.. والبنت رغم ان الجمال والذكاء لا يجـتمعان ـ قـالت له: فى الحلال! وصمـدت لكل العروض والاغراءات..
فى جلسة سمر ومزاج رد حمادة على رواية محسن.
ـ سـمـعت نفس الكـلمـة عـشـرات المرات من عـشـرات الفـتيـا ، والنسوان.. لذا فلم اصدقـها ولجأت الى اختـبار كشف الكذب!.. هع يا باشا.. لا.. ضـربتهـا! فاذا بهـا ترد صفعـة الخد الأيمن بلكـمة على فكى الايسر!.. فنجحت فى الاختبار بتفوق.
تزوجها غزلان وهو يكبرها بثلاثين عاماً كاملة..! بيسرحها؟.. ينفى القنفذ بحرارة
ـ لا ياباشـا.. صدقنى.. عـمر احـمد ربيع مـا خلط العمل بالبـيت! ودائما بيـته واهله خارج دائرة العمل.. واراهن من يريد علـى سيارة «بودرة» خـالصة الجـمارك لو اثبت ان «نوسـة» قد مّـسهـا بشر غـير احمد ربيع منذ تزوجها!
واصرار القنفذ على ذكر الاسم الحقيقى لحمادة غزلان قد يوحى بأنه يذكر الحقيقة.. لكن سيد العجاتى لا ينخدع بكلام.. «اولاد الحرام».
ـ ابن قحبة يدافع عن ابن قحبـة! القواد لا حرم له ولا حرمة.. وغيرة

الشرف عـنده لا تعنى شيـئا.. وهو مطبـوع على استخـدام «الأنثى» حـتى لو كانت اخـته اوزوجـته! الفـارق الوحيـد انه قد «يدخـرها» لزبون بعـينه! وحـمادة غـزلان لم يتزوج من نـوسة هذه الا ليـحكم قبضته عليها بعد ان افلتت منه قبلها «نتف» لاتعوض!!

وسـقطت اللحظة فى حفـرة الذاكـرة مع بادرة دفء يشيع فى جـو «الصالون الفاخر». وجاءه صوتها ليخرجه من لحظة الغوص الثقيلة.

ـ اخطر شيء ان تجلس فى التكييف وانت عرقان!..

اصـرت على ان تقـدم تقـدم له العـصيـر.. ودفـعت بصـدرها تحت عينيه..

كانـت ترتدى «تى شيـرت» بلا شيء تحتـه وربما لم يكن هناك شيء ايضا تحت بنطلون «الاسترتش». نهديهـا النافران لا يترجرجان.. انما ينفثـان عطراً عند مجرى الـعبير فى المـلتقى.. والحلمتـين القاسيـتين تبرزان من النسيج الرقيق المنتهك.. واللون يتدرج من الجبين الخمرى للخدود الـقمحـية للعنق الابيض للـصدر المنداح فى بللور مـشرب بتورد الشمبانيا «تناولها مرة وحـيدة فى حفلة اقامها حمادة ولم يكن يعرف ما يشربه حتى اخبروه أنها «بنك شامبين»».

تباطأت حين رأت خديّه يرتعدان كمن «يشفط» عطر وردة..

ـ ممكن ان احضر لك كأس ويسكى اون ذا روك ولا دراى مارتينى؟.

ـ منذ متى يا روح امك؟..

كـان «الهـبّو» قـد تراجع وحـضـور الانثى قـد تبـدد زخمـه وتذكـر العجـاتى لماذا جاء «كـان هناك هاتف بعيـد فى ركن صغـير بخلفـية راسه يوسوس له ان مجيئه هنا خطأ..».

- اين تعلمت اللغاب؟.. فى ساقية مكى او سجن القناطر؟..
ربما كان الشيء الوحيد الذى لا يعرفه حمادة غزلان عن «نوسة».!
اوربما يعرفه يعرف ولكنه يطمره فى التراب ككلب ميت.. لا يعرف سيد على وجه التحديد ولكنه لم يواجه به خصمه حتى الآن.. دافع غامض فى الح عليه بأن يتجاهله مؤقتا.. ويبقيه فى كمه «كأس» مسروق ومخبأ لوقت الاحتياج اليه حين يضطر كل منهما لكشف اوراقه!.

«ايناس..» لم تحصل حتى على الاعدادية.. وحكاية بكالوريوس الهندسة هذه من اختراعها او هى فكرة ومضت فى رأس حماد غزلان ليرفع بها سعر الفتاة التى تزوجها.. «استغفر الله العظيم» هكذا تغمغم «احلال» ام الأولاد.

.. عندنا ولايا نريد لهم الستر! ولكن ايناس هذه سوابق!..
وتقسم ان ابن خالتها الصول عبدالسلام الذى عمل ردحاً طويلاً من الزمن فى سجن القناطر قد تعرف على «نوسة» يوم رآها بصحبة «غزلان».

.. هى بعينها يا أم سمير.. وانا لا انسى وجها واحداً مر على فى الليمان.. واقسم على كتاب الله.. هى ايناس منصور «القرش».. جاءت للقناطر محكومة بثلاث سنين فى قضية سرقة.. اذ سرقت مجوهرات مخدومها السائح الخليجى وهربت الى الاسكندرية وقبض عليها هناك.. عاشت فى السجن ملكة متوجة لانها كانت عشيقة «حسنية بدوى» تاجرة المخدرات التى تحكم عالم المذنبات خلف القضبان.. ورأت «دلع» لم تحصل عليه مذنبة فى تاريخ

القناطر.. احسن اكل.. واحلى شرب واغلى سجاير.. ولا عمل لها الا الرقص ليلاتى على انغام المسجل فى زنزانة الست حسنية التى كانت تشجيها انغام «لسّه فاكر» بالذات.. ترقص عليها إيناس.. وتبكى حسنية.. ثم تدفن دموعها فى صدر حبيبتها!..

ولم يكن عسيرا على سيد العجاتى ان يتحقق من رواية الصول عبدالسلام!! وكانت صادقة فى كل حرف منها.

ـ كارهنى انت يا باشا بلا سبب! ذنبى الوحيد اننى زوجة حمادة!.

ـ الحب والكره خارج الموضوع يا إيناس مصطفى القرش.

امتقع اللون الخمرى فى الجبين وان لاح تورد خفيف فى الخدين! كان السهم قد صادف موضعه.

ـ اى حجة تلقيها على مسامع «التيس» زوجك حين يحل موعد الزيارة الشهرية وتهرعى الى حسنية بدوى فى القناطر؟.

تحولت الخمرية المتقعة فى لحظة الى لبؤة.. هبت واقفة.

ـ استقبلتك كضيف وقدمت لك التحية.. وليس لك عندى كلام ولا سؤال.. مع السلامة بشراسته المهنية هب بدوره وامسك بذراعها.

ـ عودتك «لأوتيل» القناطر اسهل عندى من خلع حذائى.. استطيع ان اجردك من كل شيء!

ـ ماذا تريد منى؟

ـ حمادة غزلان!

ـ هو عندك.. ان شاء الله تأكله او تقطعه وترميه للكلاب!

ـ كل اسراره عندك..

.. رشقت عيناها فى عينيه بنظرة تأمل واستهانة.. والتصقت به..

وزكمت انفـها رائحة عـرقه الحمضى ولكنهـا لم تزعجهـا.. احست بتوتر عضلاته.. فهمست بنبرة مفاجأة «فراشية».

ـ حمادة لا يأتمن مخلوق على اسراره.. ولا حتى امه!.

.. ما بقى من برودة الـتكييف افتـرسه جهـد مكتوم.. تسلل ليـجعل الحجرة اشبه «بالحمام التركى».

.. حبيـبات عرق خفيف على ارنبة انفـها.. بينما تفجرت مـسامه هو كالميـازيب... ماذا تفـعل يا سيـد يا عجـاتى فى بيت حمـادة غزلان بدون سبب وبدون مقدمات وبدون اذن تفتيش؟..

.. عصرية ملعونة ولا لزوم لها على الاطلاق.. والصهد المنبعث من امرأة غزلان تخالطه رائحة يعرفها سيد.. وتخفق لها طاقتى انفه فى نهم!

«بلغ» سيد فى سن مبكرة! لم يكن قد أتم الثـانية عشرة حين طرأت عليه علامات الذكر البـالغ.. فى البداية لاحظ الآخرون ان صوته قد اخـشـوشن.. ولاحظـت الست ام ممدوح تلك البـقـع فى «لبـاسـه» والرائحة المكتومـة فيه.. وذات صباح جرته الى الحـمام.. «كانت قد انقطعت عن الدخول معه وتحميمه بنفسها منذ فترة قصيرة.

ـ اسمعنى يا مقرف.. اصبحت رجلا.. والدين يأمر بأن تستحم كلما اصـبحت مـحـتلمـا.. والنظافـة ايضا.. وانـت تعرف ان عـينى بهـا حساسية وتراكم الرائحة يؤذيها!

وبعد مـرحلة الاكتشاف بدأ الجنـون واصبح الحصول على الانتـشاء والوصـول الى ذروة اللذة هو الشـغل الشـاغل.. وفى بيت مـتطهـر تحكمـه الست ام ممدوح وتشيع فـيه تحـذيرات وتنبيـهات وممنـوعات الشيخ سـعد لم يكن هناك سبـيل الا الاشباع الذاتى!.. كأن يفـعلها بشتى الوسائل التى سمع عنها والتى ابتكرها وقد اختار صورة ملونة

للمنجة «س..» تبرز نهديها النصف عاريين لتكون المثير الذى يهيئه للممارسة.. فى ذلك الوقت لم يكن جهاز الفيديو كاسيت قد ظهر وكذلك شرائط الافلام «الثقافية».. وكانت افلام البورنو حكرا على الاغنياء الذين يمتلكون آلات عرض سينما ٨مم.. اما امثاله من ابناء الطبقة «المستورة» فلم يكن متاحا لهم غير الصور الخليعة تباع عند مروجى الخلاعة فى السر كبيع المخدرات.. وهناك ايضا «مثيرات» ثقافية تؤدى غرض التسخين كمذكرات «ايفا» واوراق اخرى تسمى «رجوع الشيخ الى صباه!..

حتى جاءت «عطيات»!.. مطلقة فى العشرينات.. فائرة الجسم.. مرحة.. ليست أبداً كخادمات الشقق المفروشة اللاتى يتبعن حمادة اليوم.. فهى خادمة أولاً وأخيراً.. وما حدث بينها وبينه او بينها وبين «نبيل» كما يؤكد الشيخ سعد.. او بينها وبين الشيخ سعد نفسه كما يقسم نبيل فمسألة جاذبية لا اكثر.. لا اكراه فيها ولا ضغط.. ولا يدفع عنها مليم احمر!.. وكانت المرة الاولى فى حجزة الغسيل على سطح البيت.. حملت عطيات «سبت» الغسيل ورنت اليه بغمزة وهى تصعد السلم الى السطح.. احس ببرودة فى اطرافه وخلخلة فى ركبتيه وتقلص فى امعائه..ولكنه صعد خلفها.. كان لجسدها نفس الرائحة التى تصدر الآن عن «نوسة» كبخار الصهد.

«فى حجرة الغسيل ايضا كانت تختلط رائحة عطيات بالبخار المتصاعد من «بستلة» الغلية.

لن نفعلها على ارض الصالون! تعالى.. عندنا حجرة نوم للضيوف.. نظيفة ومغلقة.

ـ حماده يعشق نوم «القيالة» ولعله فى الطريق.
ـ لاتخف.. اخبرنى بالتليفون انه سيذهب الى الجيزة.. عنده مشكلة فى بيت الاولاد.. خطوات فى ممر طويل.. الممر بارد لان التكييف «سنترال».. لكن العرق يتصبب عند الحجرة وقبل ان تفتح نوسة الباب استدارت له وقدمت شفتيها.. ولكنه صفعها بغضب جنونى الم به.. والقتها الصفعة على الارض واندفع هو خارجاً تطارده العفاريت!.

عفاريت القّيالة..

حين ايقظه صوت سمية فى التليفون من غفوته الصباحية واخبره ان «شيرين» لم تعد للمنزل منذ الامس وان اجلال اشعلت الحريق فى كل من حولها.. رأى بعينيه عفاريت «القيالة» تلك التى حكوا له عنها فى طفولة البعيدة.. حين تظهر اشباح الظهيرة فى الدروب الخالية بعد ان يأوى الجميع الى فراشهم ويغرقوا فى نوم «القيلولة»!.
مررن امام ذاكرته كصور صندوق الدنيا.. بنات فى سن «شيرين» أو أصغر.. معظمهن يبكين وكلهن يشرن اليه باشارات بذيئة.. واندفعت نحوه اصغرهن.. تلك التى جلبها من اسكندرية وهمت بضربه بقرن غزال.. لولا ان دخل فرج بكوب الشاى وتعميرة الظهيرة.
ـ افرض اننى ملعون وابن ستين كلب.. فأين كانت امها؟.
تعود فرج ان يسمع احيانا دون ان يرد لانه يعرف حمادة جيدا.. فهو حين يتعكر مزاجه يكلم نفسه ولا يحب ان يشارك احداً فى الكلام.
ـ طلبت بسلامتها ان تربيهم بعيداً عنى وتركتهم لها.. وها هى تفسد

رببتهم.. دخل محسن العرايشى وحمادة يصرخ.. البنت باتت برهّ!..
ولم يكن ميالاً لمعرفة من هى البنت التى يتحدث عنها غزلان فقد
كان مهموما.. (المسألة لن تنتهى على خير يابو سمير.. مباحث
صانية على مباحث آداب على نيابة.. وكل ساعة يدخل لى احدهم
المعرض وهات يا أسئلة..)
احس حمادة بأصابع ثلجية تقرص مصارينه وتنسيه للحظات اجلال
واولادها..
- ولماذا ابتعدوا عنى انا؟.. مجرد سؤالين فى اولها ثم وش الضيف..
ناوله مبسم الشيشة. «جبد» نفس كأنه طلوع روح الأبعد.. توهجت
قطع الفحم المشتعلة وتناثر الشرار.
- امض يا فرج..
ولكن حمادة نهض منسحباً.
- خذ راحتك يابو المحاسن.. سأخطف رجلى لشارع الصناديلى ثم
اعود شيعه العرايشى بضحكة هازئة وهو يطلب منه ابلاغ سلامه
لاجلال.
- الله يكون فى عونه!.. تعرف يا زفت الطين يا فرج ان ربنا اذا انزل
نقمته بعبد من عباده زوجه امرأة كإجلال.. (لا ينسى القنفذ ما فعلته
به اجلال يوم عاشوراء اياه حين استضاف «سمير» على زجاج بيرة
فى كازينو الحمام.. (الولد رأسه خفيفه! شوب واحد اسكره..).
انتظرت اجلال فى البلكونة وحين لمحت السيارة تدخل الشارع فى
ثانية كانت امام البيت.. وحين رأت سمير يترنح ويضحك.. جرت
القنفذ من ياقة السترة.. وامام العالم اللمامة فى الصناديلى مسحت
به ارض الشارع.

عـمرك رأيـت مره تضـرب بالبـوكس ولا مـحمـد على كـلاى؟..
وشرفك ادخلتنى المستشفى.. جراحة فى الفك.. بنت الهرمة).. ولم يخط خطوة نحـو شارع الصناديلى بعـدها! وابلغـه حمادة بـقرار ام الاولاد.. ممنوع منعا باتا اقتراب مـحسن العرايش من «ضل» اى ولد او بنت فيهم!.

دق جرس التليفون.. ورفع محسن السـماعة.. كانت نوسة تبكى فى هيستيريا.. وتحكى ما حدث وتطلب من مـحسن ان يغيثها!.. وحين اخبـرها ان حمـادة لم يعد مـن الجيزة بـعد.. رأى من خـلال زجاج المكتب طيف العـجاتي!.. كـان مشتـبكا فى حوار يبـدو عاصـفاً مع ضبـاط المباحث الجنائيـة ووكيل النيـابة.. لحظتهـا عاد حـمادة يسب ويلعن.

ـ مـشـوار اونطة! البنت شـيرين تـأخرت عن بنـت خالتـهـا ونامت هناك.. انقـلـب نظام الكون عند امــهـا «المجنونة»! مــره نكد تورث الفقر!.

.. لون بشرة حـمادة الاسمر الغـامق تحول الى الصفرة الكالحـة حين اخبـره محـسن قبل ان يغـادر بما قالتـه نوسة فى التليـفون!.. طلبـها وسمع منهـا بنفسه ثم انقطعت الكهـرباء.. وصمت جهـاز التكييف وبدأ حماة غزلان ينزف عرقا.

الممر خـارج المكتب لا يوجد فـيه غـير عـفاريت القيـالة.. «هذه المرة جنود الشـرطة.. وضبـاط يونيفـورم واثنان ملكى.. ووكيل النيـابة.. وعمال الكافتيريا الذين خرجوا بعد انقطاع الكهرباء.».

ـ كلمة لو سمحت يا باشا.

سمع سيد نداء حمادة فالتفت الى حيث وقف فى مدخل مكتبه!..
ترك الآخرين وتقدم نحوه.. وفى عينىّ حمادة رأى سيد قصة الساعة المنقضية.

فى المكتب حيث اغلقه حمادة.. كانت السخونة المشبعة بدبق الرطوبة تزحف على الخشب والزجاج وجلد المقاعد وتتقاطر فى عرق حمادة الساقط من شحمتى الاذن وارنبة الانف.. اما سيد فكانت تنشع من قميصه الملتصق باللحم.. ومازالت رائحة التصاقه بنوسه تفعم منخريه.

- اى سر بيننا تغلق له الباب يا بن خضرة؟

- حرصاً عليك يا باشا.. او تفضل ان يسمع فرج والسادة الواقفين بالممر حكاية تهجمك على بيتى وجماعتى؟.

.. جلس سيد وقد داهمه ذلك الاحساس بالخطورة والخطأ.. لكن حمادة بقى واقفا.. كان ظهره للنافذة الزجاجية العريضة ذات الضلف من «الألوميتال».. والضوء خلفه فبدا لعينى سيد شبحا من السيلويت.. يظهر اكبر كثيرا من حقيقته.

- ربما اكون فى نظرك اقذر الرجال واكثرهم نذالة.. من حقك ان ترى فى ما تريد! ولكنى مع كل العيوب والعبر والبلاوى الممسكة بذيلى وذيول من انجبونى امتلك فضيلة واحدة على الاقل وهى رفض لان يعتلى احد بيتى او ينقب جدارى! سعادتك لم تحصل على اذن تفتيش.. ولست من اهلى واصدقائى.. فبأى عذر تطرق بابى وتدخل لامرأتى؟.. ماذا كنت تريد منها؟ تريد ان تضاجعها؟.. ومركزك؟.. ووظيفتك؟ وسمعتك؟.. تضحى بكل هذا من اجل لحظة رعشة على فراش غيرك؟.

- هل قالت لك هذا الهراء؟.
- نوسة لا تعرفك ولا يوجد بينكما ما يدفعها للافتراء عليك وحتى اذا فرضنا انها تكذب.. المهم ذهبت سعادتك ودخلت بيتى ام لا؟.
فى قفزة مفاجئة سبقته يده إلى خد حمادة..
- تستجوبنى يابن خضرة؟.. تتحدث عن بيتك وامرأتك كما لو كان البيت جامع والمدام شيخة سجادة!
لم يتحسس حمادة موضع الصفعة ولكنه مسح عرقه من على جبينه بظهر ابهامه.. بينما راح سيد ينزع المناديل الورق من علبتها ويبللها ويلقيها.
- كل ما فات كوم.. وهذه الصفعة كوم آخر يا سعادة المقدم سيد باشا!.. واقسم برحمة امى ستدفع ثمنها.
وحين رفع سيد يده مرة اخرى صعرّ له خده.
- اسمعنى يابن خضرة.. يمكننى ان احل عن سماك للأبد! سأطلب نقلى ولن ترانى ما بقى لك من عمرك النجس! بشرط.
اقترب منه حتى تمازجت الانفاس.. رائحة الحشيش مختلطة برائحة البخر المرّ لفم لم يتناول اى زاد.. وبقيا يتبادلان التنفس الصامت لحظات مرت فى الحر اللزج وكأنها تنزلق على حوافه الملساء.. على زجاج النافذة حطت ذبابتان تتبادلان الطنين فى الاقلاع والهبوط كان سيد يحس باقتراب اللحظة.. ويحاول ان يقتنصها.
- بينى وبينك.. امر لا علاقة له بتجارتك الرائجة ولا بزبائنك من الطيور البيضاء ماركة «ابوساهر».. ولا ببناتك ونساءك وشقتك

الم ولمة واسطول «الشغالات»الذى تسخـره فى اعمال «السيـاحة»
فى تدبرها.. امر يخصنا نحن الاثنان فقط!
كانت لحظة اخرى لا يريد حمادة غزلان ان تفلت من يديه.. لحظة
يمد لسيد العجـاتى.. «سأقيم لـيلة عرمرية اهرق فـيها عـشرات
الزجاجات واحـرق «فـرشـين» من الحـشـيش الاصلى لو صـدق
وصدقت اللحظة.
اجبنى على سؤال واحد.. بعدها لن تسمع عنى ولن ترانى.
بلهفة طلب منه حمـادة السؤال.. «غـامت المرئيات فى عـينين يقطر
بينهما دمع مالح ساخن.. واضطربـت معدته بشدة واوشك ان يتقيأ..
كان الأمر اشـبه بما حدث له بعد حـقنة البنج يوم جراحة البـواسير..
رأى ذلك النفق والاضواء المتقاطعة ولكنه لم يفقد الوعى.
- يوم رأيتك وانا فى سيارتى امام مطعم نعمة.. ولمحتنى فأسرعت بدفعها
الى سيارتك وانطلقت هاربا.. من التى كانت معك؟..
استدار حمادة نحو الضـوء.. مازالت قطرات العرق تتساقط من انفه
ولمحـمتى اذنه والتصـقت الدشداشة المبـلولة بصدره الذى تتصـاعد
انفاسه متسـارعة.. وعلى الوجه تنـتشر فى بطء ابتـسامة لم يرسـيد
مثلها فى حـياته. ولا يمكن ان تعنى معنى محـصورا فى شىء بعينه.
الحقد او الغضب او التشفى او حتى وقاحة العهر.
- لم ترها.. اليس كذلك؟.
- من هى؟..
اتسعت الابتـسامة المراوغة فتكور لـها الخدان واصبح العينـان ثقبين
اسودين يملآن المحجرين.

ـ اذ كنت قـد رأيتـها فـأنت تعـرف من هى.. واذا كنت تشك فـقط فـتمـرغ فى شكك!.. شـريان صـاعدان من جـانبى العنق.. لجـانبى الوجـهين لمنطقـة الوخز فـوق القذالين.. امـتلأ بدمـاء ساخنة تـفرغ بعض اندفاعاتها الى العينين فتتلون المرئيات بلون الدم.

ترامت صرخـات حمادة غزلان للجـميع فى الشارع بين البـرجين.. فانطلقوا الى المكتب وتكاثروا على سيد العـجاتى وحملوه بعيداً عن حمادة غزلان الذى ينزف من فمه وانفه بغزارة.

اضطجع سيد علـى الكنبة الخلفية فى سيـارة ذلك الرائد من المباحث الجنائيـة.. وجـذب نفـسا عـمـيـقا من سـيـجـارة عطنة.. اى صنف يستعمله هذا الفتى؟.

يسألونه جميـعاً لماذا ضرب حمادة غزلان؟!.. ولـم يكن بوسـعه غير تجاهل السؤال ودخـول شرنقته.. «الكلب يكشر عن انيـابه ويستدير ليهاجم من يطارده.. وينشب انيابه فى ذيله..».

كان القوام ولون الفستان يؤرقانه.

لم ير وجهها.. كان ظهرها له.. ووجهها لحمادة غزلان.. لكن القوام قوامها.. والفستان ذو اللون السـماوى هو نفسه الذى اشتراه لها من لندن خلال المهـمة الرسمـية التى اوفد فـيها الى بلاد الانجليـز.. كان على يقين يخلخله شك ممض.. حتى ليتمنى احيانا لومات!.

حـــال الدنيـــا

تتغـير الدنيـا دائما ولا تبقى على حـال.. الا البحـر.. كان هاجسـها الذى استـيقظت عليـه منذ الصبـاح.. ومعـه اغنية اليوم.. مـقطع من فيروز «اطلعى يا عروسة بما كرمنا فيه عنب..».

تصنع الام شرائح «التوست» وطبق الجبن وتطلب من صغرى بناتها «رنا» ان تضع معدات الشاى فى التراس.
ترمقهما شاهندة من عينيها النصف مطبقتين.. ثم تعود ثانية الى البحر «طول الليل تدخن بشراهة افسدت شهيتها تماما ولن تستطيع بلع لقمة واحدة..».
ـ الشاى فقط.. من غير لبن ولا سكر!
اين نسيم البحر؟ اليس ظاهرة جغرافية حتمية؟.. لا ظاهرة ولا حتمية ولا يحزنون.. فالجو من صباحية ربنا «زمته».. والرطوبة تعشش فى الانفاس والملابس وتكسو الجلد بطبقة لزجة مقرفة.. اما ما تفعله فى الشعر فهو كارثة.
ـ مهما كان! الحال هنا بالقياس الى نفس الموجة فى القاهرة يعد جنة!.. البحر يتثاءب.. ولا يوجد به خط ابيض واحد. مساحة من الزيت الازرق فى العمق.. والاخضر عند الشاطئ.
ـ تماما كالبيسين.. تنزلى يا شاهندة؟.
هزت لها رأسها رافضة.. فجرت رنا وحدها وراحت تخوض المساحة القريبة الضحلة قافزة ثم القت بنفسها «حصلت على بطولة المدارس فى السباحة». ابتسمت لنفسها حين تذكرت ايام «الجمباز التوقيعى» فى المدرسة وكلام «مس هدى» المشرفة الرياضية عن روعة جسمها ورشاقتها.. كانت تتنبأ لها ببطولة الجمهورية لو استمرت!..
عواطف هانم رشيد رفضت بشدة «هى صاحبة الامر والنهى.. فالاب فى الكويت يعمل مستشاراً لوزارة ما هناك ويجمع ثروة..

وعليها ان تعد بناتها للاستفادة بهذه الثروة فى اصطياد ثروة اخرى.. خصوصا شاهندة درتها المفضلة».

.. طلعت العروسة تنقى عريس.. رماها الهوى ونقاها العريس.. الدنيا تغيرت مرة اخرى بعد عودة المستشار محيى شاكر من الكويت.. واكتشافهم ان الثروة تتآكل كل يوم.. ولابد من خطة انقاذ مكثفة.. بتوسيع دائرة الصلات الحميمة والعلاقات الاجتماعية.. والانفتاح على شرائح الدنيا الجديدة.. ثلاث بنات يحلوا من حبل المشنقة.. وكل واحدة تساوى وزنها ذهبا..

تفوقت عواطف هانم فى قدرتها على تنظيم الحفلات واجتذاب الضيوف المهمين.. وفى حفل منها جاء ضيف من اصدقاء الاب.. وبرفقته شخص ملفت للنظر بشدة.. قالت عنه «داليا» البنت الكبرى انه يشبه «ابوشبت». هضيم الوجه.. منسحق الجبهة يضع «باروكة» ظاهرة على صلعته.. وقدموه باسم «حمادة» بك!..

دخلت عليها عواطف هانم حجرتها قبل ان تنام.. كانت تبتسم وتدللها كعادتها كلما ارادت ان تقنعها بأمر ما.. وهمست لها.. «لقطة.. ملياردير.. سيشترى لك فيللا مما جميعه ويودع باسمك نصف مليون اخضر فى البنك.. وسيارة جديدة.. غير الذهب والجواهر والملابس الفاخرة.. عمره سبعين سنة.. ولايريد غير شهل عسل واحد على سنة الله ورسوله.. وشهر يفوت ولا حد يموت!.

ـ زوجيه داليا..

ـ عرضنا واعتذر.. يريدك انت!..

في اليوم التـالى تغيرت الدنيـا.. رأت «سيد العـجاتى» على رأس الحملة التى ضبطت شبكة «العاهرات» فى العمارة المقابلة.
شاهندة تتمتع منذ نعومة اظفارها بشخـصية عملية وتفكير عقلانى.. كان ابوهـا يردد انها تسـبق سنها.. ولم تكن هى تؤمن بمسـألة الحب من اول نظرة وتعتبرها تخـاريف ناس مجانين.. ومع ذلك كانت فى اعمـاقهـا رومانسيـة تماما.. تدمع عـيناها لمشاهد الحب على الشـاشة وتسـمع اغانى عـبدالحليم وفـيروز لاتمل ولا تكف عن الاتجـاف اذا سمعت «الـليالى» او «باكتب اسمك يا حـبيبى».. عمرهـا ما احبت ولكنها كـانت تنتظر بفروغ صـبر.. ولعلها كـانت تبحث فى عـقلها الباطن عن مخرج او مفر من العرض الذى تتحمس له الأم..».
- تقدم لى بسرعة!
طلبتها من سيد.. وانفجر غضب عواطف هانم يزلزل اركان البيت.. وواجهـتها شـاهندة بهدوء بارد صلد.. وعـبارة القتـها امام الجـميع.
«ساحزم ملابسى فى حقيبـة واذهب مع سيد للمأذون ومنه الى عشة على سطح بيتهم فى السيدة زينت.
.. وكانوا جميعا يعرفون انها ستنفذ وعيدها بالحرف.
- انا جدعة وقت اللزوم واعجبك!..
قالتـها لسـيد وهى تبلغـه بموعد تحدد له لـيحضـر ابيه وامـه ويقرأوا الفاتحة!
مجنونة وفقرية كـأبيها تماما.. تفضفض عواطف رشيـد - بسلامته لم يعد يتحمل حر الخليج والامراض ركبته هناك.. كأنه معجون بعجينة بسكويت.. رجع وبعد اربع سنوات من رجوعه كان كل الرصيد قد

تبخـر.. ماذا نفـعل؟ وماذا يفـعل لنا معـاشه من الحكومـة؟ ثم تجىء المجنونة وترفض ان تصبح مليـونيرة فى شهر واحـد.. وتتزوج واحد اى كلام اهله يأكلونهـا بدقة فى حوارى السيـدة زينب!.. ضابط؟.. وماذا يعنى حـضرة الضابط؟.. ربعـمائة جنيه فى الشـهر؟ اى خيـبة واى وكسة!! عـشر سنين.. ولا يستطيع ان يكسوها الا بفـستان فى اول الصـيف وفسـتان بمطلع الشـتـاء.. من يصدق؟.. شـاهندة التى دخلت له بأربعين طقم وعشر ازواج احذية.. ودهب يملأ زكيبة!.

تزايد عليهـا شريفة صـديقتهـا المقربة «ومـازاد وغطى انه يا حبيـبتى عـقـيم.. لا ينجب» ولكن الست عـواطف لهـا رأى آخـر.. «قـولى الحمـد لله لانها لم تنجب منه.. يتركـها بالمعروف وستكون خـالية.. تصـدقى؟.. للآن يقـدم لنا عـرسـان يطلبـونهـا.. ومنهم القـديم ذو السبعين.. هو الآن طبعـا فى الثمانين.. ولكنه مازال يتمناها.. ويريد شهر العسل الذى يحلم به معها ولو مات فى اليوم التالى.».

ـ طلعت العروسة تنقى تين.. نظر لا الناطور وقلبه حزين..

.. وآه من الحـزن يا شـاهندة.. وحـزنك انت بعـرض هذا البـحـر.. ساكن مـثله وقد اخمـد الغيظ انفاسـه!.. حزنك لا يتحـرك.. سقط داخلك كالحـجر الجاثم لا يريم.. حـملت بحسـرة دائمة لا تولد من رحم.. ولكنها تثقل كل اطرافك.. كـان حبك لسيد جنينا يوشك ان يولد ولكنه اجهض قبل ان يستوفى شهوره.. لماذا لم تكن اكثر حنانا يا سيد؟.. لماذا لم تكن اقل قسوة؟..

«غلطتـك يا شـاهندة! تزوجت رجـلاً يكرهك اهله ويكـرهه اهلك! تقطعت الخيوط قبل ان تتصل وحاصرتك معه جدران العزلة والوحشة

ولم يعوض احدكما الآخر! لم يكن الفقر هو آفة سيد الوحيدة..
فاطلع منه ذلك الاحساس بالنقص وجنون الشك الذى يحوله الى
رجل حقيقى».. حاولت شاهندة ان تفعل كبنات الناس.. فلجأت
اولاً الى الست ام ممدوح.
سيد اكثر اولادى وداعة ورقة.. ابحثى عن سبب ثورته عليك وشكه
فيكى وحاولى ان تتحشمى ولا تلفتى انظار الرجال.
لم كرهت هذه السيدة يومها وندمت على لجوئها اليها.. ولكنها
قامت بالخطوة التالية وذهبت الى نبيل العجاتى وزوجته بثينة
السمالوطى.. وفاجأها نبيل «وما الذى يجبرك على تحمل هذا كله..
اتركيه واطلبى الطلاق.. سيد كان رومانسيا زمان.. ولكنه دخل
معهداً لصنع الطغاة وتخرج منه كلب سلطة.. نزعوا قلب الانسان
من جوفه وزرعوا بدله «جزمه» ميرى.. لقد رأيته بعينى هاتين يعذب
احد المشبوهين وهو يستجوبه.. اتعرفين ماذا فعل؟ امر واحداً من
زبانيته بإيلاج عصا فى دبر الرجل!.. ماذا تتوقعين من حيوان يأتى
مثل هذا الفعل؟»
وتحسرت بثينة السمالوطى وهى تحدثها عن الغلام الرقيق الودود
الذى كان يحمل الرسائل بينها وبين الشهيد ممدوح.
- تغير والناس تتغير.. الدنيا كلها تتغير.. انا اراه الآن فى المناسبات
واحس بفظاظته.. فتفاهمى معه بهدوء.. لا تحاولى استفزازه فيسىء
معاملتك اكثر.
.. حدث ذلك بعد عامين فقط من الزواج.. قررت ان تجرب وتقدم
على المحاولة.. «فغضبت» عند أهلها وطلبت ان يطلقها وكان رد

فعله جنونيا «اشتغل لها ولأهلها فى الازرق وحول حياتها الى جحيم.. ثلاثة شهور كاملة يذوقون الويل والرزالات على كل لون.. حتى عادت صاغرة..» اسدلت الستار والقضبان واصبح سيد العجاتى سجانها.. وهو لايدرك انه لم يسجن فى بيته غير كتلة من الاحزان.. يعاشرها ويضاجعها. ويغار عليها فيضربها ثم يشكوها لأهلها ويتهمها بالاسراف والتبذير وبأنها «لاتشبع» فلوس.

«ياحسرة.. مرتبه لا يكفى لنفقة البيت نصف شهر.. والباقى استدانة.. وانا يا عالم شابة فى عزى.. اريد ان البس واتعطر واصفف شعرى واخرج وادخل مسرح وسينما واتجول فى السوق.. واشترى.. هل توجد امرأة فى العالم اليوم لاتتمتع بالتجول فى الاسواق.. ولو حتى سوق الخضار؟».

.. نقلت الشمسية على حافة المياه.. واستلقت.. اراحت قدميها فى دفقات موج ناعس متردد.. واستعذبت دغدغة انحسار الرمال مع تراجع المياه.. سمعت صوت الست تتشاجر مع الأب.. واحست برنا حين خرجت من المياه ترتمى بجوارها.. وتهمس لاهثة.

ـ اختى.. ما هو منخفض الهند الموسمى؟..

ـ اسألى بابا..

يقترب النعاس ويغافل عينيها من تحت نظارة الشمس.. ومسامها تنز عرقاً.. تمنت لو تخلع «روب» البلاج وتظل بالمايوه.. «حذرها سيد واقسم انه لو علم انها نزلت البلاج بالمايوه لشرّح جسدها بالسكين».. ولكنه ليس هنا.. لا احد هنا.. راحت العبارة تتردد فى صدرها الأغنية على اسطوانة مشروخة..

- انا وحدى..

الصمت صورة سيد بإصرار.. وفى الغفوة الوسنانة حلمت بالوجه الهضيم والجبهة المنسحقة والانفاس المفعمة برائحة الحشيش.. وبالصوت المشروخ.. يهمس.

- الرجل مازال متيما والعرض قادم!.

«يا ابن الكلب انا متزوجة..» يبتسم ليكشف عن اسنانه المسودة.. وخيّل اليها انه يقول دون ان يفتح شفيه.. «ورحمة امى لأفعلها به كما فعلها بى..».

نادتها رنا..

سمعت اسمها وكأنه يأتى من غور سحيق.. «شاهندة.. شاهندة.. سيد على التليفون..».

.. بترت التعسيلة.. وهبت واقفة.. وخلعت الروب.. وتهادت «بالمايوه» تضرب المياه بقدميها.. ولا تلقى بالاً لنداءات رنا..





[٤] سعد ونبيل

صباح اليوم التالى

صوت هذه السيدة ــ عواطف رشيد ــ يفعل به الافاعيل. يثير جنونه ويحوله فى لحظة إلى كائن مشحون بالكراهية وقابل للانفجار... (شاهندة مشغولة ياسيد.. وستطلبك بعد ساعة...)... سبها وسب شاهندة وراح يضرب التليفون بسماعته حتى حطمه.. فى السيارة كان يواصل غضبته الصباحية فيقذف باشرطة الكاسيت التى لايريد سماعها على طول ذراعه.. ولكنه عثر أخيراً على الشريط الذى يريد..

كان فى طريقه إلى «المعمعة»..

تقدم أحمد ربيع عبدالحىّ الشهير بحمادة غزلان بشكوى عاجلة الى اللواء مدير الأمن.. وأحالها اللواء مدير الأمن الى العميد رئيس إدارة حماية الآداب.. وتلقفها عاطف خلف وهو يتلمظ اخطره بوجوب المثول أمام محقق موفد على وجه السرعة من إدارة التفتيش.. وبداية يوم ملتهب آخر.. (زمان كانت موجة الحر تنتهى

بعد يومين أو ثلاثة.. أما في السنوات الأخيرة فهى تبدأ ولاتنتهى.. يقولون فى النشرة الجوية أنها موجات متلاحقة بسبب زحف ذلك المنخفض اللعين.. الذى يبدو أن «المطرح» أعجبه فاستقر لايريد أن يبرح).. وشاهندة لاترّد.. أو لاتريد أن تردّ... وعبدالحليم يغنى..

ــ فين راح الشوق من قلبه.. والرقة والحنّية...

ووجوه الناس فى الشوارع مصفرة مكتئبة.. وفى علب النقل العام كل الحواجب مقطبة والشفاة مزمومة والنظرات إما كابية مكسورة.. أو زائغة لاتستقر.. وعند الإشارة كان شرطى المرور يتشاجر مع سائق تاكسى وهو يسجل المخالفة فى دفتر بيده..

تشمعت طاقتى أنفه مع هبة هواء ساخنة ونظر الى المرآة فاكتشف أن فمه مفتوح وأنه يكاد يلهث كالكلاب.. وحين أطبق فكيه شعر بحرقان الزور وجفاف الحلق (ما الصلة بين اللعاب والعصا؟.. يقولون أن ريقه أصبح كالعصاية!.. وهل تدخل العصا في الفم؟.. نعم كما تدخل فى الدبر ياسيد ياعجاتى!).

حين حكى نبيل حكاية العصا للأم لم تصدق واتهمته بأنه يشنع على شقيقه.. ولكنه أقسم لها «برحمة ممدوح».. وهو قسم لايمكن أن تكذبه..

ــ ماذا جرى لك ياولد؟... فى صغرك كان الجيران يقولون ابنك سيد «بنوته» من فرط حيائك وهدوئك ورقتك.. فماذا حدث؟ أحقاً مثلما يقول نبيل أنك تعلمت الوحشية وانتهاك حرمات الناس فى الكلية؟

ياأمى نبيل يتكلم فى السياسة وأنا لاشأن لى بها!.. ومعاملة

المسجون السياسى أو المعتقل تختلف تماما عن معاملة المجرم.. أنا العامل فى إدارتى مع أحط وأقذر انواع المجرمين والحقوق التى تمنح لسجين الرأى والسياسة ولايمكن منحها للقوادين!

ـ مهما كان ياسيد.. البنى آدم له كرامة!

... اى كرامة ياست أم ممدوح؟ وهل لأمثال حمادة غزلان كرامة؟ هل تعرفين حقيقة مايفعلون؟.. كلا.. اللفظ والتسمية لايعبران بدقة.. وهم يستحلّون التجارة فى لحم البشر والولوغ فى أعراض الناس مستغلين الفقر والضعف والظروف..

.. ومع ذلك فالسؤال لازال معلقاً بلا إجابة..

ما الذى جعل من «البنوته».. سيد العجاتى؟..

ما قاله للست ام ممدوح قاله للمفتش.. الذى تجهم فى وجهه لضرورة مهنية وراح يستجوبه فى آلية باردة.. وسيد مشغول بفكرة ان الرجل عجيب حقاً.. فهو لايعرق رغم أن الحجرة التى انفرد به فيها غير مكيفة.. وحين وضعوا له «مروحة».. أدار وجهها للحائط.. وقال سيد لنفسه أن الرجل ربما كان كالزواحف ذات الدم البارد التى تهجع فى بياتها الشتوى ثم تفيق وتنتعش مع هجوم «الحر».

فى الحجرة دواليب مطلية بدهان حديث له رائحة عطرة تزكم الأنف وتضاعف من الإحساس بالسخونة والطلاء غالبا من مادة الاسيتون.. والأسئلة والاجابات تطير فى فضاء الحجرة كذباب حوّام لايستقر.. وكوب الشاى امام سيد لم يرشف منه مرة.. بينما تجرع المفتش فنجان القهوة الثالث وتجشأ بصوت مكتوم وهو يغلق «الملف» فى وجه الضابط «الفلتان».

ـ ردودك لاتبرر تصرفاتك.. وملف خدمتك به سوابق.. والضباط الذين تواجدوا أثناء ضربك لاحمد ربيع شهدوا عليك..
ـ تعرف سعادتك من هو احمد ربيع؟
ـ كل ردودك تتحدث عنه.. حفظته.. ولكن كل ماقلته لايبرر مافعلته!
ـ إذاً فليكن ماترون!..
ـ سأوصى بأقل جزاء ممكن إكراماً لخاطر عمك!.. ليتك تعلمت شيئاً من خلقه ودينه!.. من؟.. الشيخ سعد العجاتى؟
أجل سمع اكثر من مرة أنه أصبح «نجما» من نجوم «المساجد»! وقرأ مرة إعلانا عن ندوة يقيمها البعض ويتحدث فيها «الداعية المعروف» فضيلة الشيخ سعد العجاتى!.. سبق زمن فى منتصف العام السادس والسبعين.. حين أقامت الأسرة «ليلة لأهل الله» ووزعت الحلوى والشربات على الجيران.. وكان السبب حصول الشيخ سعد على «العالمية» وأصبح من حقه أن يلقب بالدكتور.. وكفت الست أم ممدوح بدورها عن منادته بالشيخ «رعد».. واتخذ هو سمتا مختلفاً وأسبغ على مظهره مزيداً من الوقار حتى أنه وضع نظارة طبية بإطار من «الدوبليه» الذهبى.. وفصل أربع كاكولات من الصوف الكشمير.. كما اصطنع لصوته طبقة مختلفة أعمق «قرارا».. وتباطأت سرعته فى الكلام وذاد ضغطه على مخارج الحروف حتى بدا وكأنه يترنم بالكلمات ويوقعها.
يقول نبيل أن عمه الشيخ لايبطن مايظهره.. وأنه التحق بالأزهر اضطراراً بسبب تلك السحابة التى شوهت عينه اليسرى!.. من زمان

وهما «كالديوك» لايطيق أحدهما الآخر ولايكف نبيل عن معابثة عمه والكيد له وتدبير المقالب التى تجعل من سعد «نارا على زيت حار».. وتأخذ أم ممدوح جانب سعد دائما فقد كان قريبا من ممدوح.. وتتهم نبيل بأنه «رزل» ومشاكس.. ثم غيرت رأيها بعد ذلك حين سمعت سعد يسخر من زيارتها لام هاشم ويجدف فى حق «رئيسة الديوان»..

ولايجرؤ سعد مهما أصبح دكتوراً على رفع عينه فى الست أم ممدوح.. أو الاحتجاج عليها أو معارضتها فى أى أمر..

«هى أمى التى تلقتنى يتيماً واتسع لى حضنها ولم تقصر فى حقى يوماً.. وكان بعض الجيران ينادونها بأم سعد كما يناديها البعض الآخر بأم ممدوح»..

يكذب نبيل هذا الادعاء ساخراً من غرام عمه بتلفيق القصص واختلاق الأحداث..

ـ كان يرجع كل يوم من المعهد بقصة عن موقف بطولى اتخذه حيال أستاذ من المشايخ أو يروى قصة عن مغامرة له فى الطريق.. ولم يكن شىء مما يرويه حقيقياً.. وزميله فى نفس الصف.. عبدالرافع الوردانى يؤكد أن سعد «كالرجل الخدلانه».. أو على حد تعبيره فى مناسبة أخرى.. أنه كالساعة السويسرى الأصلية لايقدم ولايؤخر..!

وسيد يتفرج على المناوشات المستمرة بين عمه وشقيقه دون أن ينحاز لأحدهما رغم محاولات نبيل الكثيرة لتجنيده واشراكه فى المقالب التى يدبرها لغريمه.. ورغم محاولات سعد العديدة لاستقطابه

والشـهادة لصـالحـه فى واقعـة أو أخرى.. (ذات مـرة نفـحه بقطعـة بسبوسة وربع جنيه ورق ليشهد معه بأن نبيل هو الذى بدأ الشجار.. ولكن الأم «زغرت» له زغرة تحذير.. فاعترف بالرشوة!»).
الطفولة سنوات معشبة.. تجتذب فـراشات الحقل الطنانة كما تجتذب نحل البرسـيم وزنابير البلح.. وعيـون الاطفال لاترى غير مـايقر فى الأعماق لتحـفظه الذاكرة الواعية.. ولكنها تغمض عـما يدفنه العقل الباطن فى أرض عطنه.. ليتحول حين يتقـدم العمر الى عذابات غير مـبررة.. وفى غـفـوة البكور يولد الحب والكراهيـة من رحم الخطايا الخرساء.. وقد حدث ذات أصيل منسى أن رأى سيد ما لم يفهمه الا بعد سنـوات عديدة.. حين صعـد لسبب لايذكـره الى السطح.. ربما كان يريد أن يجمع «البيض» من عـشة الدواجن حين مر على حجرة الغـسيل وسـمع الصوت الذى اجـتذبـه لينظر.. وفى الركن المنزوى داخلها كـان سعد يرقـد وقد احتوى جـسداً بين ذراعيـه ولف حوله ساقيه.. كان الركن مظلماً ولكن سعد انتفض حين رأى سيد وجرى إليه يأخذه بصدره خارج الحجرة.. أعطاه نصف جنيه كامل لينسى ما رأى وهدده بأنه سيذبحه لو تفوه بحرف! كان سعد حينها فى حوالى الخامسة عشر.. أما هو فقد كان أصغر كثيراً.. أرعبة تهديد سعد فلم يجرؤ على ذكر مارآه لأمه.. ولكنه صـارح نبيل.. الذى اصفر وجهه بدوره وعبست مـلامحه وأوصاه بكتمان الأمـر ولكن شاهده بعدها ينفرد بسعد ويتجادلان بأصوات مكتومة انتهت بنقود دسها سعد فى يد نبيل!.. أمـا حين جاءت عطيـات.. فقد كـان الجميع أكـبر سناً.. وكانت حـجرة «الغسـيل» على سطح المنزل تؤدى وظيـفتهـا السرية باستمرارية مدهشة..

على جدران الحجرة المغطاة «بالمصيص» الذى سودته أبخرة المياه المالحة.. حفرت بسن المسمار أسماء سعد.. وممدوح.. ونبيل.. وسيد.. وأسماء أخرى لابناء الجيران.. مع رسم دجاجة وحيوان يشبه الكلب.. وعبارة «الزمالك حديد..» تقاطعها عبارة «الاهلى ممهم وحابس دمهم»..! في مفصل زمنى مجهول البداية انقطعت زيارات السطح ولم يعد أحد منهم يقترب من حجرة الغسيل.. (ربما اولاد آخرين شبوا فى زمن مختلف.. أما هم فقد أصبحت المسألة بالنسبة اليهم نسياً منسياً).

الطريق الى هناك

وهناك غير هنا! هكذا تقول قوانين النحو وقوانين المكان.. وفى سن الثامنة والعشرين رحل سعد العجاتى عن هنا.. عن منزل أخيه والست أم ممدوح ونبيل وسيد.. وأصبح له «هناك» شقة صغيرة بحارة الشيخ البغال المتفرعة من شارع زين العابدين.

كانت «سنية» هى شقيقه رفيق رحلة فى الأزهر الشيخ عبدالرافع الوردانى.. لم تكن جميلة ولكن (الله ينظر الى قلوبكم ولاينظر الى وجوهكم).. وكانت «وش سعد» خضراء القدم ففى شهر العسل عين العريس مدرساً مساعداً بكلية أصول الدين.. ورغم أنها فى البداية لم ترق كثيراً لأم ممدوح إلا أنها بالتدريج اكتشفت أنها جوهرة حقيقية وصارحت بذلك «أبوممدوح».

ـ كنت مخطئة وأقر بخطأى.. أخوك ربنا يحبه فعلاً.. وسنية نعمة لعله يصونها ويحفضها!.. ومن خلال عيون الست دولت رأى الباقون جميعا سنية حرم الشيخ سعد.. حتى نبيل الذى لم يكن بينه

وبين عمه يوماً عمار كان يكن لسنية مشاعر مختلفة تماما.. ويحترمها بشكل واضح بل إنه يغمغم فى بعض المناسبات (والله خسارة فيه!)..

.. ذلك الفصل الواضح بين الشيخ سعد وحرم الشيخ سعد أصبح قاعدة التعامل داخل أسرة «العجاتى» والأسرة الصغيرة المرتبطة بها بالنسب والمصاهرة.. فبثينة السمالوطى زوجة نبيل رغم مابين زوجها وعمه من ود مفقود واستلطاف ضائع الا أنها اصبحت صديقة لسنية ــ الروح بالروح ــ وهى تراها بصفة شبه يومية ضيفه أو مضيفة.. وشاهندة زوجة سيد رأت فيها الملاذ الوحيد فى أسرة سيد كلها.

... وسعد ــ الذى افتقد كثيرا جاذبية القبول.. وعانى فى أعماقه من مشاعر الرفض ونفور الآخر.. رأى فى «شعبية» سنية تعويضاً كافيا واعتبرها النصف المحبوب للآخرين منه وحمل لها فى قلبه اعزازاً هادئاً رصيناً تغلفه النظرة الدينية للزواج.. وترك لها تنظيم كل أموره الدنيوية.. «معها لاأحمل هما لشىء.. فهى تكفينى عناء التفكير فى شئون الحياة اليومية والتصرفات المالية.. وتتيح لى أن اتفرغ لشئون عملى ودينى».. حتى مصروف اليد يتناوله سعد من يد سنية صباح كل يوم..

تقول سنية ضاحكة.. «أعرف أنه لا يدمن أى كيف.. وأنه ينفق مصروفه على المواصلات وثمن الصحيفة اليومية! ربما إذا تأخر اضطر لشراء ساندويتش «عجة» من عند الحلوجى أو تناول وجبة كوارع فى الحسين.. وهذا كل مافى الأمر...».

تهيم عيناها أحيانا بنظرة حزينة.. وتعبر سحابة لاتمطر..
فالدنيا ليست عادلة.. والحياة لاتكتمل فيها سعادة..
ـ الأطباء قالوا لافرصة أمامى فى الحمل الطبيعى.. والأمل محصور فى حمل صناعى خارج الرحم لكن الدكتور سعد يرفض بشدة.. ويعتبره نوعاً من معارضة الإرادة الإلهية.. وكان أن تحدثت بثينة مع نبيل فى الموضوع وطلبت منه بصفته محاوراً ومجادلاً لايشق له غبار أن يحاول إقناع عمه..
ـ انت تحلمين.. سعد يمكن أن يسمع للعالم كله إلا أنا..
ومع ذلك فقد فاتحه.. ومع أن النقاش بدأ هادئاً إلا أنه تحول بعد دقائق إلى مأساة..
سخر سعد بشدة من محاولة نبيل الاجتهاد فى بيان مشروعية مايتيحه العلم وتقدم الطب فى حل مشاكل البشر.. وحين أجابه بذكر بعض الآيات والأحاديث.. تحولت سخرية سعد الى هجوم عدوانى صريح.
ـ إياك أن تهين كلام الله ورسوله بذكره على لسانك فأنت شيوعى ملحد.. وتحفظ القرآن فقط لتتخذ منه مادة تعينك على الجدل والمماحكة!
وغضب نبيل لاتهامه بالالحاد.. ورد له الصاع مضاعفاً.. «بل انت المتنطع الذى لايرى فى الدين غير قشوره.. ولايفقه روحه.. وأنت متخلف و«دوجما»...».
وتفاقمت ثورة سعد واتهم نبيل بأنه يتدخل بينه وبين أهل بيته.. واتهم «بثينة» بأنها تحرض سنية عليه.. وطلب من نبيل بصيغة الأمر أن يمتنع هو وزوجته عن زيارة بيته!

... وقعت الواقعة ى بيت عميد الأسرة.. السيد راشد العجاتى.. وأمام ناظريه وفى حضور الست أم ممدوح.. وكلاهما يحب سنية ويأسى لها..

لكن شيئاً فى اتهام سعد لنبيل بالإلحاد يعتصر مصرانها الغليظ.. ويوجدها على إبنها لذا استبقته بعد انصراف سعد..

ــ لماذا يواجه لك هذا الاتهام كل مرة؟

ــ جهل ياأمى.. والله جهل.. وتهمه يشهرها أمثاله فى وجه مخالفيهم فى الرأى كنوع من الإرهاب والتخويف.. تماما كما كنت تلوحين لنا ونحن صغار «بأبوزبعبع» وأبورجل مسلوخة» و«امنا الغولة»..

لكن الصلة الاسرية بين سعد وابن أخيه انقطعت من يومها.. لأن سعد حلف يمينا بالطلاق على سنية ألا تزور بثينة أو حتى تحدثها بالتليفون.. وحتى حين أقام راشد لأخيه مايشبه حفل توديع بمناسبة سفره الى السعودية للعمل فى جامعة محمد بن سعود.. أشترط سعد على أخيه ألا يدعى نبيل وفشلت كل محاولات انتهاز الفرصة وإصلاح ذات البين!..

... وطار الدكتور سعد وحرمه إلى «هناك».. وظلوا «هناك» ست سنوات كاملة..

... فى العام الثالث أوفدت الوزارة بعثة من ضباطها فى مهمة.. وكان سيد بينهم واتيحت له فرصة ليتصل بعمه ويقابله..

... ولم يكن سعد كما تعود سيد أن يراه.. فقد خلع زيه الأزهرى وبدلاً من العمامة أسدل على رأسه «طرحة» بيضاء.. وأطلق لحيته..

ـ اكتشفت أنكم فى مصر أبعد ماتكونون عن صحيح الدين..
وأنتكم هى هؤلاء المفسدون فى الأرض.. أتدرى مثل من؟..
المحروس اخوك نبيل.. تأتينى هنا كتاباته فى الصحيفة «الحمراء»
التى يعمل بها.. وكتابه المشبوه عن العلمانية.. قل له على لسانى أن
يومه ويوم أمثاله آت لاريب فيه.

الديناصور يضحك

فى ذلك الركن البعيد المنزوى الذى لايظهر إلا حين يمر به ضوء
الذاكرة الباحث أبداً عن أصل أو مبرر أو عزاء.. كان حبه لشقيقه
الذى صارحه مرة فى لحظة تجلى.. «مشكلتى يابوعرب أننى كنت
الابن الأوسط.. سبقنى البكرى وتلانى آخر العنقود.. فلم أحصل
على «معزة الأكبر» ولا دلال «الأصغر».. رقصت على السلم..
وحين حاولت أن أدفع الآخرين بكتفي لأظهر فى الصورة كرهنى
الجميع.

... أنا لم أكرهك ياأخى.. ربما فقط وأنا صبى حين استشهد ممدوح
واورثت نفسك فتاته.. وأنت تعلم من هو ممدوح بالنسبة للجميع..
دموع أمك انهمرت حزنا عليه مرتين.. مرة حين جاء خبر
استشهاده... ومرة حين خطبت لك بثينة ولبست شبكتك!.. وأنت
لم تدفع الآخرين بكتفك بل اخترت أن تكون مختلفاً باستمرار..
معارضاً على الدوام.. وكانت الست أم ممدوح تدعوك دائماً
بالشريك المخالف! وكأنك حين بحثت لنفسك عن مكان بين
البكرى وآخر العنقود لم تجد إلا دور «المثقف» الذى يتميز عن سائر
العوام والجهلة فى قومه.. كنت أدخل غرفتك فأحس بالرهبة

والضـآلة أمـام صـفـوف الكتب والمجـلات علـى الأرفف والمكتب والأرض.. وصورة ذلك الرجل ذو اللحية الكثيفة مجاورة للأصلع الآخـر بنصف لحيـة فى منتـصف الذقن وعـرفت منك أن الأول هو كارل ماركس والآخر لينين وتحتهمـا برواز به عبارة «أيها الشغيله فى كل انحـاء الـعـالـم.. اتحـدوا».. الشـغـيلة ومـلح الأرض.. والديالكاتيك.. والكومـبرادور.. ودكتـاتورية البروليتـاريا.. وفائض القيمة.. والأزمة العالمية.. والماوية.. والترونسكية.. والكيرنيسكيه... و..... و....

وقبـعت أسمع مـايدور لسنوات.. بينك وبين «مظهـر الانصارى».. و«جلال فـضالى» و«شكرى النحال».. مناقـشات وحوارات تحـتدم لدرجة المشاجرات.. و«تلعلع» ليلاتى حتى الفجر.. الى أن أصدرت الست أم ممدوح أمرها غير قابل للنقض أو المساومة..

ـ شلة «عواطليه» وصـيّع لاعمل لهم.. يبحثون فـقط عن «إقامة».. ويختارون أى بيت ليحتلوه كما احتل الانجليز مصر زمان..

.. والحق يقـال يـاأسـتـاذ نبـيل أن «الرفـاق» لايـقـدرون الظروف.. فالبيوت المستـورة كبيت السيد راشد العجاتى لايمكن التـعامل معها كالشـقق المفروشـة وحجـرات الأسطح فى عمـارات وسط المدينة.. وفى بيت الست أم ممـدوح يسـمح باسـتـقـبـال الضـيـوف ويتـسنى إكرامـهم وتقديم التـحية لهم.. بل وفى بعض الظـروف يمكن تقديم وجـبة عـشـاء.. ولكن هذا كله يتم فى إطار الاسـتـثناء ولايمكن أن يكون قـاعدة.. أمـا أن يظل الرفاق الأمـاثل ساهرين حـتى الصبـاح يتناولون وجبـة عشاء فى منتـصف الليل ثم وجبة فطور فى الصـباح

فهذا خروج عن القواعد المرعية.. وقد حدث مرة.. ولكنه لن يتكرر!
ـ أحرجتنى امك مع اصحابى ياسيد.. وعمك سعد هو المحرض ومحراك الشر!... ولكن الصدامات تكررت وانتهت بخروج الشريك المخالف من البيت..

... لم يعلم أحد بدخول نبيل المعتقل إلا الرجال.. راشد وسعد.. وسيد.. فقد «أخذوه» من ميدان الشعلة أمام جامعة القاهرة متلبساً وفى جيوبه منشورات باسم «رابطة الاشتراكيين المصريين».. وبالكاد هرب «مظهر الانصارى» وهرع الى مقهى «زهرة الميدان» فى السيدة حيث أبلغ راشد افندى.. ليلتها قالوا للست أم ممدوح أن نبيل سافر فى مهمة صحفية مفاجأة الى أوروبا لتغطية أخبار سقوط حائط برلين..!

بعد ثلاث اسابيع.. خرج نبيل وانفرد بأبيه..
ـ سعد هو الواشى الذى أخبر البوليس عن طريق «مصباح» ابن عم الست سنيه..

... على طرف سريره.. جلس نبيل ليلة بطولها.. جامداً كالتمثال..
ـ أى بلد تلك التى عاد منها على هذا الشكل؟.. أرايتم عيناه وقد صارتا مثل «كاسات الدم»؟.. قلة نوم؟.. لاأظن.. هو المرض بلاشك..

.. حاول سيد أن يقترب.. ظل بجواره ساعة كاملة.. ورأى الدموع فى عينه لاتنفرط.. والهالات الداكنة تحيط بهما.. همس له أخيراً:
ـ سأتقدم لاختبارات كلية الشرطة..
وانفجرت الثورة.. تشاجر نبيل مع كل من فى البيت طالباً منع

«الولد» من الالتحاق بكلية الشرطة.. وتصـدى له سعد وكشف سره أمـام الست أم ممدوح.. وكان الخـروج.. ماذا فـعلوا بك فى المعتـقل ياآبيه؟..

سـؤال لم يسـأله سيـد ولم يجب عـليه نبـيل.. ولكنه بـاعد بينـهمـا فجعلهـما على شاطئين متـواجهين خاصة حين تخرج سـيد وأصبح بالفعل ضابط شرطة.

أعلنت أم ممدوح الطـوارىء فى المطبخ لتـعـد وليـمـة من ولائمـهـا المعدودة.. التى لاتقام الا فى المـناسبات الكبرى.. «وأى مناسبـة اكبر من تخرج سيد؟ ومثوله بالبدلة الضبـاطى يبدو فيها كفلقه القمر؟»..

وأدلى نبيل بملحوظة عابرة حين دعته أمه لحضور الوليمة :

ــ يوم ظهور نتيـجة الليسانس «بلت» شربات لااكـثر.. وسألتنى عن مـعنى أن اكـون صـحـفـيـاً.. (زى حسـنين هيكل ده اللى بيـقـولوا عليه؟»)..

ــ مبروك ياحضرة الضابط!

قالها فى عناق أحس سيد بفتـوره.. ولكنه بقوة دفّع من الركن البعيد المعتم أمسك باللحظة لايريد أن يفلتها..

ــ إذا كان هناك رجال شـرطة اساءوا معاملتك فى المعـتقل... فليس الجميع مثلهم.. وانا أخوك يانبيل!

ابتسم نبيل ابتسـامته التي تتلوى فى سخرية متعـالية.. وهمس بلهجة استغراب..

ــ ياحبيبى لقد صرت «منهم» بالفعل دون أن تدرى..

بعدها بسنوات.. وعلى غير انـتظار.. وبلا ضرورة.. جاء نبيل يزوره فى مكتبه.

ـ سحبوا منى رخصة القيادة فى الصحراوى! رادار! وانت الكوسة» الوحيدة التى املكلها فى الداخلية!..
ومها بالذات يا نبيل؟ أى حظ عاثر؟.. كأنما قدر لك أن ترى عينيك تحقق نبوءتك.. شهقت بثينة ولم تصدق.. (نبيل؟.. لايُعقل)..
الحقيقة أنها لاتريد أن تصدق.. فكيف لرسول الغرام الرقيق الخجول أن يتحول للشخص الذى يحكى عنه نبيل تلك البشاعة؟
... عصرية فى يوم ربيعى أفلت من محرقة الخماسين.. ونسمات نرفرف بالغسيل بعد أن جف.. جاء سيد يحمل رسالة ممدوح.. (آبيه ممدوح بيسلم عليكى).. دهشت له بابتسامتها المضيئة.. (سلم عليه ووصل له دى) كانت «دى» قبلة طبعتها بسرعة على جبين الصبى!.. تذكر جيداً كيف تعاقبت الألوان على وجهه ساعتها وكيف تلعثم وارتبك ثم طفرت الدموع من عينيه قبل أن يجرى ويختفى من خلال باب السطح...
... واليوم يحكى نبيل أن هذا الفتى يأمر بإهدار آدمية البشر!
ــ الناس تتغير يابنت السمالوطى!
... بنت السمالوطى.. إسم الدلع على لسان نبيل.. يدعوها به دائماً.. فهو دائماً يدللها... لمَ؟ سؤال لايعنى شيئاً ولايحتاج إجابة!
هل شفى نبيل أبداً من عقدة الذنب؟
ـ ذنب!؟.. أى ذنب ياحضرة وأنا أضع لممدوح صورة ضخمة فى صالون بيتى؟
فضب حين واجهه سيد مرة بأن الصورة هى فى حد ذاتها دليل على

عقدة الذنب وليست نفياً له.. (مازلت ياسيد تفكر بعقل الطفل الذى كان!.. ممدوح كان معبودنا جميعاً.. وأنا بالذات لم أشف من حزنى عليه وإحساسى المر بالفقد كلما تذكرته.. ولكنى أحببت بثينة قبل أن ينتبه هو اليها.. أحببتها بطريقتى التى تعرفها.. أنا لاأجيد الرومانسيات وأندفع الى هدفى مباشرة معتنقاً ـ منذ صغرى ـ الحقيقة الرياضية التى تقول بأن أقصر طريق بين نقطتين هو الخط المستقيم.. أفزعتها فجفلت منى.. أقلقت «أحساسها البورجوازى بالأمان» حين حدثتها عن آرائى فى الدين والسياسة.. فى لقائنا الثانى والأخير شهقت وهى تهتف بعد أن سمعتنى طويلا : «استغفر الله العظيم! إنت شيوعى؟» بعدها أغلقت الأبواب دونى.. وظهر ممدوح فى محيطها.. طبعاً لم يعرف أبداً أن بينى وبينها بداية قصة مبتورة.. ولا هى فكرت أبدا فى مضاربة أحدنا بالآخر..

.. وبثينة تتفق إلى حد ما مع تفسير «عقدة الذنب».. وتعابث به نبيل مهما أنكر فهو يعيش بها.. واختلط الأمر بين تقديسه لذكرى أخيه وحزنه لرفض امه زواجه بى.. فوضع نفسه دون أن يدرى فى موضع الدفاع عن النفس! وهو الموقع المفضل لديه.. لاتصدق مايبدو للناس من طبعه الهجومى وعدوانيته.. فهو يتوارى به من افتقاده لحب الآخرين ورضاهم.

والطريق الى بيت نبيل مزدحم بالبشر والأفكار.. والكل بطىء يتحرك بصعوبة السيارة والناس.. والحوار الدائر فى رأسه.. والرطوبة التى عجنت الغبار بالعرق.. ومؤشر الحرارة في «التابلوه» ينذر بالخطر.. (آه لو تعطلت هنا! إذا لاكتملت دائرة السعادة.. وطرت فرحاً بأيامك المجيدة.. حر يصهر الدماغ.. وتحقيق على

«الريق» ومفتش داخلية يعشق «علم» الداعية سعد العجاتى.. وزحام خانق عند تقاطع محمد فريد مع مجلس الشعب فى الناصرية.. وشاهندة بالمايوه على الشاطىء تستمع الي فيروز : شط اسكندرية يا شط الهوى.. رحنا اسكندرية رمانا الهوى.. وأنت تختار نبيل العجاتى من دون الأهل لتبكى بين يديه!!)..

.. فى العمارة الضخمة على ناصية شارع الخليج أعطى السمالوطى شقة لبكريته «بثينة».. وكان زواج الصحفى الماركسى ببنت الجواهرجى مادة لتندر «الرفاق».. واتهاماتهم أيضا (هل لابد للماركسى أن يكون شحاذا؟).

ـ للعلم.. مجموعة كبيرة من أهم مثقفي اليسار وبطاركة «الماركسية» فى مصر كانوا ابناء باشوات واقطاعيين!

مزاج سيد العكر ظهر هذا اليوم جعله يهاجم شقيقه من أول لحظة..

ـ جئت «لأبله بثينة» ولاأريد أن يدور بينى وبينك أى نقاش..

ولكن طبع نبيل العدواني جعله يرد الهجوم على الفور...

ـ مادمت تريد بثينة فالمشكلة بالتأكيد تدور حول شاهندة.. سأتركما وادخل مكتبى لأكمل مقالى.. ولكنى أريد أن أقول لك رأيى.. بصراحة.. انت لاتستحقها.. شاهندة إنسانة لابأس بها رغم أسرتها التى تعد نموذجا للبورجوازية المتعفنة... ولكنك أفسدت كل استعداد طيب لدى الفتاة.. وهذا أمر طبيعى ومفهوم.. لأنهم أفسدوا كل مافيك من صفات انسانية وحولوك الى آلة قهر.. قهروك فقهرت غيرك وأولهم امرأتك!

.. وجد نفسه منساقاً للمعركة رغم أنفه.. فقد التهبت رأسه وغرقت مشاعره فى عذابات ظهيره يائسة.

ألا تكف عن إدارة اسطوانتك المشروخة.. البورجوازية العفنة والقهر السلطوى والعسكريتاريا وكل مفردات «الحنجورى» وقاموس «الثورجية»؟

رمقه نبيل طويلاً وشرد كأنه يخترقه بنظراته.. على منظاره الطبى انعكست التماعات سرابيه مراوغة فبدت كغلالة دمع تتلألأ ثم تفيض فى حدقتين مصلوبتين على مرئيات حلم لايتحقق.. ارتعدت عضلة فى خده الايسر.. وانفرجت شفتاه المزمومتان.. وانطلق يضحك..

أجلسه ضحكة المتواصل على كرسى السفرة فى الصالة..

وكان سيد يقطب مكفهراً.. وبثينة تتأمل ضحكة بابتسامة توقع حذر.. أما الولد والبنت فقد اجتذبهما الصوت فأقبلا من حجرة بعيدة وهما يتأملان الأب بابتسامة تأهب للمشاركة..

ـ ثورجية؟! وهل بقى هناك ثورجية؟ خفف الوطء ياعم سيد فلم يبق هناك إلا هياكل متحجرة للديناصورات! هل جربت إحساس ديناصور يعيش فى الرمق الأخير من القرن العشرين؟... ديناصور أغفى لحظة.. مجرد سنة من نوم.. ثم أفاق ليجد دنيا غير الدنيا.. وعالم غير العالم..! تعرف ياحضرة الضابط الهمام؟.. لم نصدق فى البداية.. واتهمنا جورباتشوف بأنه عميل للمخابرات المركزية.. وحين تجاوزنا الصدمة قلنا أنها مسئولية الحزب الذى ترهل والدولة التى تورمت.. والآن لانجد شيئاً نقوله!..

فى الشرفة الخلفية استمعت له بثينة..

كلما أمعن فى الفضفضة.. تغض جبينها اكثر واحدودبت عبستها..

ودكن ذلك البريق الذهبى القديم فى عينيها..

لم تكن هناك نفثة اكسيجين يمكن أن تحمل عزاء لصدر مرهق..

والواجهة البحرية رغم بعدها عن الشمس الا أنها تخلو من أى محرك للهواء رغم أشرافها على «مسقط».
- شاهندة طلبتنى أمس على الهاتف وتحدثت معى ساعة كاملة!..
فاجأته بثينة.. واستطردت قبل أن يحثها..
- تقول أنها استنفذت كل فرصها معك.. وتصر على الطلاق..
اكتمل اليوم.. وصار المنخفض أقرب الى سطح الأرض..

خيال الضلّ

تعطلت السيارة فى مشوار العودة! مؤشر الأمبير أصابة الجنون فركن قريبا من بيت نبيل.. واستقل التاكسى الى باب الحديد.. زميله فى مباحث السكة الحديد رحب به وطلب له زجاجة مياه غازية ريثما يحضر له التذكرة!

... على الرصيف اختلط طنين «الحر» بطنين القطارات بطنين المسافرين!.. المكان أشبه بعنبر فى الجحيم (لم ير أحد الجحيم.. ولكنه قرأ عنه صورة مرعبة فى كتاب أهداه له عمه الشيخ سعد يتحدث عن عذاب القبر وأهوال القيامة).

خطوات تفصله عن جنة قريبة.. دانية القطوف.. داخل القطار ذو اللونين الاحمر والأسود.. أناخ ظهر الكرسى الوثير.. وكانت برودة التكييف تدغدغ كل نأمة فى جسده المغسول بعرق «جلسرينى» القوام (لم يكن لديه وقت لتغيير ثيابه.. وتشمم رائحة الخل المنبعثة من «الفانلة والسويتر»).

كانت شاهندة تعشق رائحة عرقه وتقول أنها تثيرها! (فى بدايات زواجهما كان يحرص على الدخول تحت الدش مرتين.. قبل

الفراش.. وبعده رغم كسله السابق أيام العزوبية.. حتى همست له — بعد أن «أخذت عليه» — وقد تورد خداها خجلا : (لاداعي «للدش» قبلها.. أحب رائحة عرقك!.. ولاداعي لما تعطر به جسدك.. حاسة الشم المرعبة لديه لم تعكر أبداً صفو لقاءاته مع شاهندة.. فجسدها — كما أقسم لها اكثر من مرة — يفرز عطراً خاصاً به..

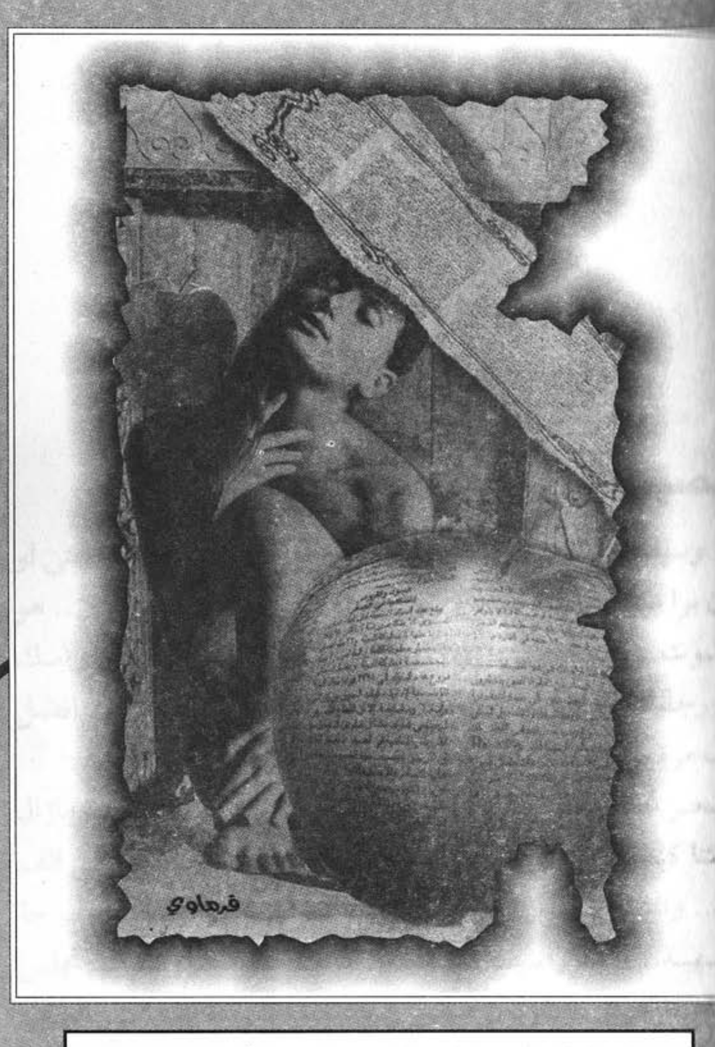
(أسكره العطر فى الحركة والسكون.. لفه فى أمسيات كثيرة فصنع له جنته.. وأعطته الجنة من أكلها وأطعمته من طلعها النضيد.. والجنة لها بابين.. واحد للدخول وآخر للخروج.. فمتى قادته قدماه الي الباب الأخير؟) تناوشته أحلام الطريق.. رأى نفسه ينهال ضرباً على «عاطف خلف» بينما يحاول حمادة غزلان ان يبعده عنه..

— أنت العاقل ياسيد بيه وكلنا فداؤك!..

.. ثم يرى شاهندة تقف على باب حجرة الغسيل وهى تتحسس بطنها وتضحك هامسة.. (ابن ممدوح)..

.. ايقظته مضيفة القطار لتطلب منه حساب النسكافيه قرب الاسكندرية.. فى «سيدى جابر» كانت الرطوبة أكثر كثافة.. لكن الاسكندرية كعادتها تبدو أخف وطأة.. وفى داخل التاكسى الذى أقله الى مراقيا كان يستنشق رائحة البحر التى يختلط فيها اليود برائحة القواقع.. بشىء من «الزفارة» يزكم الانوف حين تنعدم هبات الريح.. فى التاكسى وجد سيد ضالته..

- أمنحك الطلاق الذى تطلبين بشرط واحد.. تصارحينى بما بينك وبين الحيوان حمادة غزلان!!



[٥] جميلة والقنفذ

مصير القمر

....وسيعطيها سيد حق الاختيار.. هو يريد أن يرسو على بر حتى لو كان برا موحشا قاحلا يورث اليأس! فاليأس احد الراحتين.. هو كالموت.. قاتم حزين.. ولكنه بلا عذاب.. ان تعرف مكان رأسك من رجليك وترى اليقين حتى وان كان الفشل الاخير!./. افضل الف مرة من بقاء الامل يرتعش على حافة الشك.

والبحر تحت ستارة الغسق الرمادية المغبشة بالرطوبة العالقة مازال ساكنا كبحيرة من الرصاص على مشارف مدينة المساخيط» فى الف ليلة.. والشاطئ قد ازدحم بعد مغيب شمس يوم آخر من ايام الموجة الملتهبة.. وعند رصيف الشاليه.. كانت عواطف رشيد.. تجلس وأمامها جهاز تليفزيون صغير.. بينما بدا سيادة المستشار السابق جالسا فى شرفة الشاليه وامامه «كوتشينة» يلعب بها لعبة الصبر!

- شاهى نائمة.. تعرف «مزاجها» فى نوم العصارى.. رنا «سرحت» مع اصحابها.

تبادل جملتى تحية مع الاب ثم تقدم داخل الشاليه.. صاحت به عواطف!

- انتظر يا سيد حتى تفيق من نومها براحتها.. المسكينة مرهقة.. طول اليوم تقريبا فى البحر.. ثم هى كما تعرف اذا لم تنل وجبة النوم كاملة صحت منه وكل عفاريت الدنيا تتصارع على وجهها.. رد سيد بانتضاب موضحا انه لن يوقظها.. فهو متجه الى الحمام.

(من الواضح ان الهانم حماتك تريد ان تنفرد بك قبل ابنتها.. ومن المؤكد ان بثينة السمالوطى قد اخبرتهم بأنها ابلغته الرسالة...).

.. نوم المغارب كالسقوط فى بئر بلا قرار.. وكلما امعنت فيه كلما استدار وتلوى كسلم من الزئبق يراوح بلا اتجاه لاعلى او هبوط لاسفل.

على احدى درجاته تنبهت شاهندة! خيل اليها ان هناك من يوقظها.. ظلت للحظة فاقدة الذاكرة لا تدرك الزمن او المكان قبل ان تحس بحركة «بوسى» قطة امها السيامية.

.. امسكتها من سلسلة قفاها لتلقيها بعيدا عن فراشها.. ولحظتها تناهت الى اذنيها همهمات الشرفة.. كانت الحجرة التى تشارك رنا فيها تطله بنافذه على شرفة الشاليه.. شبت على ركبتيها وازاحت جزءا من الستار المسدل على النافذة.. ولمحت «قفا» سيد.. كانت تتوقع قدومه وان فاجأتها سرعته.. خرجت من بئر «النومة» المنقوعة فى العرق الى الحمام.

- عشر سنوات يا حبيبى قطعت كل الخيوط بينكما ولم ينعم احدكما بالسعادة.. يقول المثل «شيل ده عن ده يرتاح ده من ده» وربنا يقول فى كتابه العزيز «إمساك بمعروف او تسريح باحسان».

(عـواطف رشــيـد تسـتـشـهـد بـكلام الله! وهل تعــرفين الله او تخشينه؟..)
.. وأكثـر ما يغيظ الهـانم ام البنات فى سيد لجوءه احـيانا للمقـاومة «السلبـية» فـيبـدو رافضـا لكل مـحاولات جـره للشجـار.. وها هو يجلس صامتـا شاردا لا يرد على ما تطرحه من حيثـيات ومبررات.. عيناه تخترقـان جبهتها الى ما وراءها.. ووجهـه لا يشى بأى تعبير او انفعال.
- رد عليّ يا سيد.. لا تتركنى اهاتى.. وأكلم نفسى!
طرفت عيناه.. ولاح ظل ابتسامة باردة عند زاويتى الفم.
- انا اسمع فقط يا حماتى.. هاتى كل ما عندك.
من مكانه الذى انتقـل اليه على الرصيف امـام الشاليه بأمـر عواطف لتجلس فى الشرفة مع سيد تدخل الاب فى الحديث الدائر.
- دعيه لشاهنده تتفاهم معه وابعدى انت يا عواطف!
انفجرت فـيه توبخه بشراسة حـتى اجتذب صوتها رواد الشـاليهات المجاورة.. تقوس كتفاه وأعطاها ظهره كاملا وتظاهر بأنه منهمك فى مشاهدة التليفزيون.. بينما استـمرت هى تطلق لسانها فى حق جميع «الرجال» الذين لا منهم ولا كفـاية لشرهم.. وفى هذه اللحظة وقبل ان تتحول للاشتباك مع سيد بعد ان فـرغ صبرها ونفد محصولها من الملاطفة والكلام اللين.. خرجت اليهم شاهنده.
- قوم بينا بعيد عن هنا يا سيد.. نمشى على البحر.
«نمشى على البحر.. اقـتراحها الدائم! فى شهـر العسل لم يكن هناك شاليه ولا مراقـيا.. اخذا مفتاح شقـة عمها فى لوران.. وكل يوم عند الغروب تدعوه.. تعالى نمشى على البـحر.. كان الوقت فى منتصف

نوفمبر.. وخريف الاسكندرية يلملم سحره ويطويه مع غصة فى الصدر تتوافق فى نفثات دفء مهملة من صيف قديم تخالطها برودة الشتاء الوشيك.. ليلتها هجمت اولى «نوات» الموسم بدون اى انذار.. هطلت الامطار وظلت تغسلهما وهما متعانقان يضحكان ويرشفان قطرات المطر المنزلقة على الخدود.. وهمست (اريد ان نفعلها الآن! فى الشارع يا مجنونة؟.. لا.. فى البيت.. فى التراس).
.. وعادا...».

- فاكرة؟ اصبنا بعدها بنزلة شعبية!

لم تعد الذكريات تنير لديها اى حنين.. لم يبق لديها الا حب البحر..

- نزلت الى البحر اليوم وارتديت المايوه رغم اتفاقنا.

تجهمت وهى تضرب الرمال بأصابع قدمها.

- لا اريد ان اتشاجر يا سيد.. نتكلم بهدوء ونتفاهم..

- على اى شئ يا شاهنده!

- ابلة بثينة ابلغتك.. اريد الطلاق يا سيد!

قرض اسنانه بقوة وسألها عن السبب وكأنما كانت تنتظر السؤال.

- اريد طفلا!

.. أخيرا قالتها يا سيد!.. منذ حسمت التحليلات العديدة والمتكررة الامر! تحاشيا مناقشة الموضوع.. لم تتفوه بحرف حتى فى عز خناقاتهم! وامتن لها سيد فى اعماقه ولكنه لم يستطع ان يترجم امتنانه الى سلوك عملى! لم يستطع ان يتجاوز العقدة التى حولته الى رجل حاد شكس سريع الاشتعال.. مرة وحيدة افلتت منها الجملة وسط شجار.

- لو كان معى طفل يسلينى لما خرجت من باب الشقة!
وكان رد فعله اول ضربة يوجهها الى القلب.. صفعها بكلتا يديه واتهمها بأنها تبحث عن حجة لتسرح على حل شعرها».
.. ساد الصمت.. فقط هسيس المياه وحفيف الاقدام على الرمال..
من حضن الافق ولد قمر محمرّ.. وبدت جملته التالية بعيدة تماما من الموضوع
- فاكرة عصير القمر؟..
عصير القمر ياسيد؟.. ألا تعرف ان الذكريات قد فترت وباخت ولم تعد تعنى اكثر من اصداء جوفاء لضحكات قديمة؟.. ايامها كانت «النفس مفتوحة» والآمال عريضة والحب يبدو واقعاً ملء اليدين.. وكانت شاهنده العاشقة تتفنن فى ارضائك.. احضرت لك مزيجا غريب الطعم.. فاجأتك حلاوته.. سألتها عن مكوناته.. قالت انه خليط من عصير الخوخ والبرقوق.
- لابد ان نعطيه اسما.
.. كان القمر يسطع على الشرفة.. وكأس العصير من زجاج اخضر.. بدا وكأنه يمتلأ بأشعة القمر.. فقالت.. ما رأيك نسميه عصير القمر!
- ماذا قلت يا سيد؟
توقف عن المشى.. سبقته بخطوة ثم استدارت نحوه.
- مصرّة على الطلاق؟
- الحل الوحيد.. كن رجلا عادلا ولا تحكم علىّ بالحرمان من الامومة.
.. نظر لها طويلا.. ثم واصل السير حتى تركها خلفه.. اسرعت

وهتفت تستوقفه.. وعلت نبرة احتجاجها وهى تنذره بأنها لا تخشى ان يفعل بها وبأسرتها ما فعله فى المرة السابقة!

(كم انت بلهاء.. المرة السابقة من سنوات.. كنت احبك.. وما فعلته كان رفضا لفكرة حرمانى منك.. اما الآن!.. اما الآن ماذا يا سيد؟.. انت مغرم بها وتلتصق بوهجها كالفراشة المنتحرة.. ولكن.. لا مفر.. ولابد من المواجهة..).

توقف للمرة الثانية عن السير.

- يمكن ان احقق لك ما تريدين.. وألقى عليك اليمين الليلة! بل الآن.. على شرط!

هتفت بسرعة:

- اقبله ايا كان!

رشق عينيه فى عينيها.

- ماذا بينك وبين حمادة غزلان؟

قد يختنق الانسان من «مصارينه» حين يفاجئه ذلك الالم الممض فى «قعر» بطنه.. قرصه فى المعدة كما لو كانت قد اصيبت بلكمة من قبضة وحش..! انقطع ذلك الحبل الصوتى الذى يصدر رنين الثقة والغضب.. فخرجت النبرات حادة ومخنوقة.

- لا اعرف حمادة غزلان!

بل تعرفينه.. رأيتك بنفسى تدخلين سيارته.

على الوسادة المبللة بالعرق والدموع وآثار احمد الشفاه.. والكحل السائل الذى نزفته العينان.. تقلبت رأس شاهنده وقد ادركت انها ارتكبت غلطة عمرها.. وقررت ان تقص ما حدث على سيد لحظة رجوعه!.. كان نوبتجيا وسيعود فى الصباح..

وفى الصباح بردت كل النوايا مع سؤال ظل يتأرجح.. وماذا بضميره ما دمت لم تفرطى؟)
- لا اعرف عما تتحدث.. والمهزلة لم تبلغ حد ان تتهمنى فى قواد بكاره.
.. لا داعى للمراوغة يا بنت الست عواطف.. وصدقينى سأطلقك لو اجبت.. اما اذا واصلتى اسلوب الانكار والكذب فلن تصلى الى شئ! سأتركك.. ولن اطلق.. ولن اعيدك الى شقتى او فراشى.
- بسيطة! سأخونك.. وأحصل على الطفل الذى اريد من غيرك.. وسينسب اليك بحكم الشرع وستنفق عليه وهو يكبر امامك ويحمل اسمك.. وانت لا تملك الا الحسرة تأكلك حتى تسقط ميتا بها!
.. جذبها من شعرها.. وظل يضربها واذا بها تبادله الضرب.
كانا قد ابتعدا عن المنطقة المأهولة.. فلم ير احد المعركة التى نشبت على شاطئ البحر وتحت ضوء القمر..!
وحين خمشت اظافرها الطويلة لحم وجهه.. ثم لحم صدره.. وسقطا معا على الرمال فى المساحة الضحلة حيث تترامى الامواج المتثائبة.. وألهبت المياه المالحة جروحه وجروحها.
.. كان كل منهما يريد ان يمزق ما بداخله هو.. ابدا لم يكن لحم الآخر هو المطلوب.
.. وجدها فى احضانه تلعق جروحه بلسانها.. فأطبق بشفتيه على شفتها المجروحة النازفة وكتم فى انفاسها صرخة ألم مختنقة.
.. بملابسهما خاضا المياه حتى وصلت الى العنق.. وانسكبت اشعة القمر فى عينيهما فلمعت الحدقات كيواقيت سوداء.
سأحكى لك الآن وتستطيع لو اردت ان تغرقنى.. ولن اقاوم.

ارادت ان تنتهز اللحظة الحميمة التى انتظرتها طوال شهرين كاملين..
فلا امل بغيرها.
.. ارتعدت رغم دفء المياه.. وطلبت منه ان يمسك يديها بكل قوته
ولا يفلتها الا حين تنتهى من الكلام.

اليوم المسروق

.. لم تحدد ذاكرتها ابدا ايهما رأت اولا.. حمادة بك ام «طانط» جميلة! ولكنها تذكر جيدا انها رأتهما معا اكثر من مرة بعد ذلك!.. هى لم تهتم يوما بمعرفة الاسباب التى تجعل عواطف هانم تستقبل كل هؤلاء الناس فى حفلاتها الدورية.. ولم «تبلع» ابدا ما تردده من انهم اصدقاء! ولكنها لم تتوقف امام المسألة كثيرا اذ تعودت منذ طفولتها ان تأخذ الامور فى هذا البيت من ظاهرها لان البحث عن الخوافى محفوف بأخطار شديدة فضلا عن ان علاقتها بالام والاب كانت دائما تعانى من مشكلة الفتور والاغتراب.. بعد سنوات طفولة قضتها كلها مع جدتها الوحيدة.. وتركت البيت لداليا ورنا ترتعان فيه.. وحين رحلت الجدة كان «بيت» عواطف هانم قد ارسى قوانينه.. وكانت رحلة «الكويت» والعودة منها تعيد تشكيل الحياة وفقا لاختيارات وأولويات الست عواطف.. التى لم تقبل مطلقا ان يكون لاى بنت من بناتها اختيارا مخالفا لما تراه ولكنها روضت نفسها بعد ازمات كثيرة على ان تترك «هامشا» لشاهنده.. تمارس فيه تمردها الخاص.. وروضت شاهنده نفسها فى المقابل على قبول ما يحدث من امور لا تفهم اسبابها دون سؤال.
وحين قدمتها الام «لطانط» جميلة كرهتها منذ اللحظة الاولى.

امرأة خمسينية داكنة البشرة تضع باروكة او تصبغ شعرها حسب الاحوال.. ولكن اللون دائما ذهبى او احمر.. وفى كلتا الحالتين يتنافر بشدة مع لون بشرتها التى تختار لها اسوأ الوان المساحيق وأصباغ «الماكياج» وهى رغم ما ترتديه من ملابس مستتورده باهظة الثمن.. وما تضعه من مجوهرات فى معصمها واصابعها واذنيها وحول رقبتها.. الا انها تبدو وكأنها استعارتها او سرقتها..!

«إلا عيناها.. لم ار فى حياتى مثلهما.. ناهيك عن الجحوظ الذى يشير الى اصابة قديمة بالغدة الدرقية.. فهناك تلك النظرة الفاجرة الثابتة.. تعرى اى بنت تتعرف عليها وتنغرس فى لحمها تعبث به وتنتهك اى حرمة له.. نعم.. بالنظرة..».

نهرتها الام.. بل صفعتها فى غضب جامح حين اكدت لها ان «طانط» جميلة امرأة سحاقية بلا شك!.. وبعدها كفت شاهنده عن ابداء رأيها فى اى شئ ولاذت بهاشها تمارس من خلاله تلك الحياة «الموازية» التى تختبئ فيها من الهواجس والوساوس والاسئلة المعلقة بلا اجابات.

وحين انفجرت ازمة «عريس» الغفلة الذى احضره حمادة بك.. كانت عواطف رشيد تتحدث كل ليلة مع «طانط» جميلة.. وفى مرة اعطتها السماعة لان «طانط» تريد ان تكلمها.. وتحدثت طوال ساعة كاملة.. لم تتفوه شاهندة خلالها بكلمة.. سألت نفسها فقط وجميلة تغدق الاوصاف والمزايا التى يتمتع بها «أبو ف.».. أليس معنى هذا ان جميلة.. وحمادة يعملان معا؟.. تأكدت يوم صحبتها امها الى حفلة رأس السنة فى عزبة «المنصورية» عند سفح الاهرامات.. حين تعمدت اجلاسها بجوار «العريس» وامامهما حمادة وجميلة يبذلان

كل ما فى جعبتيهما من اساليب الاعداد والتمهيد وربط الدماغ.. ثم نهض الجميع ليرقصوا واختلطت الاجسام والسيقان.. وحين انطفئت الانوار فى الثانية عشرة عند منتصف الليلة احست بيد تتحسس صدرها وشفتان تطبقان على فمها.. وفور اضاءة الانوار ثانية وجدت جميلة تبتسم لها فى تواطؤ وقح.. بينما كان حمادة يحتضن «أبو ف» ويراقصه ضاحكا صاخبا.

- هؤلاء الناس الذين هربت منهم اليك.. فوجئت بهم يملأون حياتك.. فهم «شغلك».

.. ووجدت حمادة غزلان يفرض نفسه عليّ من جديد.

- اعرف انه ظل يطاردك عن طريق السيدة المحترمة امك!.. ومازال يغريها بالعريس الثمانينى الذى يريدك لشهر واحد يموت بعده.

- انت لا تعرف شيئا!

.. حكاية «أبو ف» كانت اتقه ما فى الموضوع.. وجهد حمادة لاجتذاب زوجة «سيد العجاتى» كان مجيرا ايضا.. للمدام.. فلا بأس من ان يضرب كل العصافير.

.. وتمر شاهنده على مخدع «المدام» قبل ان تصل لفراش الزبون الاساسى..

- يوم رأتنى كنت عند الكوافير فى شارع النيل.. وخرجت.. لأجد حمادة غزلان بنتظرنى.

.. ثم اقسم لى انه لن يرينى وجهه ثانية بشرط ان اقبل هدية «أبو ف» رفضت اولا ولكنه صرخ بأنك قادم.. دفعنى الى سيارته وكنت مرعوبة.. طار بها وحين ابتعدنا صرخت به ليتوقف.. وتركت سيارته.. وعدت الى المنزل لاجد علبة المجوهرات - الهدية - فى

يدى.. فتحتها يا سيد.. وجدت «بروش» من الالماس الحر.. برلنت حقيقى يساوى ثروة!.. لحظة واحدة كانت كافية لانطباق المصيدة.
.. لحظة الحاح السؤال (ولم لأ؟ احسن من عنيهم.. اقبل الهدية دون ان يلمس كلب او كلبة طرف ثوبى).. ولكن.. كنت انت تطاردهم نهارا.. ومكالماتهم تطاردنى ليلا..
.. الاثنان.. جميلة وحمادة.
وأنت تحدثت معى كثيرا عن حمادة.. ولم تذكر المرأة بكلمة؟!
.. اعرفها كما اعرفه.. لا احد فى الادارة يجهل من هى «المدام».. صباح عبدالغنى بيومى الشهيرة بجميلة.. صاحبة ومديرة مكتب التخديم القديم فى شارع سليمان جوهر بالدقى حتى عام ١٩٧٦ الذى اختفت فيه صباح الشغالة.. موردة الشغالات لكل الشقق المفروشة فى دائرة الدقى والعجوزة والمهندسين.. لتظهر «المدام» اثر حادث غامض مات فيه سائح خليجى كان شريكا لمحسن العرايشى الشهير بالقنفذ.. وكانت «صباح» هى «الهاوس كيبر» او قهرمانة شقته المفروشة.. وتقدم ابناؤه ببلاغ الى النيابة قالوا فيه ان ابيهم كان يحتفظ فى شقته بثروة طائلة من الاموال السائلة والمجوهرات.. وجرى تحقيق دقيق وتم القبض على صباح هى ومحسن العرايشى.. ولكن.. اطلق سراحهما بعد وصول التحقيقات والتحريات الى طريق مسدود عجز فيه رجال المباحث عن اثبات اى شئ.. بعد شهور قليلة ظهرت «جميلة» فى طبعتها الجديدة بالفرير الاستراكان داخل «التمساحة»!

رائحة المكان

.. يتأرجح السؤال كالبندول.. لا يتوقف ولا يكف.. (أهذا كل ما

كـان؟) يطارده سؤال آخـر يلمع كـالبـرق.. (ألم تسـتبق جـزءا من الحقيقة تعجز عن البوح به؟).
افترقا عند الشروق.. وقد اتفقا على الحل الوسط.. المهلة التى تعطيها شاهندة لنفسها تفكر فى كل الاشياء واذا اصرت بعدها على الطلاق فسيمنحه لها!
- شهران يا سيـد.. لا اكثر.. وبعد اسبوع سـأعود الى القاهرة.. ربما تكون حدة الموجه الحارة قد انكسرت.
.. مازالت الليلة الماضيـة تبدو حلما.. فى البحـر يا سيد.. بالليل؟..
اجل والله فى البحر بالليل.
سأل كمال شيحة:
- له طعم مختلف؟
اذاب النهـار الجـديد كل مـا تجمـع من رضاب ظـل يتلمظ به طوال الطريق من مراقيا الى القاهرة.
.. لا يعرف لماذا حكى لكمال شـيحة بالذات.. فهو رغم صداقـتهما المتـينة ورغم مـــا يتـمـتع به من صـفـات الجـدعنـة والطيـبـة والمرح والاخلاص الا انه لا تبـل بفمه فـوله.. وسيـعرف الجمـيع فى دائرة المعرفة المشتركة ان سيد العـجاتى قد ضاجع امرأته على شاطئ البحر ثم داخل البـحـر فـى عـز الليل.. وانهـمـا اغـتـسـلا فى الماء المالح بملابسهما الكاملة.
(وماله؟.. الحكاية كلها شهران ثم يطلقها ويمضى كلٌ لحال سبيله..) اذا فلم تغـير الليلة الغـريبة شـيئا فـى الامر!.. (سقط الحـزن بداخله ككتلة خرسانة دعست كل احلام الظهـيرة.. يتحالف الحر مع الحزن مع السؤال المعلق ليفسد الزمان والمكان.

.. هل يعد امرا عاديا ان يحرم الرجل من الابوة؟ وماذا عليه ان يفعل بعد ان يتخلى عن انانيته ليمنح امرأته حرية الامومة مع غيره؟.. اختنق حلقه بغصة بكاء آلمت عظام زوره وحنجرته.. وهاجمه حنين جارف لحضن الام.

- لا تصدق ما يقوله الاطباء يا سيد.. اندر ندراً لام هاشم وفى ليلتها الكبيرة تعالى نصلى الفجر فى رحابها.. وستحل عقدتك باذن الله!

.. يا ضنايا «الست» انقذتك مرات اخرى كثيرة.. كانت ادوية الاطباء تعلن عجزها وبمجرد ان اصحبك إلى المقام.. وأطوف بك حوله.. تختفى كل الاعراض.. شئ لله يام العواجز!

اذا فستنفصم عرى السنوات العشر!! (آه لو اجد جوابا لذلك السؤال الخبيث!.. ولكن من باستطاعته ان يدفع مهر الصدق المحض؟).

احضر ملفا مكتوب عليه بالحبر الشينى.. صباح عبدالغنى بيومى وشهرتها جميلة..

سأله كمال: ما لك وهذه ايضا؟.. تراك فرغت من حمادة فاستدرت الى «الحية» الام؟

دخل عليهما فجأة عاطف خلف.. كان محمراً كعرف الديك الرومى وعيناه تبرقان بانتصار.

- سيد عجاتى يا حبيبى.. وصلنا قرار من الباشا نائب الوزير بوقفك عن العمل حتى يتم التصرف فى التحقيق الذى اجراه التفتيش معك.

- مبروك يا عاطف بك! ان شاء الله تكون سعيد ومرتاح!

«ازرد» عاطف اكثر واربد وجهه فى احساس غامر بالمهانة:

- مبروك لم يا سيد؟.. تلمح الى ان لى يدا فى وقفك؟ اقسم برحمة ابى انى فوجئت بالقرار.. واقسم ثانية بأن اضربك بنفسى ذات يوم.. تعرف؟ يوم صدور قرار معاشي.. سأخلى طرفى وابحث عنك لانزل فيك ضرب حتى يظهر لك اصحاب!

ضربه كمال شيحه بكوعه «لا ترد عليه...».. فابتسم ثم تحولت ابتسامته الى قهقهة صرخ به عاطف «ميرى يا حضرة المقدم».. فنهض واقفا وحياه بشكل كاريكاتيرى ومضى وهو يقول لنفسه ان ايامه فى الداخلية اصبحت معدودة! بعد حرق الزرع لا معنى للجيرة.

ردد المثل الذى سمعه مرارا فى بيت الاسرة وقدماه تعبران الى الممر بين البرجين! لقد اوقف عن العمل.. فماذا يمكن ان يفعلوا به اكثر؟.. يقدمونه الى مجلس تأديب ام يحيلونه الى الاستيداع؟ يا ليت!.. منذ فترة تواردها الفكرة فى لحظات الصفا.. لم لا يترك خدمة «الغز» قبل العلقة؟.. ألا يحسن به ان يشتغل بالمحاماه؟

- يا سلام يا سيد يا عجاتى!.. ونتخصص فى قضايا المخدرات

واستطرد كمال شيحة كمن يحلم..

- نفعل كما فعل فؤاد البرديسى.. هل تعرف انه قبل ان يفتح مكتبه ويتصيت كان مثلنا مباحث آداب؟.. اى والله.. انظر اليه الآن سبحان العاطى.. اصبحت له تسعيرة يعرفها الجميع.. تعاطى او حيازة عشر بواكى على الاقل.. اتجار مائة الف وطالع.. اما الجلب فلا اقل من ارنب!.. والمسألة ليست عبقرية.. فالقانون معروف ودهاليزه محفوظة.. المهم هو «الشطارة».. ومعرفة من اين تؤكل «الدائرة».. وهذه مسألة سهلة بالنسبة لنا فنحن نعرف «الجميع».. ونعرف من اين يبدأ - الكونيكشن - .. يعنى الصلة يا برئ!!

.. لليوم الثالث على التوالى تُسلق القاهرة فى «قازانات» تشتعل حولها النيران.. والمذيع المتأنق الذى يبدو كموديل فى فاترينة «عمر افندى» مازال يشير الى خرائط الطقس التى ارسلها القمر الصناعى ويعيد شرح المسألة.

.. ومنحفض الهند الموسمى.. هو عبارة عن كتلة من الهواء الساخن المشبع بنسبة عالية من الرطوبة تتكون فوق صحراء شبه الجزيرة.

التكييف فى صالة معرض العرايشى للسيارات افضل كثيرا منه فى مكتب غزلان.

.. غزلان انزوى ثم اختفى حين لمح سيد يدخل الممر.. امتقع محسن القنفذ حين رأى من زجاج الصالة الضابط الرخم يقترب ميمما شطره.. صرخ فى «الصاوى» وهو يركله قدمه.. ابعد الهبابة من هنا الان.. فحمل الشيشة وجرى بها لصندرة الدور المسحور.. وتمتم محسن لنفسه.. يا قاعدين يكفيكم شر الداخلين.

.. ولم يكن العجاتى فى حاجة للاستعانة بقدراته الخاصة فى الشم.

- افغانى ولا مغربى يا قنفذ؟

ضحك محسن متحببا وطامنت لهجة سيد من توتره.

- هولندى وشرفك يا باشا!

سدد له نظرة كطلقة مباشرة.. اسمع يا روح امك.. اذا حلفت بشرفى مرة اخرى فلا تلومن الا نفسك.. وتذكر ان مستقرك ليس اضيق من مدخل العصا عند صاحبك غزلان.

- فى خدمتك يا باشا!.. أأمرنى!

- جميلة!

- الساعة؟ روليكس مرصعة ثمنها ثلاثين الف.. لكن لا تغلوْ على سعادتك..

خلع «الاستيك» من معصمه بسرعة البرق والقاه على المكتب.
- بشرفى لن ترجع!
.. لو حدث هذا الموقف مائة مرة ففى تسع وتسعين منها ستكون واقعة «محسن العرايشى» اسود من ريش الغراب.. ولسنوات كثيرة تلت هذه الاحداث سيظل سيد العجاتى يعجب من نفسه كيف افلت القنفذ بها! وما هو سر ذلك الهدوء الفاضح الذى لفه ساعتها.. وكأنه ينظر لنفسه منفصلا عن جسده وجد انه يبتسم بوداعه ويهمس لمحسن الذى ادرك هول ما فعله ففغر فاه وانتظر هبوب العاصفة.
- لا اقصد الساعة يا نتن! اقصد صباح عبدالغنى.. المدام.
لم يسترد محسن الساعة الملقاة تبرق ذراتها المجوهرة وتنكسر اشعة النور الصادرة من اباجورة المكتب عليها.
- آه!.. جميلة التى تعنيها سعادتك شريكة حمادة غزلان.. وهو يعرف عنها اكثر منى عشر مرات.
اولاد الكلاب هؤلاء لا يصدقون ان اقصر طريق بين نقطتين هو فعلا الخط المستقيم.
.. هم يصلون الى النقطة المطلوبة دائما ولكن بعد التفافات ومراوغات ينالون خلالها «ما قسم» من السباب والاهانة حتى ليبدو انهم يجدون فى ذلك متعة خاصة.
- حمادة شريكها ولكنك صديقها.. ثم ان الحارة مفتوحة على العطفة.. ومواسيركم كلها متصلة تماما كشبكة المجارى.. وامامك خيار من اثنين.. ان تتعاون بالتى هى احسن او اسحبك من قفاك على الادارة واستجوبك هناك.. فماذا تفضل؟

- الطيب احسن يا سيد بك.. اذا اردت يمكنني ان اصطحبك اليها.
.. ملف محسن العرايشي يخلو من اى شبهة دعارة!.. لكن شبهات الاتجار في المخدرات تملأ ملفات اخرى باسمه فى مكتب المكافحة وهناك عملية ضخمة «نفذ» بها منذ سنوات وأدخل خلالها شحنة مموهة فى ادوات صحية جاء بها من اسرائيل عبر منفذ رفح وكانت بمثابة «الخبطة» الكبيرة التى قبل يده بعدها وجهها لظهر.. وغسل أرباحه منها فى تجارة السيارت!.. يقول الملف أيضا أن العرايشى أعزب فى الستين لم يسبق له الزواج وهناك شكوك قوية بأنه متورط في علاقات جنسية غير سوية!...
يعرف سيد العجاتى الأماكن بروائحها الخاصة.. وتعمل ذاكرته الحسية بنشاط مذهل وكأنها تحتفظ «بارشيف» كامل يربط كل من يعرفه برائحة معينة.. فالست أم ممدوح كلما تذكرها أو ذكر اسمها امامه زخمت أنفه رائحة البخور المعطر فى مقام السيدة زينب.. وبثينة زوجة أخيه نبيل اذا مرت على الخاطر فهى تمرر معها رائحة عرف فيما بعد أنها لعطر فرنسى اسمه «اربيج».. كذلك شاهندة.. اذا تناهى اليه صوتها بالتليفون تتسم على الفور رائحة جسدها المعطر ممتزجة برائحة الياسمين فى العقود التى كان يشتريها لها كلما تقابلا فى شهور خطبتهما القصيرة.. ابتسم لنفسه وهو يستدعى أيضاً رائحة سجاير نبيل الفرجينية.. ورائحة «شراب» سعد المعجون بالعرق وماء الوضوء.
آخرون كانت تميزهم رائحة المكان.. لاروائحهم الشخصية.. فكل زملائه فى الادارة تلازمهم رائحة الطلاء الحديث ومادة «الاسيتون»..
في البدروم بمنزلهم كانت تقطن اسرة مهاجرة من خط القناة بعد

العام السابع والستين.. ربما لم تكن اسرة واحدة فقد كان هناك الكثير من الاطفال يعتبرهم الصاعد أو الهابط من الطوابق الأخرى.. رائحة الحوش وبئر السلم مفعمة بتأثيرات باقية البراز أطفال ورائحة لبن متخمر وكرنب مسلوق! كان قد نضج فى حجرة الغسيل على السطح بين أحضان عطيات.. وذات عصرية لم تتمكن فيها عطيات من الصعود.. صعد وحده فرأى آحدى سكان البدروم.. فتاة من سنه.. تمسك بكتاب و«تصم» بصوت مسموع.. حلاوتها من بعيد تبددت حين اقترب منها فهاجمته رائحة المزيج السفلى.. البنت حطت عينيها عليه ولم يهدأ لها بال حتى واعدها.. ورغم أنها ارتدت ماعلى الحبل وسكبت كثيرا من العطر النفاذ.. الا أنه ظل كلما رآها تشمم براز الاطفال واللبن المتخمر والكرنب المسلوق).

وحين خطت قدمه داخل شقة «المدام».. كان الهواء داخلها معبقاً «بالأجزا» ــ تعبير والده عن كل ماتدخله الكيماويات ــ رذاذ محاليل مطهرة قريبة من رائحة الفورمالين في المشرحة.. مع معطر جو يقلد عبق الورد البلدى.. وتكاد البرودة الثلجية المنبعثة من اجهزة التكييف تتساقط ندفا من مسجوق نفاذ..

كانت تنتظر.. (لم يدهشه ذلك كثيرا.. فلابد أن العرايشى بغمزة أو اشارة قد أوعز لعمال معرضه أن يتصلوا «بالمدام» وينذورنها).

الطيور وأشكالها

صمت كصمت الجبانات فى القيلولة.. لاشىء الا طنين اجهزة التكييف.. وعواء وخربشة كلب محبوس لم يلبث أن أنتهر فصمت..

العرايشى واخد على المكان فاستاذن بحجة لم ينتبه لها سيد وخرج.. تركهما متقابلين.. المرأة تضع على عينيها نظارة طبية.. والمساحيق الثقيلة ــ المبيضة للبشرة ــ تبدو كالقناع الذى يجمد تعبيرات الوجه.. ولكن الشفة الارنبية المشقوقة مع العبسة المحفورة بين الحاجبين مع تلك النظرة الزجاجية الخامدة تعطى انطباعا بأن هناك شىء زائف وخادع يغرر بمن يتأمل.

سألته عما يفضل من شراب فاعتذر بجفاء (أغاظه أن تتعامل المرأة معه وكأنها مضيفة وراح يفكر فى وسيلة ما لعبور المساحة الباردة التى وضعتها بينهما من أول لحظة) واذا حملقت فيه طويلا دون أن تشيح عنه أو تبدو منها نأمة اضطراب أو توتر داهمه إحساس مر بالخوف.

(لأول مرة تحس بالخوف ياسيد!.. وممن؟ من هذه المرأة المسخ؟... آه فقط لو بادرته بكلمة أو سؤال.. ولكنها تجلس ببساطة واعتياد من يمكنه البقاء هكذا ساعات وساعات...)

ــ إذاً فأنت «المدام»؟..

أحس قبل أن تنتهى العبارة بمدى سخافتها وخلوها من أى تأثير.. وضاعف من إحساسه هذا مااستقبلت به الكلمات من جمهود.. لاحرف.. ولا حتى نحنحة تسليك الزور.

ــ أقول جميلة أم صباح؟

... جاءه صوتها خفيضاً مذبوحاً

ــ مايروق لك!..

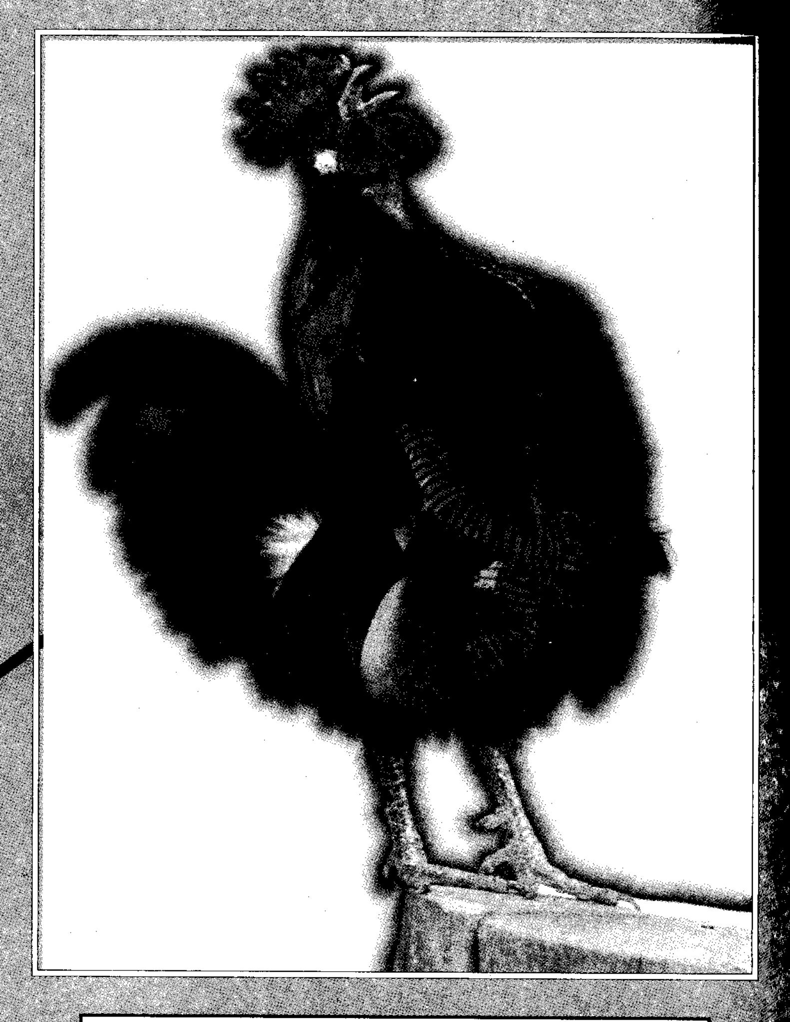
ــ عندى سؤال واحد.. لو أجبتى اجابة مباشرة بدون لف أو دوران سأتركك وأنصرف على الفور.

ـ فى أى قـضيـة؟.. ولم لم يصلنى اسـتـدعاء رسـمى؟ ومنذ مـتى يجىء رجال المباحث ليستحوبونا فى بيوتنا؟

انفلتت الاسئلة على لسانها فى سرعة وبلهجة آلية لاتشى بأى انفعال ولم تنتظـر أى اجـابة على أى منهــا.. ثم صـاحت تنادى مــحـسن القنفذ.. الذى جاء مسرعاً وبيده طبق ملىء بالطعام...

ـ مالك ياجميلة؟..

ـ خذ صاحبك هذا في يدك قبل أن يؤذى نفسه.



[٦] المنفى.. والمرفأ

القيلولة فى المهد...

... لا تعرف الست أم ممدوح معنى أن يوقف ابنها عن العمل... تفهم أن «يرفتوه».. ولكن أن يمنع مؤقتا عن ممارسة عمله؟... يعنى إيه؟... غمغمت بكلمات غير مترابطة كعادتها كلما ضايقها أمر أو غضبت من شىء لا تفهمه.. ولم يحاول هو أن يشرح أو يفسر...

ـ الهانم تركتك وتصيف مع أهلها فى إسكندرية؟..

حاول أن يرد فلم يجد غير تصحيح المكان.. «مراقيا» يا أمى...! وهل مراقيا هذه فى المريخ؟ اليست فى الإسكندرية؟.. فى الساحل الشمالى يا أمى!

ـ حجرتك القديمة نظيفة ومرتبة!

دعوة كان يتمناها فى أعماقه.. رنا إليها وهو يتمنى أن تحتضنه...

... أريد أن أعود يا أمى إلى ذراعيك.. أريد أن تضمينى بكل قوتك لتحتوينى.. لتعيدينى إلى دفء الغمر... إلى لحظات الفجر وغبش التكوين (هل يوجد مكان فى الذاكرة يحمل ومضات الوعى قبل الميلاد؟.. صور كالحلم المنسية ملامحه.. الحاضرة مشاعره؟..)

خذينى إلى كنف المقام وعطر الحضرة وغلالات الضوء الأخضر وهينمات الدرويش القابع خلف الباب... (هو.... هو.... أنا ... أنا.... أنا هو... هو أنا) .. اغسلينى بدموع الشوق إلى اللقيا وفناء الذات فيما وراءالذات.. أريحى جبهتى المحمومة إلى مرمر الاعتاب الباردة.. واتركينى... لا .. لا تفعلى فالغُربة تقتلنى...

... يأتى الدراويش من أهل الطريق فى الأسبوع الأخير قبل الليلة الكبيرة. يستضيفهم الأستاذ راشد طلبا للبركة وزلفى لآل البيت.. ويفتح لهم شقة الدور الأرضى التى كانت لأخته رتيبة حتى ماتت فيها مختنقة بالغاز ومن بعدها أغلقت ولم تفتح إلا لمحاسيب الست من الصوفية وأهل الله! وكانت ام ممدوح تعتبر هذه الفترة عيدها السنوى الذى تحتشد بكل ما عرفت به من كرم وكف مخروق (فقط مع الذين يستحقون والذين «يتمر» فيهم)

... صوانى الطعام ثلاث مرات فى اليوم تحملها شغالات الأسرة والجيران إلى الطابق الأرضى.. وتعاد أنظف من الصينى بعد غسيله..

(مبروكين ومقدمهم مبارك...) تقسم أم ممدوح أنها «تغرف» لهم الطبيخ فيملأ الصحون.. وحين تزيح أغطية الحلل مرة أخرى تراها ممتلئة عن آخرها... وقالت أنها ذات مرة طبخت وجبة بطاطس باللحم ليوم واحد وإذا بها تكفى الضيوف أسبوعا كاملا.. يلوى الشيخ سعد سحنته ويغمغم فى أذن شقيقه بعيدا عن آذان الست..

ـ هذا والله حرام يا أخى.. فهؤلاء الصوفية مشكوك فى عقيدتهم..

ويتفق معه فى الرأى نبيل ولكن من منطلق مختلف تماما...

ـ يا أمى هؤلاء مجموعة من الدجالين الفجعانين ذوى «البطون

الحضانة».. لاهم لهم إلا الطواف بكل قرى ومدن مصر مدعين الانتساب إلى الأرومة الشريفة أو منتحلين لصفة المتصوفة والتصوف منهم براء.. لا هم لهم إلا استغلال تعلق البسطاء بآل البيت ونسل الزهراء «ليلهطوا الفتة» ويعيشوا عالة على بيوت الناس المستورين..
وأفلحت تعليقات نبيل الساخرة فى تقليل ما يشعر به سيد من احترام ورهبة لرواد الطابق الأرضى.. ولكن بقيت فى داخله الترنيمات والهينمات.. والأدعية الموقعة على تصفيقة «اليد» يخالطها أغانى..
المداحين»..
عشر آلاف صلاة على ابن رامة..
والفين ألف للهادى كرامة.
وألف ألوف للىّ فج نوره.. هدية للمظلل بالغمامة..
تأتى بها ذاكرة السمع البعيد.. أهزوجة تربت على مهد الطفولة.
ـ نمت ياسيد؟..
فستان القطيفة «الزبدة» النبيتى يعبق برائحة الأم.. يتمرغ فيه وجهه كأنه يؤدى طقسا فى صلاة وثنية.. ينداح به ملمس المخمل إلى سفرة تعبر إلى ما وراءالوعى يرى فيها الملائكة كما حدثته عنهم أمه وهى تمسح على شعره وتغفو وسنانة إلى جواره... (أطياف نورانية مجنحة تدور حول العرش أبدا ولا تكف عن التسبيح)
.. أحضرت الست أم ممدوح «مخدة» صغيرة وحركت رأسه بحذر ورفق لتريحه عليها...
قال الأستاذ راشد العجاتى..
ـ غطيه «بالكوفرتة» يا أم ممدوح!..
ـ أى غطاء فى هذه النار الموقدة يا أبا ممدوح؟

أحس بهما على حافة البين بين.. ولم يدر إذا ما كانا يتحدثان عنه فعلا أو أنه يحلم..

ـ يقول أنه موقوف عن العمل!...

ـ هو على خلاف قديم مع مدير إدارته!.

ـ هذه «الشاهندة» ما كانت له .. أخذته وهو كالوردة المتفتحة. وانظر إليه الآن!

.. قال لنفسه ـ رغم يقينه بأنه يحلم ـ

ـ لا فائدة من الكلام مع «المدام» .. فهى لا تخاف. «مسنودة» كما قال كمال شيحة.

.. ياسيد أفق لروحك.. أتدرى كم من أسرار الكبار تتجمع فى حجر هذه «القوادة» عن طريق بناتها؟...

ـ يا كمال يا خويا لقد كسرت عين «حمادة غزلان» وأولجت العصا فيه «وهو يقتنى من الأسراز أضعاف ما لديها.. ويعرف من الكبار أضعاف ما تعرف ... فماذا استطاع أن يفعل لى؟...

.. سيد لا يعى للفارق الكبير بين دائرة جميلة ودائرة حمادة..

ـ يابنى... غزلان يعرف أسماء الزبائن.. ولكنه لا يدخل المخادع. أما بنات جميلة فيلامسن أدق الأمور وأحرجها .. وحكاياهن لاتقال لحماده.. ولكنها تصب فى أذنى «اللبؤة ذات الشفة الأرنبية»...

ولا يكف كمال عن ترديد قصته الفضائحية المفضلة:

ـ لا تنس ما حصل مع إحدى بنات جميلة.. تلك التى خرجت تتندر عن الرجل الكبير.. «ص.ع» الذى كان يطلب منها أن تقيده وتضربه بالخرزانة السويسى!..

.. لم تدم الغفوة طويلا.. ربما أقل من نصف ساعة.. أيقظته ذبابة

جة لحوح.. أصرت على أن تدفس «المتك» فى زاوية فمه.. وكانت
الهيرة لما تزل ممعنة فى الانصهار..
الذى حدث اليوم ياسيد؟..
بنت الـ «....» طردتنى!... حتى هذه الخنزيرة؟..
.... إلى متى ياسيد تحمل منفاك داخلك وتسير به؟....

فى البحر والبر..

سيد العجاتى «لن يجيبها البر» وسيغرقها حتما!. كان هذا رأى كل
ضباط الإدارة.. وكان عاطف خلف محملا بالغضب.. وربما
بالسرور ايضا وهو يزأر فى وجه سيد..
- ألم أبلغك بأنك موقوف؟.. حسنا... وتعرف معنى الإيقاف؟...
جميل!... ما الذى حدا بك للذهاب لجميلة فى بيتها؟...
- وهل زيارة الناس فى بيتها تعد مزاولة للعمل الموقوف عنه؟
- نعم ياسيدى؟ .. نعم يا حبيبى؟.. زيارة الناس فى بيوتها بدون
استئذان؟
زيارة الناس رغم كرههم لجنابك وقرفهم منك؟ من تظننى ياسيد يا
عجاتى؟
.. دعا سيد فى سره أن ينتهى اليوم على خير... وهو ينوى أن
يتفادى الاصطدام بمدير الإدارة مهما حدث...
- حتى الآن ياسيد نرعى حقوق الزمالة.. ونحاول ترقيع ما تمزقه..
ولكن لكل شىء حدودا وقدرتى على تحمل الضغط نفذت أو كادت
.. والباشا نائب الباشا الوزير طلب منى اليوم تقريرا كاملا عنك..
فماذا أكتب؟.. أخبرنى أنت!.
.... حتى كمال يلومه! ومثلهم يطلب منه أن يجيبها البر...

وأين هوالبر ياسى كمال؟.. السوس ينخر الخشب والفئران ترتع فى قعر المركب.. وتنظيفها من السوس والفئران هوالسبيل الوحيد لتمكينها من الرسو على البر..

.... تعلمنا منذ زمن طويل أن الواجب مقدس! منذ نعومة أظفار الابتدائى إلى خشونة «الميرى» لا فرق بين الواجب المنزلى فى دروس الحساب والعربى وبين واجب الوظيفة.... وخصوصا لو كانت فى الداخلية!

... واجبنا أن نحمى الشرف والعرض.. وأن نقضى على من يتاجرون بسمعة بيوتنا... هؤلاء الذين يتيحون الفرصة لسين أو صاد من الأوشاب وأنصاف الآدميين ليجلس واضعا ساقا على ساق وسط عشيرته الأقربين ويتباهى بأن «الخادمات» المقهورات من بنات جميلة هن حرائر البلد وربات خدور بيوتنا!.

ـ على مهلك يا أبو عرب فالمسألة ليست هتافا فى مظاهرة.. (وماذا تكون المسألة إذن يا كمال يا شيحة)؟..

.. يقول كمال أن المسألة لا تحتاج إلى مناقشات بيزنطية عن الواجب!. (نحن مجرد ضباط ولسنا مسئولين عن ظرف اقتصادى أو اجتماعى. ولسنا رسلا للإصلاح .. نحن يد القانون وباسمه نضرب.. ولسنا غير ذلك!)....

ـ ماذا تفعل إذا رأيت حماده غزلان يتحدث مع أختك.. أو لمحت جميلة تلتقى مع زوجتك؟

.. احمر كمال ورد عليه بخشونة.. لكن سيد أصر على أن يسحبه للبحر معه.. وركب معه سيارته ليوصله إلى الميكانيكى فيسترجع «ركوبته»....

.. الحال من بعضه يا كمال!... بيت أهلك كبيت أهلى.. وأبوك موظف كأبى.. وأمك خالتى أم كمال كأمى خالتك أم ممدوح.. على أى شيءربونا؟ وما الذى غرسوه فينا؟.. الكرامة والضمير!. ثم ماذا حدث؟..

.... لم يعد الحال هو الحال...

لذكر كلمة «الستر»؟.. تلك التى تمترسنا خلفها زمنا.. ووقتنا من الغوائل والأهوال... حتى انقض علينا إعصار «الجوع» والذهب.. تعرف؟.. يقطن فوق شقتى موظف كبير.. لعله وكيل وزارة ما أو على الأقل تلك درجته الوظيفية المالية. تعود منذ تعرف إلى على زيارتى بعد أن يسأذن ويتأكد من فراغى ليلعب معى «الطاولة».. حريف لا يشق له غبار فى كافة ألعابها من العادة للمحبوسة للجلبهار للواحد وثلاثين.. وله «قرصة» زهر لا تخيب... من شهور كنا نلعب «وهزمى كالعادة.... وانشرح وراح يجاذبنى اطراف الحديث.. ربما شجعه عدم وجود شاهندة بالمنزل ليلتها... حدثنى عن أولاده.. أربعة فى مراحل التعليم المختلفة.. وشكا من الغلاء وضآلة راتبه فى المقابل.. وصمت فجأة.. ورحت أحاول وصل الحديث ولو بتغيير الموضوع ولكنه لم يستجب.. ظل طوال عشر دقائق لاينبس ببنت شفة حتى انتابنى القلق.. خاصة حين رأيت تلك الغلالة من الدمع فى عينيه.. وأخيرا جاء صوته قادما من أغوار سحيقة لعلها خارج مناطق الوجود البشرى..

.. هل تصدق يا حضرة الضابط أننى قد أرى ابنتى الطالبة فى كلية الصيدلة ترتدى فستانا أو قميصا جديدا فأجبن عن سؤالها من أين أتت بثمنه؟...

.. السكين يشق لحما أكثر طراوة من الزبد... ويمعن حتى يصل النصل إلى شغاف القلب...

.. من هذا الشق بين اللحم واللحم.. خلف مسار السكين يتسلل السوس.. أمثال حماده غزلان وجميلة.. مقدمة لمن يدفعون لملك الرقاب.. ومالكى الأيمان.. تنضج شهيتهم مع رياح المنخفض الساخنة... ونقعى نحن فى مهب الريح....).

وتقول لى هاتها إلى البر...؟

يفرمل كمال سيارته فى عصبية ويتفل من فمه..

ـ على البر والبحر معا عليك وعلى كلامك ياسيد ياعجاتى.. وعلى منخفض الزفت الذى سيزهق روحى بإذن الله!

... على سيرة البحر والبر يا كمال... تعرف عمى سعد؟..

ـ ومن يجهل نجم الدعوة الساطع ياسيدى...

ـ أريدك أن تسمعه مرة وهو يغنى...

ـ نعم؟.. سعد العجاتى يغنى؟...

... كان فى زمن الطفولة البعيد.. ممدوح وسعد ونبيل ..وهم بعد فى سن الصبا على أعتاب الشباب. يجتمعون فى بعض ليالى الإجازة الصيفية ويتبارون فى الغناء. وكل واحد منهم يتوهم أن له صوتا ولا الكروان. أما ممدوح نجم الأسرة وقرة عين الجميع ـ فقد اختار عبدالحليم حافظ.. وانتمى نبيل إلى فريد الأطرش... أما سعد فقد أعلن أن محمد عبدالوهاب هو سيد الجميع وراح يحفظ جميع أغانيه قديمها وحديثها.. وعلى السطح يعتلى من كراكيب ومهملات البيت ويرفع عقيرته بما شاء...

فى البحر لم فتكم فى البر فتونى.

بالتبر لم بعتكم بالتبن بعتونى.
مـاذا يضحكك لهـذه الدرجـة؟ أهو البيت الذى يـغنى فيـه أنا كنت وردة فى بسـتـانى قطفتـونى؟.. تخـيل .. سـعد العـجـاتى وردة فى بستانها!!
كان ذلك فى البكور يا عم كمـال! بعدها بسنوات قليلة أعلن الشيخ سعد أن الغناء والموسيقى
غوايات شيطانية وإلهاء عن ذكر الله...
.. يلهث كمال تحت وطأة اللهب.... وينزف عرقا....
ـ لماذا توقفت؟...
ـ لكى استمتع بحكايات عمك! عليك وعلى عمك!..
هذه المرة كانت فى نبرة المزاح رنة لم ترق لسيد.. فالتفت له بحدة..
ـ مالك يا كمال؟...
انفجر كـمال كالقنبلة الموقوتة.. وراح يضرب بكلتـا يديه على مقود السيارة.. وصوته يتهدج حتى يتمزق ويصير أشلاء...
ـ لماذا لا تكفى خـيرك شـرك وتترك الناس فى حـالها؟ ومـا كل هذا الحديث عـن الواجب؟ هل سيادتـك الوحيدالذى يعـرف الواجب؟ وماذا نكون نحن؟ خيالات مآتة أم قراطيس لب؟...
.. يختـلط العرق بالدمـوع. ويصاب سـيد بذعر خـفى.. (أتراه مس وترا حساسا أم داس على العصب؟.... قد يكون الغضب مبررا وإن لم يكن مفهوما.. ولكن الدموع؟... طـوال صداقتهما الطويلة لم ير كـمال فى هذا السـمت.. الوجـه محـمر تخـتلط حـمرته بالزرقـة.. والعيـنين محتـقنتان.. والوريديـن الوداجيان مـنتفخين وهـناك رعدة تنبض فى جبهته.. ثم يجهش عاليا كأنه ثور يخور...)

يده إلى صندوق المناديل الورقية... وسحب عدة قطع متتالية.. أعطى منديلين لكمال دون أن ينظر إليه.. وبقطعه أخرى راح يمسح جبهته ورقبته.. سمع كمال يتمخط بعصبية ثم يسعل... رنا إليه بطرف عينه فوجده ينظر إليه وقد تحولت حدقتاه إلى كرتين حمراوين دامعتين..

- لا أعرف ماذا أفعل ياسيد! أنا على شفا حفرة...

.... سماء القاهرة لم تعد زرقاء.. وعلى امتداد البصر تكتنف المرئيات غلالة من ضباب ترابى اللون.. (اللعنة عليك ياسيد يا عجاتى وعلى قصتك... احقا سلبنا الجرأة على مجرد سؤال؟.. هل اخترقنا الرعب إلى هذه الدرجة؟)

.. «نجوى» زوجة كمال شيحة منذ خمس سنوات وله منها «شادى - أربع سنوات وشذى عام ونصف».. الحياة فى اطار مذهب الحواف.. بنت ناس طيبين.. وموظفة حجز فى إحدى شركات الطيران. جميلة وشهية وذات شخصية.. والشائع أنها تعبد التراب الذى يسير عليه كمال! إذا فأى مشكلة هناك؟...

- تعرف مرتباتنا.. الحال من بعضه.. أما هى فتتقاضى راتبا كبيرا.. ثلاثة أضعاف ما أتقاضاه تقريبا ولكن.. ما ترتديه وما تقتنيه من عطور وذهب واكسسوارات يفوق قدرتينا معا.. وقدرة أسرتها.. وليس لها أى حساب خاص.. ولا أى مورد من أى نوع... فمن أين؟.... من أين ياسيد؟.. كلما دخلت الشقة بجديد.. أو لمحت فى ضلفة ملابسها ما لم يسبق لى رؤيته وما لم أشتر لها.. أفكر فى أن أسألها.. ولكن ثلوجا لاذعة تسقط فى أمعائى وينخرس لسانى.

... رأى سيد منذ عدة ليال فيلما إخباريا عن إعصار «الهاريكين»

الذى يهاجم شواطىء الباسيفيك الغربية.. وكيف صنع داخل المحيط موجة عملاقة ظلت تزحف وتتعملق حتى اكتسحت الشواطىء المنكوبة.. كانت أشبه بموجة الطوفان الذى أغرق آل نوح ... وأغمض سيد عينيه.. وأراح رأسه إلى مخدع الكرسى الذى كان مكويا بشمس مغلية فلسع قفاه ولكنه تحمل....

- شاهندة صديقتها ياسيد... أنا لا أريد وساطة فلم ينفجر بيننا شيء إلى الآن .. أريد فقط أن تعرف منها.. هن يتبادلن الأسرار.. وأقسم برأس أبى أنى لن أؤذيها ولن أتصرف بتهور.. وسأحل الموضوع معها فى تعقل وهدوء... ها هى تأتى... عالية.. هادرة...

والصوت المصاحب يأتى من خلال إعلان تليفزيونى.. ترنيمات الكورال فى «كارمينا بورانا»...

لا مأتم لضحايا الطوفان:

... ياسيد أنت مجنون! .. لا أحد يسير على قدميه فى شوارع القاهرة تحت هذا الهجير.. حيث تنفث الأرض مع رائحة الأسفلت المصهور أنفاس الأتون الكامن فى الأعماق (لعل المياه الجوفية تتبخر الآن وتصنع «ساونا» طبيعية لاخواننا من الجن تحت الأرض...)

ابتسم لنفسه معجبا بالخاطر العبثى الذى ساوره.. (ربما تنشق الأرض فجأة عن جنية تعشقك وتريد أن تخاويك! وتسحبك معها إلى الغور البعيد...)

.. حين ساوره ندم غاضب على فكرة السير «بيادة» على الأقدام كان قد وصل إلى باب الزجاج المسلح الثقيل الذى تبدو والأشياء خلفه غارقة فى نعمة التكييف..

.. نجوى لا تستلطف سيد العجاتي. ومنذ تزوجت كمال شيحة عقب قصة الحب العاصفة والتى شهد سيد جانبا منها أحست بالنفور من «وجوده» الكثيف فى حياة كمال ـ غاظها كثيرا أن تلاحظ تلك السيطرة الخفية التى يمارسها على زوجها وحاولت كثيرا أن تؤلب كمال ضده ولكنها أيقنت بعد عدة محاولات أنها تخبط رأسها فى حائط صداقة غير قابلة للكسر.

فأعلنت الهدنة.. ولكن توثق علاقتها بشاهندة.. ومعاصرتها لتردى العلاقة بينها وبين سيد أضاف بعدا جديدا فى نظرتها له طالما صارحت به شاهندة..

ـ زوجك هذا شخص معقد ومغرور.. وبصراحة ربنا أنت خسارة فيه...

وما دامت القلوب عند بضعها فقد أيقنت أنه بدوره لايطيقها!. رغم حرصه الشديد على معاملتها بأدب ولطف ـ مبالغ فيهما ويزيدان من كرهها له...

... حين فوجئت به أمامها.. وقميصه مبلل بالعرق... ووجهه الأسمر قد صبغته الشمس فى الخارج بمسحة من قتامة موردة.. أيقنت أن فى الأمر شيئا خطيرا.. هبت واقفة غير عابئة بعميل تؤكد له الحجز على بطاقته..

ـ كمال جرى له شىء ياسيد؟..

.. فى نظرة عينيها خوف حاد يصرخ ـ أحس له سيد بارتياح لم يفطن مباشرة لسببه ـ

ـ قيل لى أن لديك راحة بين فترتى عمل... وهناك ما أريد أن أحدثك فيه...!

.. فى سيارة ألمانية صغيرة.. مكيفة.. زجاج كهربائى.. وباور ستيرنج.. (كان كمال يتجاهل تماما أى حديث عن السيارة التى تركبها نجوى...) صحبته إلى مشرب هادىء منعزل فى الفندق الضخم ذى النجوم العديدة الرابض على النيل...

ـ أتناول غذائى هنا كل يوم .. تأكل معى؟

ـ كلى براحتك. وسأكتفى أنا بالبيرة المثلجة..

.. هذه الرشاقة التى تأكل بها.. حركة أصابعها طريقة إمساكها بالشوكة والسكين.. شكل فكيها وهما يمضغان الطعام بينما فمها لا يفتر إلا مع اقتراب الشوكة...

حملق فيها وكأنه يراها لأول مرة.. تركته ينظر وكأن الأمر لا يعنيها.. وراحت تتناول طعامها بهدوء وكأنها تجلس وحدها.. بل لعلها لم تجامله بنظرة استفسار...

ـ أراك لا تسألين!

ـ أنت من يريد ا لحديث.. فابدأه حين تستجمع شجاعتك...

أحنقته بعنجهية الرد وحفزته للهجوم المباشر...

ـ كمال يشك فى مصدر انفاقك ويريد أن يعرف من أين لك بكل ما يغطى مشترواتك!.. كان يريدنى أن أكلف شاهندة بسؤالك.. ولكن شاهندة لن تعود قبل أسبوع.. وحالة زوجك النفسية لا تتحمل الانتظار!

.... كان يتوقع أن ترمقه شذراً ثم تغضب للسؤال المهين.. وتعنفه على تدخله بينها وبين زوجها وربما حملته رسالة من قوارص القول ليبلغها للرجل الضعيف الذى لم يجرؤ على مواجهة امرأته وطلب من صديقه أن يقوم بالمهمة بدله.. وأعد فى نفسه تبريرا جيدا يرد به

عليـهـا.. ولكنه أحس بكل شيء يبـوخ ويفـتـر.. وبالاستـعـدادات العدوانيـة لمعاقـبتـها وإيلامهـا تبدد وتتـوارى.. وتتحـول إلى دهشة يخالطها توجس بارد موحش!..
نجوى لم تـبد أى رد فعل غـاضب... نظرت إليه فـقط.. وهى تلوك آخر قطعـة لحم فى طبقـها ببطء.. حـتى إذا ازدردتها مسـحت فمـها بالمنشفة فى رشاقة. وبصوت لم يعتوره أى اضطراب أو انفعال.
ـ كنت أعرف أنه سيصل إلى هذه الدرجة. ولكنى توقعت أن يسألنى هو .. ولكنه ارسلك أنت بالذات!.
لم يهتم بأن يعلق. صمت مستحثا لها أن تستطرد ففعلت...
مـا علينا.. المسألـة بسيطة.. لى مـوارد إضافـيـة.. مع الاستـدانة فى حدود مـعتـدلة.. والحيـاة تسير .. مـشكلة كمـال أنه يتلذذ بتـعذيب نفسه.. يسمون حالته فى علم النفس بالمازوخية!
(مـازوخـيـة يابنت الرفـضى؟.. تـسـتـعـرضين على؟... لا بأس.. الكارت الرابح فى كمى وسألقيه فى الوقت المناسب..)
.. بأصـابعـهـا الطويلة النحيلة التى صـبـغت أظافـرها بلون وردى يتناسق فى نـعومـة مع لـون « الروج» .. «وكـولة» «التـايور» الأنيق الذى ترتديه.. سحـبت سيـجارة من علبتـها وانتظرت قليـلا.. حتى فهم «الحمار» فتناول القداحة ببطء، وأشعل لها مضطرا...
ـ ببساطة هو لا يفهم أننى لا أريد أن أزيد أعباءه.. ولا أريد أن أكلفه ما لايطيق!
.. سحبت نفسا طويلا مع شهيق عـميق وأسبلت عينيها فى تلذذ من يتبادل قبلة شوق طال انتظارها...
ـ عفوا... ماذا قلت؟...

.. لايمكن أن يكون ما سمعته هو نفسه ما قاله سيد العجاتى. ولكن هناك نصف ابتسامة تلتوى بين شفته السفلى وذقنه. وصوته يأتى هذه المرة واضحا...

ـ أسألك.. من الذى ينفق؟...

ـ حملقت فيه وهى تستدعى كل ما بداخلها تجاهه من كراهية ونفور... ولكنها آثرت ألا تتسرع فربما كان يقصد من ينفق فى البيت مثلا...

ـ أنا أتقاسم تكاليف المعيشة مع كمال .. وما يبقى من...

قاطعها وهو يسحب «الكارت» بهدوء ويلقيه على مسامعها..

ـ أهو صاحب «الشبح» السوداء؟..

... فى ظروف أخرى.. ورغم ما أصابه من خلال عمله فى الشرطة وتعامله مع الأوغاد والساقطات من جرأة وصفاقة «ووش مكشوف».. فقد كان من الممكن أن يخجل ولو قليلا وهو يلقى بهذا الاتهام المباشر الغليظ فى وجه امرأة صديقه الأقرب... ولكنه لم يشعر بأى قدر من الخجل.. وطفق يمعن النظر إليها منتظرا ما لابد أن يبدو على وجهها... من آثار اللطمة..

(لم تكن صدفة... فالصدفة لا تتكرر ثلاث مرات!.. المرة الأولى كانت أمام هذا الفندق الذى يجلسان فيه الآن.. وكان قد انتهى من مهمة روتينية يراجع فيها عمل مخبريه داخل الفندق ..وبينما وقف يثرثر مع أحد زملائه أمام الباب... رأى السيارة الشبح السوداء تدلف إلى المطلع وتتوقف ويهبط السائق «باليونيفورم» ليفتح الباب الخلفى فى احترام.. ومنه نزلت نجوى وخطت بسرعة لداخل الفندق. ولم يكن هناك سواها فى السيارة (التى لم تكن سيارتها بالطبع!)

.. مـرة ثانيـة فى شارع وادى الـنيل.. عندمـا لبى دعوة عـمـر الجندى.. فى زيارة خـاطفـة للقـاهرة وتناول مـعه العـشـاء فى مطعم شـهيـر هناك.. وأمام البناية الضـخمـة المواجهـة.. نفس السـيـارة الشبح [بنـفس اللوحـة الخضـراء والرقم الثـلاثى].. ونفس السـائق يفـتح البـاب الخلفى منتظرا ... وعلى درجـات المدخل تهبط نجوى وتركب السيارة وحدها تنطلق بها فى عمق الليل.. ولم يكـن عـمـر قـد لاحظ شـيـئـا وحـتى لو رآها فلن يتعرف عليها.. فمنذ زواجهـا بكمال لم يظهر عمر فى الصورة إلا بسبب غـربته وظروفه «الخـاصة»... المرة الثالثـة كانت منذ أسبوع.. على كوبرى ستة اكتوبر والمرور متوقف تماما.. كانت تجلس فى المقـعـد الخلفى لنفس السـيـارة .. بـنفس السـائق.. وبينهـا وبين سـيارته صف ثالث مـن السيـارات.! ليلتـها قـام بزيارة مفـاجئـة لكمال فى منزله.. وجـده يلعب مع الطفلين .. وحين سـأله عن نجـوى أخـبـره بأنهـا تزور أخـتـهـا فى مـصـر الجديـدة.. (كل النسوان ولاد كلب.. هكذا قـرر لنفسـه ولكنه بعد إمعـان التفكير استـثنى الأمهات والعـمات والخالات ومن فى نفس درجة القـرابة) .. كل هذه الشهـور يا نجوى هانم وأنا أحمل سـرك الوضيع داخلى.. اشـقى به كما أشـقى بشكى فى شاهنـدة إلا فرق! أنت لا تدركين ما يـربطنى بكمال... كـمال هذا أقرب لى من شقيقى نبيل.. كمال هذا لايستحق عشرة من أمثالك أن يلعقن غبار حذائه..!

ـ عن أى شيء تخرف يا حضرة الضابط؟..

.. آه.. تمالكت نفسـها وتريد أن تجرب سكة الإنكار!. إذا فلا مـفر..

اعتدل في مواجهتها وارتكز بذراعيه المعقودين على المنضدة.. وثبت نظرته العابسة في عينيها.. وأتاها صوت أجش هامس في آن...
ـ أقسم بشرفي على أمرين يمكنك أن تختاري أحدهما. إما أن تختصري الطريق وتخبريني بكل شيء وفي هذه الحالة أعدك بأن أتعاون معك في حل المسألة دون الإضرار بك أو بكمال أو بالطفلين.. وإما أن تستمري في الأسلوب الذي بدأته الآن بالسؤال عن تخريفي.. وفي هذه الحالة سيكون قراري هو هدم المعبد على رؤوس الجميع وأضحي بأن يصاب كمال بجرح تضمده الأيام. أما أنت فلا يمكنك تخيل ما قد يحدث لك!
من الجدار الزجاجي الذي يطل به المشرب على ذلك المشهد الدائري لقلب القاهرة.. لم يكن هناك ما يدل على سخونة الهواء ومعاناة البشر. وكأنها لوحة ثابتة من «الجرافيك» .. لا تفطن إلى أنها جزء من مشهد حي إلا إذا انتبهت لحركة السيارات على الكباري القريبة .. والنيل كعادته القديمة ساكن لا تبدو به رجفة من هذا البعد.. أما البرودة التي تشيع في المكان فهي الآن تصيبها بقشعريرة.. وكأن ظلها عبر فوق قبر كما كانت تقول داده حسنية»زمان..
جاء الساقي ورفع الأطباق.. وتساءل بأدب عما يمكنه أن يحضره. همست:
ـ قهوة سادة!.
لم تسمع تعليق سيد..كان قد تنحى إلى نقطة ما على محيط اللحظة .. نقطة لا أهمية لها. وحتى كرهها له لم يزد عن ذي قبل ولم يعد له أي أهمية على الإطلاق.. وعلى نفس المحيط نقاط أخرى.. والكل بعيد.. حتى كمال.. والطفلين!.. لم تبد أي رد فعل للألم حين

أحست بلسعة السيجارة التى أحترقت عن آخرها. فقط رمتها فى المنفضة..

ـ بعد إذنك .. دقائق فى الحمام وأعود...

... أى مأزق وضعت نفسك فيه ياسيد؟.. وماذا ستفعل معها الآن وقد تعاملت مع «كارتك» الرابح بهذا القدر من البرود!.. لم تغضب ولم تحتج ولم تكابر أو تنفى أو تنكر.. وايضا لم تنهر وتركع على ركبتيها وتطلب المغفرة والستر... وهى حتى الآن تتخذ موقفا يصعب تفسيره أو التعامل معه!... كيف تتصرف إذا تجاهلت كل ما قلته ولم تعن حتى بالرد على الاتهام؟...

صب الساقى قهوتها بينما كانت تعود... بنفس الخطوات الوئيدة الرشيقة (اللبؤة ذهبت للحمام لكى تعيد رسم زينتها.. ولا المحترفات!!)

ترشف القهوة وعيناها مشرعتان فى البانوراما خارج المكان. كان يهم بقطع الصمت مستحضرا أغلظ وأخشن مفردات المهنة ولكنها سبقته...

ـ سيد... أنا أحب : كمال .. أعشقه.. ولا يوجد رجل فى العالم سواه يمتلكنى أو يسيطر على مشاعرى!.

ـ والخيانة يا هانم؟...

ـ لم أشرك فى حبه مخلوق!..

.. المسألة عندها تتبع قانونا جديدا ربما أصبح سائدا فى أواخر القرن العشرين ببلاد اللحم والسكين. الحب شيء والجسد شيء اخر.. وأن تبيع امرأة ما تملكه لتحسين الدخل ومواجهة متطلبات الحياة فهو نوع من مشاركة الزوج والتخفيف عن كاهله...)

ـ مرتباتكم لا تسقى شربة ماء ياسيد!.. وكمال يدفع لأخوته ما يساعدهم على تكملة تعليمهم بعد تقاعد الأب.. هل تعرف أن سوسن أخته كانت تأخذ دروسا خصوصية للثانوية العامة بأربعمائة جنيه فى الشهر العام الماضى. وأنها ستدخل كلية الطب وما أدراك ما الطب ومصاريف الطب.. وغيرها أيمن فى الإعدادية .. وسحر فى دبلوم التجارة. وخالتك أم كمال التى تحتاج لأدوية بسبعين جنيها كل أسبوع.

ـ تفعلينها من أجل كمال وأهله.. أم لكى تلبسى وتتعطرى وتقتنى الذهب؟..

.. أما مسألة الحب هذه فقديمة .. القانون الذى تظنه وليد الظروف والأحوال قانون أثرى يتبع أقدم مهنة فى التاريخ. وذلك الفصل بين خصوصية المشاعر وتوظيف الجسد سمعته كثيرا من قبل...

(مازال يذكر حياة.. مومس لقيها فى بداية عمله بالإدارة وخطر له أن يسألها فى أمر حيره كثيرا... لماذا ترفض المومس أن يقبلها «الزبون» وهى تبيع له الجسد بكامله...؟.. يومها ضحكت وأحمر وجهها.. تصورا!. وشرحت السر.. شفتاها ملك لحبيبها وحده..واكتشف ان حبيبها هو نفسه القواد الذى يسرحها

ـ عزت أبو دقة هو حبيبى.. «مخاوينى» ويشغلنى هو فقط المسموح له يبوس!

ـ إفرضى أن الزبون أصر.. أو قبلك رغما عنك؟

ـ أبصق فى فمه وأطرش!. البنت سعيدة مرسى ـ الله يرحمها ـ راحت من جراير «بوسة».. الزبون غصبها فعضته وقطعت شفته فجن جنونه وظل يضرب رأسها بالحائط حتى خرج السر الإلهى!.

.... فما الفرق ياست نجوى؟.. ورق التغليف اللامع المزركش؟..
تتحدث السيدة نجوى وكأنها تنظر البعد الاقتصادى والمنطق التبريرى المرتبط بغايات تغفر الوسائل .. «تذكر وهو يسمع ... طنين الذباب الذى غطى جثة حياة حين عثروا عليها بعد عامين فى خرابة بأرض اللواء...؟»
حاضرهم ذلك الدكتور مستشار الوزير فى إحدى الدورات.. وتكلم كثيرا عن «الدعارة» المقدسة فى معابد البابليين والأشوريين.. ثم اضاف مثالا من الزمن الحاضر.. حيث افتتحت إحد جبهات التحرير الإفريقية التى تناضل ضد الاستعمار حيا فى عاصمة إفريقية مجاورة للدعارة وظفت فيه نساء من مواطنيها كانت مهمتهم الوطنية أن يبعن أجسادهن ويخصص الإيراد لصالح الجبهة..
.. وانت؟ من أى نوع يانجوى هانم؟ عاهرات المعبد المقدس... أم عاهرات القضية الوطنية؟ أم انك لاتزيدين عن حياة وسعيدة مرسى اللاتى يبررهن الظرف الاجتماعى والحاجة الاقتصادية........
... لم يعد سيد بحاسة شمه المرهفة يتنسم عطر نجوى البـاريسى الباهظ. بل بقيت فى خياشيمه.. رائحة تلك الجثة فى خرابة أرض اللواء...

الإبحار فى الليل:

رفض سيد أن يقطع لها وعدا بشىء. تركها وخرج لا يلوى على شىء.. رمى نفسه فى التاكسى وقد قرر أن يهرب من كمال الذى ينتظره!
(ماذا أقول له يا عالم؟ أكذب عليه وأقنعة بأنها تتقاضى مبالغ

إضافيـة من شركات تيسـر لها تخفيـضات الرحلات الجمـاعية ومن صندوق زمالة ومن «بونس» وحوافز؟.. أفعل هذا وأتحسس قرونى؟ أم أصارحـه بالحقـيقـة وأذبحه؟.. لا حل غـير الهـرب.. ولكن إلى متى.. سيبحث عنك فى كل مكان.. حتى يجدك وسيكون عليك أن تتكلم!)

رائحـة «الجاز» المحـترق داخـل التاكـسى تكمل مـعزوفـة الكرب.. ومنافذ النور تغلق واحدة بعد الأخرى!.. أنى يكون للحياة طعم ولا يوجد ما يبل الريق أو يفتح فى القلب مسرى للفرح؟..

.. عرج سـيد على شـقتـه.. رمى نفسه بملابسـه تحت «الدش» .. ثم خلعـهـا قطعـة قطعة وسـار فى الشـقـة «بلبـوصـا» يجمع مـلابسـه المتـسخة.. أوصـته الست أم ممـدوح بأن يحضـرها معـه ويحضـر ما يحتـاج إليه من غيارات (هذه فـرصة .. أيها الباحث عن الفـرصة .. تعود إلى المرفأ. وتهجر المنفى.. ولو إلى حين..).

لم تستطع شاهندة أن تكون وطنا بديلا.. فـجعلت من عش الزوجية منفـاها ومنفاك.. وها هى تريـد أن تعود للمـرفأ القـديم .. وتعطيك مهلة.... وتخـالجك.. فى الوقت نفسه فرحـة الطفل وأنت تعود إلى حـجـرة العـازب فى بـيت السـيـدة زينب.. الليلـة بالذات سـتكون احتفالا.. ستزور مقام الست.. وتشترى بعدها عزومة كباب من عند محـمد رفاعى.. وتتنـاول عشاءك مع الأب والأم. ونبـيل إذا جاء .. وبثينة..

.. لم ينتبه للحظة الإغفاءة التى اسقطته عاريا..

فى المنام.. كان البحر خضمـا والأمواج عالية والليل حالك الظلمة.. والزبد الغاضب يفور كأنه نفثـات الجان القابعين فى ممالك الأعماق.

وشاهندة تسـبقه بمسافة وتشـير له أن يتبعـها .. وحين وصل لم تكن هى.. همس له هاتف أجش الـصوت.. كـان فى الأغلب جـزءا من خرير الماء..

ـ هى النداهة أخت عروس البحر بنت ملك الجان!

... وجرس التليـفون يدق فى إلحاح.. ومع انفراجـة العينين لم تكن اليقظة كاملة... سمع الرنين بعيدا كأنه جزء من الحلم الذى كان ... تحامل على نفسه.. لم يدر أكان البلل عـرقا أم من مياه البحر.. تناول سماعة الهاتف ليأتيه صراخ كمال....

ـ الحقنى ياسيد...

كمال يبكى بصوت كالثكالى...

ـ الحقنى يا سيد.. نجوى ماتت ياسيد...

.. يطبق الليل.. وتعلو الموجة العملاقة لتحجب نور الفنار...



[٧] الزهرة.. والحجر



نصف قطر الدائرة

لم يستطع ان ينحى صورة لقاء الظهيرة عن ذهنه!.. قوامها الممشوق والعطر الذى يفوح مع خطراتها.. والطريقة التى كانت تتناول بها طعامها.. والسيجارة التى أشعلها لها.. وآخر كلماتها بعد أن ألقى بكرته الرابح واجهز عليها.

ـ اذا وعدتك بأن أكف عن «هذا» منذ اللحظة.. فهل يمكنك ان تنسى الأمر برمته.. ليس من أجلى.. فقط من اجل كمال؟.

وكيف تجاهل السؤال ورفض ان يلتزم «بالوعد» وهمس لها قبل ان يهب واقفا ويبرح المكان.. «أحسن لك تموتى!»..

يارب!.. لم أكن أعنى المعنى الحرفى! لا يمكن ان تكون امرأة فى مثل شخصيتها قابلة للانهيار بهذه السرعة.

.. وراح كمال الذى علت وجهه بعد ان نفد كل ما لديه من مخزون الحزن.. علامات صدمة لاتبرح.. وما يشبه ابتسامة الموتى.. يكرر حكايته للمرة الرابعة او الخامسة وكأنه يتلذذ بالحكى او يؤدى طقساً مفروضاً.

ـ حبيبتي رجعت فجأة قبل موعدها.. كانت مرهقة واخبرتني انها تحتاج لحمام دافىء تأوى للفراش بعده.. مازحتها قليلا عن حرارة الجو وعدم ملاءمة المياه الساخنة.. فقالت ان البرودة المنعشة تأتي بعد المياه الساخنة والعكس صحيح.. دخلت الحمام.. ومرت نصف ساعة.. فساعة.. ناديتها فلم تجب.. قرعت باب الحمام.. ولم اتلق اى رد. فتحته.. وجدت حبيبتي فى البانيو مغطاة بالمياه التى فاضت واغرقت ارض الحمام.. مغمضة العينين.. وعلى وجهها ابتسامة طفل.. طفل يا سيد.. تصور..

.. دفن كمال وجهه في كتف سيد وراح يرتعد وينشج وينادى نجوى.. ثم يتوسل.

ـ اعمل معروف ياسيد وامنعهم من تشريحها.. سبب الوفاة واضح فلا داعى.

ـ حاضر يا كمال...

ولكنه كان يعرف ان احداً لايمكنه منع الاجراءات الحتمية.. ولا حتي وكيل النيابة مهما تعاطف يمكنه الأمر بدفن الجثة دون تشريح.

.. خلية نحل فى مسكن المآساة.. الطب الشرعى والبحث الجنائى ورجال شرطة ورئيس نيابة.. وفى حجر النوم اصوات عويل وصراخ نسائية تمزق ما بقى من استجابة حية للزمن والمكان وما يحدث.

بعيدا فى الشرفة.. وقف مع «مجدى» ضابط البحث الجنائى الذى كان يعمل فى قضية البرج فوق حمادة غزلان.

ـ الطبيب الشرعى يقطع بأنها تناولت مخدر او منوم قبل ان ترقد فى «البانيو» وتفتح ا لمياه.. نامت اولا ثم غرقت.

مساحات الليل تنداح عبر ستائر مهلهلة ممزقة الحواف من الظلمة.. والغبار العالق بسماء المدينة معجون بقطرات الرطوبة الدبقة تتقاطر على الأسطح والأسوار وتكتنف خصلات الشعر.. «ترى هل مازال شعرها مبللا تتساقط منه قطرات الماء؟»..

افاق على آخر جملة فى كلام مجدى.. كان يتحدث عن حمادة غزلان.

ـ ماله حمادة غزلان؟

ـ البنت القتيلة التى وجدناها فى مصعد البرج!.. تعرفنا على شخصيتها أخيرا.. بنت ابن عمه! بنت ابن عمه؟..

من أين لابن قحبة مثله عم ليكون له ابن عم ويكون لابن العم هذا ابنه؟ وهو نفسه ابن حرام.. فى ملفه الموجود بالادارة تفاصيل كثيرة لايوجد بها ذكر ولا اشارة لأعمام او اولاد اعمام.

ـ اسمها يا سيد بك.. هنية حامد سلامه عبدالحى.. وخطاب قديم فى حقيبة يدها بخط حمادة غزلان يخبر فيه ابن عمه العزيز حامد سلامه عبدالحى بأنه عثر لابنته هنية على عمل فى شركة كبيرة بالقاهرة ويطلب منه ان يرسلها اليه على وجه السرعة!

ـ وما الذى ذكرك بقتيلة البرج ونحن فى قلب مأساة أخرى؟

ـ هناك صلة ياسيد بك.. هنية كانت تعمل لدى المقدم كمال.. كانت شغالة فى بيته حتى تركته منذ ثلاثة شهور فقط!

.. انفجر النور فى رأسه! حين رأى فتاة المصعد فى المشرحة باغته الاحساس بأنه يعرفها وسبق له ان رآها.. وعلل الأمر ساعتها بأنها لابد وان تكون واحدة من بنات «شبكة» سبق له ضبطها!!.

ـ هل تحدثت مع كمال فى الأمر؟...

ـ سؤال عابر وأفاد بأنه لايعرف عنها شيئا منذ هربت!
.. تركـه مجـدى ودخل ليواصل عـمله.. «برك» هو كـالجمل حين احس بثقل اليوم على كـتفيه.. رزح تحت كتلة ثلج افـقدته لأول مرة منذ ايام احـساسـه المعذب بالحـر.. كـان كرسى «البـامبـو» بالشرفة يحمل آثار عطرية تشى بأنه كان كرسيها المفضل!..
عادا من احتفال كمال ونجوى بعيـد زواجهما.. كان عشاء حافلا فى مطعم شهير يقع على حافة صـحراء الجيزة.. كان يعلق على الفاتورة الباهظة التى دفعتها نجوى ببـساطة من يبتاع كيلو عنب.. اما شاهنده فقد شردت مع حسبة أخرى.
ـ شممت «البارفان» الذى تعطرت به؟..
.. كانت خناقة لوش الصبح! فالعطر الباريسى الذى تكلف زجاجته المحتوية على ثلاين ملليمترا فقط ثلاثمـائة وخمسين جنيها جر بعده ثياب نجوى.. واكسسواراتها وحليها وادوات تجميلها.
ـ احسن منك كمال شيحة؟ أغنى منك؟..
ـ لا ياهانم.. زوجته هى الأغنى منك أنت!..
ـ بابا ومـاما يريدان ان يغـرقانى بالهـدايا.. انت من يرفض لأن عـقدك تملؤك!
.. ليلتها انتهت الخناقـة بصفعة على وجهها.. وجـرح قطعى بحاجبه الأيسر حين قذفته بفرشاة شعرها..
والآن.. العطر يفـوح مـفـعـماً كل شـىء وكأنه يـريد ان يغطى على ذكريات بقيت فى انفه لعفن الخرابة.
وجد كمال بجـواره فجأة يتهالك ويدفن رأسـه مرة أخرى فى ذراعه وهو يعول..

- يصرون على نقلها للمشرحة يا سيد.. امنعهم!
احس بنفور صاعق تجاه صديق عمره.. وهاجمه احساس خبيث بأن
في حزنه والتياعه وبكائه ومناداته المتكررة لحبيبته.. شيء ما زائف..
غير حقيقي.. أبعد رأسه عن ذراعه في رفق ونهض.
- ارى الا تقضي الليلة في هذه الشقة.. تعال معي.
- لا.. سأظل هنا.. سأحتضن آخر ما ارتدته قبل ان تدخل الحمام
واغرقه بدموعي حتى الصباح.
لم يرد عليه.. خرج بسرعة وهو يغالب غثيانه.. ولكنه لم يستطع
فأفرغ ما في جوفه في الشارع امام البيت..!!
وأدار موتور سيارته والسؤال يتأرجح في عقله..
اي نبل فيما فعلته السيدة نجوى بعد ظهر اليوم؟..
وأي نبل في حزن كمال شيحه؟..
في الدنيا لا شيء يغريك بالتعاطف مع اوهام النبالة!.. شادي وشذى
مجرد طفلين تأرجحت الأرض تحت اقدامهما.. وسيفاجآن مع حتمية
الإعلان ان امهما ماتت وابيهما يندبها وستنمو معهما احاسيس الغضب
والانكسار!.
- شاهنده لابد ان تحضري على الفور.. نجوى ماتت!

.. اشجار الليل..

تبدو اقرب الى السواد.. وتلقي ظلالا غامضة كأسرار البيوت
المهجورة.. وعلى الممر المرصوف بأحجار جرانيتية كانت اضواء
الليالي الصيفية تتخلل الفروع والاوراق لنباتات مستجلبه من
شواطيء المتوسط الأخرى..

هناك صورة قديمة ملونة في شقة المعمورة المفروشة لشجرة تنبت من قلب الصخر على مرتفع صخرى مطل على خليج نابولى.. نفس الشجرة تقبع تحت الشرفة على الممر..
صيف كامل وحيد لم يتكرر.. حين اشترك الاثنان.. سيد وكمال فى استئجار تلك الشقة المفروشة فى المعمورة.. واتفقا ان تبقى فيها الزوجتان ويظلان هما فى القاهرة على ان يقضيا اجازة آخر الاسبوع معا.
فى هذه الشقة اقتربتا الواحدة من الاخرى وتوثقت روابط صداقة عميقة رغم كراهية كل منهما لزوج صديقتها.. وقرب بينهما اكثر ان تعترفا بتلك الكراهية. نوع من التحالف السرى ينشب على ضفاف الحياة الضجرة الفارغة ويقتات على ثرثرات الآمال الموءودة و حسرات المشاعر الكسيرة.. وحين عبرت جداول العادة وانحدرت الى مساقط الجسارة والحلم بالمغامرة.. كانت نجوى هى المبادرة.
ـ لاتنتظرى! فالحياة لا تعطى الا من يقتحم!.
ـ وكمال يا نجوى..؟
تغرورق عيناها وكأنها ام يسألونها عن طفلها المريض! «من اجل كمال.. حتى اظل احبه ولا اكرهه كما تكرهين انت سيد! فليكن.. لاتكرهيه ولكنك على الاقل لم تعودى متيمة به.. انطفأت جذوة العشق الاول وباتت ذكرياته الما يتجدد ويترك فى الفم مذاق الرماد.
.. على ممر الشقة القديمة فى المعمورة.. كانت الاشجار تنفث عطرا طازجا يتماوج مع نسمات صيف رحل منذ زمن ولم يعد يجىء.. صيف كانت حرارته خدناً لنسمات الياسمين.. قد يكون البحر بعيدا ولكن عرائسه تتراقص قافزة فى احضان السهر.

بكت نجوى مع صوت فيروز تغنى لزهر البيلسان والحور العتيق وقمر مشغرة.
.. والآن يأتى صوت سيد العجاتى فى الهاتف ليقول لها ببساطة ان نجوى ماتت!!
.. صاحت عواطف هانم رشيد.
- جننت يابنت عواطف.. اى سفر فى وقت كهذا؟.. ومن نجوى هذه التى تفطرين نفسك عليها بكاءاً.؟..
لم ترد وراحت تعد حقيبتها على عجل ودموعها تنهمر بلا انقطاع.
- ردى على يا كونتيسه.. ياسمو الاميرة.. عبرينى!
.. تدخل الأب «دعيها فى حالها يا عواطف! نجوى هذه اعز صديقاتها وماتت فى ريعان شبابها..
تركتها الام واشتبكت مع الاب.. فانسلت فى هدوء.. وخرجت تبحث عن وسيلة تقلها الى محطة السوبرجيت!..
تندفع الحافلة فى قلب الليل كفهد يطارد الفريسة.. والرءوس تميل على مساندها او تستند الى زجاج النوافذ العريضة.. الذى تنعكس عليه صورة شبحية للركاب.. وجهاز تليفزيون معلق يعرض شريط فيديو لفيلم تافه لا يتابعه احد..
بالمنديل الورقى تجفف دموعها.. وتتذكر آخر كلمات نجوى! لم يكن الاتصال مفاجئا فهى تحدثها كل يوم تقريبا.. لكن الكلمات كانت غريبة.
- سيد كان معى يا شاهندة.. تركنى منذ عشر دقائق فقط وانا اكلمك الآن من الفندق.. كل توقعاتك حدثت!.. زوجك يعرف كل شيء واظنه الآن فى طريقه لكمال.. لا اعرف ماذا افعل!

لماذا لم تزعجها المكالمة او تسبب لها اى بادرة من قلق؟ هل لانها تعتقد جازمة ان كمال «يعرف» بينما تخدع نجوى نفسها مؤكدة استحالة ان «يعرف» او حتى يشك؟ ام لأنها تعرف الى اى مدى يعشق كمال زوجته وانه مهما قيل له عنها سيغفر؟.. قالت لها مرة.
ـ زوجك حالة فريدة.. واظنه لو ركعت امامه باكية معترفة لبكى معك وردد كالمسيح من كان بلا خطيئة فليرم المجدلية بالحجر!
مرت سيارة نقل بمقطورة مسرعة بجوار الاوتوبيس او مر هو بجوارها.. لم تستطع ان تحدد.. ولكنها بوغتت فتسارعت دقات قلبها.. اغمضت عينيها لترى نجوى بفستانها السنجابى الرائع وهى تدور به امامها.. «آخر صيحة فى باريس.. الف وخمسائة دولار».
جلست وامسكت بيديها وعيناها مغرورقتان.. كان اللقاء الاخير قبل سفرة الصيف..
ـ لا يا شاهندة.. انت غيرى.. ابق كما انت ارجوكى! لا شىء فى الحياة يعادل ان تحترمى جسدك.. وان تحفظيه فقط لمن تحبين!.. كل ما قلته لك قبل الآن مبعثه غيرتى منك.. نعم اغار منك لدرجة الجنون واحرق لهفة لان اجعلك مثلى.
.. هبطت فى موقف السوبرجيت لتحتويها «ساونا» القاهرة.. وكان سيد ينتظرها.
ـ البقية فى حياتك..!
ـ ماذا فعلت بها يا سيد؟..
.. لم يكن فى حالة تتيح له ان يجيب ولم تكن هى فى انتظار اجابة..
منذ قرابة عام فاجأها سيد.. «لابد ان تنهى علاقتك بنجوى..» سألته

من السبب فلم يذكر «كدا وخلاص!» رفضت وتشاجرا.. فى اعماقها كانت توقن انه يعرف شيئا عن حياة نجوى الخفية «ليس عن طريق عمله والا عرف كمال ما يعرفه هو.. ونجوى اكدت لها ان عملها «الاضافى» لايتم عن طريق آخرين ولاتعتمد فيه على تنظيم يديره آخرون.. «اى شبكة يا شاهندة؟ ألا تنتقى الفاظك؟.. انا لست محترفة.. ولست عاهرة تنام مع اى زبون يدفع.. لقد اخترت واحدا فقط.. جنتلمان شديد الثراء يعاملنى كأنى ملكة ويغدق على ببذخ مقابل ساعة اعطيها له بين الحين والحين.. هو «رفيق».. او «عشيق».. وليس زبون».

حيرتها مسألة «الرفيق» هذه.. تخيلتها كثيرا وحاولت ان تبررها.. لم تكن نجوى اول من حدثها عنها.. وحتى قبل ان تتزوج سيد كانت حكايات النميمة تسرد اخبارا كثيرة عن زوجات وسيدات ومطلقات وارامل.. يقتنين «رفاقا» او يقتنين «رجالاً».. والجميع يحلون مشاكلهم من خلال قناة سرية موازية لمجرى النهر الظاهر.. وحين التهمتها «طانط» جميلة بعينيها ولمست شحمة اذنها بشفتها الارنبية وهى تهمس لها بكلماتها الداعرة احست بأنفاس رجل يدعوها للفراش.. «عرفت فيما بعد ان «المدام» تحتفظ لنفسها بمتعة اول مرة.. تسلمها بعدها «للرفيق» صاحب المال..» وحين اصر حمادة غزلان على اعطائها هدية سماها «عربون المحبة».. سقطت من فمه كلمات تشير الى ان كل برغوث على قد دمه.. وان المسألة «رفق» وليست دعارة!.. هل كانت تقلب الأمر على وجوهه.. وتوازن.. وتحسب المخاطر والمزايا؟ ام كانت ترفض الامر فعلا؟.. للآن لا يعرف سيد انها ذهبت بقصة نجوى وبحيرتها هى

الشخصية الى الحاجة سنية زوجة عمه الشيخ سعد.. والقت بين يديها بالهم كله.

سمعتها المرأة الطيبة الى النهاية.. مرت سحابة معتمة على وجهها المورد.. واغمضت عينيها.. وتحركت شفتاها بأدعية وابتهالات غير مسموعة.. ومن خلال جفنيها المنطبقين فرت دمعتان وانعقد معهما الحاجبان.. وكانت انامل شاهندة تتجمد فى ندم ثلجى.. حين وجدت كفى الحاجة تحتويها وتضغطها فيسرى الدفء فى اوصالها جميعا.

ـ اما عن صاحبتك فلها الله.. هو الغفور قابل التوبة.. «قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ».. والشرط فقط ان تتوب.. اما انت فبك صلابة طبيعية حصنك بها المولى سبحانه.. ولكن الضغوط شديدة وتخشين ان تغلبك!.. ومجيئك لى هو استغاثة.. ولن اخذلك!.

.. طلبها الشيخ سعد فى التليفون «يا ابنتى اذا اردت ان تدخلى دارى فالبسى.. ارتدى الزى الاسلامى ولاتتبرجى.»..

.. افاقت على صوت سيد يسأل فى الحاح..

ـ البنت هنية الشغالة! اتذكرينها؟..

ـ مالها؟..

ـ هى نفسها قتيلة المصعد..

استطالت اشجار الليل كالمردة وتشابكت فروعها وبدت كقطع منفصلة عن كتلة الظلمة.. اكثر سوادا واصلب كثافة!..

ماالذى جاء بك؟.. «آه لو اعود لأتوسد الرمال واغسل قدمى بمياه الفجر.. واتنسم عطر الخضرة الطازجة معجونا باليود والملح.

كانت نجوى مغرمة بسباحة الليل.. وفى موجة مشابهة لعامين خليا.. هناك فى المعمورة.. اصرت على ان تشاركيها.. وفى وسط مياه ساكنة وقفت وشعرها الذى التصقت خصلاته بخديها يقطر على رقبتها الرومانية.. وانعكس ضوء عابر من الشاطىء على دمعتين تبرقان وترتجفان.

ـ حلمت يا شاهندة انى اموت غريقة!

ـ تخاريف نوم القيلولة..

ـ لم اكن نائمة حلمت الآن فقط ما رأيك لو فعلناها الآن.. بسيط.. نغوص ولا نصعد.

.. ثم اختارت «البانيو».. الله يرحمك يا نجوى!

التفت سيد بحدة.. وجد جسدها ينتفض ونشيجها يتعالى.

ـ يا سلام؟! لو امك او اختك ما نهرتى لهذه الدرجة.

.. آه كم كرهته فى هذه اللحظة!

الطيور على اشكالها..

ايقظها الكابوس وغطيط سيد و«خنقه» الجو.. توترات ما بعد الكابوس جعلتها لاتطيق النظر نحو سيد.. فلم تلحظ هل استلقى على وجهه كعادته ام على جنبه.. «هذا آخر ايامى معك يا سيد».

اعدت لنفسها فنجان القهوة المغلية.. وجلست امام التليفزيون فى الصالة.. كانوا فى برنامج «صباح الخير يا مصر» يستضيفون سيدة تتحدث عن الاطفال المعاقين ولا تكتمل على لسانها جملة مع اصرار شاب وفتاة من اصحاب البرنامج على مقاطعتها والاجابة احيانا بدلا منها.. ويبدو ان الفقرة كانت على الهواء فعلا ورغم ما

يشاع عن انهـا معدة ومسـجلة مسبقـا فقد احتجـت السيدة بعصـبية ونهضت منصرفة.. واسـقط فى يد الولد والبنت.. ضحكت شاهندة مـغـالبـة تأثـيـرات الكابوس وتم تدارك الامـر بالقـطع على مـقـدم التنبـؤات الجوية. «مـازالت البلاد واقـعة تحـت تأثير منخـفض الهند الموسمى.. فـتوالى درجـات الحرارة ارتفـاعها ليكون الطـقس شديد الحرارة على مخـتلف الانحاء..».. اطفأ سيد جهـاز التليفزيون وهو يلقى بنفسه الى جوارها..

ـ ان شاء الله سـيتـساقط الناس صرعى فى الـشوارع.. وكمـال كان يتوسل لكيلا ينقلوا نجوى الى ثلاجة المشـرحة.. فى هذا الجو.. تفسد الجثة فى ساعات قليلة وتتصاعد روائحها!

.. قفزت شاهندة الى الحمام تفرغ مـعدتها التى صعدت الى حلقها!.. واحس سيد بما فى كلماته من «جليطة».. وحيـن عادت مصفرة الوجه دامعة العـينين لم تجلس مكانها الأول الى جواره.. واجهته عـبر كرسى مقابل.

ـ نصحتك مرارا الا تتناولى القهوة على الريق!

ـ دعك من القهوة!.. سيد..

سكتت وبقى هو ينظر فى توجس..

ـ لم انم غـير نصف سـاعـة.. قرب الصـبـاح.. زارتنى نجوى عـارية والمياه تقطر منها.. واخبرتنى انك وكمال اشتركتما فى قتلها.

.. بين اشـجار حـدائق المنتزه.. عند الغـسق.. جسـدها كتـمثـال من الشمع.. ووجـهها تغطيه طبـقة من الجيـر او «السبـيداج».. ومكان عينيها فجوتان سوداوتان.. والمياه المنسالة من شعرها وجسدها تصنع بركة على النجـيل تحت قدميهـا.. شفتاها لم تنفـرجا ومع ذلك كان

صوتها فى اذنى شاهندة «زوجك وزوجى قتلانى معا..» ثم أخذت تمشط شعرها فتسقط خصلاته على الارض وتتدحرج نحو قدمى شاهندة وتتحول الى سرطانات بحرية تجرى وترفع كلاباتها.

ـ انت مجنونة؟!..

اهذا كل ما فتح الله عليك به يا حضرة الضابط؟.

ـ لماذا ترتدين ثياب الخروج.. لاتوجد جنازة.. فالنيابة لن تأمر بدفن الجثة الا بعد التحقيق المبدئى وتقرير الطب الشرعى والتثبت من عدم وجود شبهة جنائية.. وكمال واسرة المرحومة لن يتقبلوا اى عزاء الا بعد دفنها.. وليس من شىء تفعلينه فى اى مكان.. ام تريدين رؤيتها فى المشرحة؟..

.. وهى مستمرة فى الاستعداد للخروج اخبرته انها لن تحضر جنازات ولن تتقدم بعزاء لاى كان.. ولاتريد رؤية جثث.. هى فقط عائدة الى الساحل الشمالى..

ـ نعم؟ وما الذى احضرك من هناك حتى تعودى بعد اقل من عشر ساعات؟

ـ هزتنى الصدمة.. فهرعت.. اما الآن وقد صفا ذهنى فكما تقول لايوجد شىء أفعله.. ولا لزوم لوجودى فى اى مكان.

ـ اتفقتى معى ان تعودى خلال اسبوع.. وها قد عدت.. فلماذا السفر مرة اخرى.

ـ سيد!.. لن اعود الا مع اسرتى.. الى بيت اسرتى فى العجوزة.. ولن اطلب منك الطلاق ثانية.. عندما تيأس وترمى طوبتى ارسل الورقة.. واذا ظللت على عنادك فليكن.. بشكل ما لم يكن ما تقوله مفاجئا.. كان فى قرارة نفسه يحسه.. ولأول وهلة احس برغبة

عارمة فى ان يضربها.. وليظل يضربها حتى تقطع النفس.. ولكن نوعا من السكينة الحزينة غير المبررة غمره وجعله لا يميل الى الشجار.

ـ شاهنده! اذا لم تبق معى.. فلن تكونى لغيرى..

ـ لن اتزوج.. فقد رأيت من جنته ما يكفينى بقية عمرى!.

ـ والطفل الذى تريدين؟..

ـ وماذا تظن؟ هل لديك اقتراح؟.

. اسند رأسه بين كفيه ولكن العرق الذى ينبجس من كل مسامه. جعل الملمس لزجا فبحث عن علبة المناديل الورقية.. وكانت شاهندة.. قد خرجت وصفقت الباب خلفها.. لم تطلب منه حتى ان يقلها بالسيارة.

دخل حجرة النوم.. بحث عن القميص الداخلى الذى نامت فيه.. امسكه بكلتا يديه.. ودفن وجهه فيه.. احس لحظتها انه فقد شاهندة الى الابد!..

.. المفترض ان يكون طوال اليوم مع كمال.. ولكن مشاعر النفور التى تملكته منذ الامس لم تبرح.. حدثه هاتفيا واخترع له قصة مرض ألم بالست ام ممدوح واضطراره للتواجد معها.. بكى كمال فى التليفون مرة اخرى فنهره بخشونة.. كف الرجل عن البكاء وطلب منه ان يذهب الى الادارة نائبا عنه فى تخليص الاجراءات التى تتم فى هذه الاحوال..

.. قابله عاطف خلف الله بسمت الآسف الذى يتضامن مع احزان مرءوسيه ويبالغ فى تقديم الخدمات.. وتخلى مؤقتا عن مشاعره العدائية تجاه سيد.. بل رحب به فى حرارة وطلب له عصير مانجو موصى عليه.

ـ احكى لى يا سيد يا حبيبى.. أحقا انتحرت المرحومة؟.. هذا اعجب العجب.. فنحن جميعا نعرف كيف كان كمال يحبها ويضعها فى حبابى عينه.. حتى ان ام الاولاد كانت تعاركنى وتتصعب على نصيبها.. وياليتك يا عاطف كنت مثل كمال!
ثم مال على اذن سيد يهمس.ـ الهانم زوجتك كانت صديقتها الروح بالروح.. ومؤكد انها كانت موضع سرها.. الم تخبرك عن حقيقة الدوافع؟..
ـ نعم اخبرتنى يا سيادة العميد.. نجوى هانم لم تستطع تحمل الموجة الحارة فانتحرت!! ما رأيك فى هذا الدافع؟ ينفع..؟
اربد وجه عاطف استياءً وغمغم بكلمات مدغمة ثم وقع الأوراق وطلب من سيد ان يسرع بالانصراف ليلحق «الخزانة».
.. اخذه الطريق بلا اى نية مسبقة الى الشارع الخلفى بين البرجين.. واكتشف لحظة وصوله ان جميع عمليات البحث والتحقيق قد انتهت.. ولم يبقَ من آثار ما حدث غير اختام الشمع الاحمر على باب المصعد وباب شقة الدور العلوى..
.. كان حمادة جالسا مع محسن فى المعرض.. ينظران فى اتجاه خروجه من باب العمارة ويتبادلان جملا تضحكهما لدرجة ضرب الكفوف!.. للمرة الأولى منذ دخلا دائرة اهتمام سيد العجاتى لايبدو على اى منهما شىء من الاكتراث.
ستجعل من نفسك اضحوكة يتسلى بها الاسافل يا سيد.. ماذا تنتظر بعد ايقافك عن العمل؟.. هذان الشقيين بامكانهما ان لم تحترس ان يورداك مورد التهلكة.. الشر والخبث والوضاعة فى مقدور اضعف البشر.. يمتلكون بها قوة تعوضهم بتدمير الآخرين.

وقف في وسط الشارع يواجه المعرض.. وينظر لهما مباشرة..
غاضت الضحكة.. واكفهر وجه غزلان «ماذا يريد ابن الابالسة؟..
الم يكفه ما حدث ليحل عن قفانا..؟ ماذا بعد ايقافه عن
العمل؟.. واى سلطة في يده الآن ليفرض بها رذالته على
الخلق؟.. وهو كذلك.. اقبل يا روح خالتك.. تقدم.. لماذا تتسمر
مكانك هكذا كالصنم؟.. تخاف.. اليس كذلك؟.. تعرف انك لو
تحرشت بنا فستكون نهايتك في الداخلية.. سيرفتوك.. وسنوزع
الشربات على روحك ونكسر كل فخار البلد خلفك.. وستطولك
يدى يا سيد يا عجاتي.. واقسم بشرف خضرة شناوية ان اجعلك
عبرة.. اياك ان تتصور ان خروجك من الادارة او حتى من
الداخلية كلها سينهى ما بيننا.. لا وحياة من خلفوك.. الثأر بايت..
ولن يصفيه الا موت إلا بعد.. وعهد اقطعه على نفسي يوم تموت
يا سيد ان اقف على غسلك وبدلا من قطعة القطن التي يضعونها
في «استك» سأضع يد الصلاية بما علق بها من عجينة الثوم!..
ولكنى قبل موتك سأعد لك فرجة العمر.. فرجة تطبق عليها
جفونك وتصبح آخر ما تراه في الحياة الدنيا.. شاهندة ـ حبيبة
القلب ـ يفترشها العبد لله!..
ـ الى اين يا حمادة.. اعقل ودعك منه.. خله مكانه حتى تصيبه
ضربة شمس!
.. لم يستمع حمادة الى نصح العرايشي.. وخرج الى رصيف
المعرض.. وقف واضعا يده اليمنى في سيالة الدشداشة.. ومرسلا
يده اليسرى الى اسفل وكأنه يداعب ذكره ودق بكعب حذائه
الاجلاسيه الاسباني بلاط الرصيف.

ـ يا مرحب يا سيد بك؟.. لماذا تقف سعادتك بعيدا تحت الشمس؟.. تفضل داخل المعرض.. التكييف بالداخل يرطب جلد سعادتك.. والقنفذ عنده بن محوج لا يقدره الا المزاج العالى.. ولأجل خاطرك تعميرة هبوَ لبنانى من الصنف الذى اوصى به حسان اليمانى فى زمانه.

صمت ليضحك وقد اتسعت حدقتاه وتراقص حاجباه.

ـ قرب.. تعالى عندنا.. سأفتح لك شقة ابوساهر فى البرج الثانى.. وسأحضر لك بنت بنوت بشوكها.. تسعة عشر عاما وغير مختونة.. «موطوطة».. لاشعر ولا حتى زغب.. واشعال ذاتى.. من اول لمسة!..

.. ادرك سيد ان القواد يمعن فى استفزازه ليستدرجه.. تركه يقهقه فى رقاعة.. واستدار الى سيارته.. ولاحقه صوت الخنزير..

ـ يا محسن يا عرايشى هذا لا يصح.. حبيبنا سيد بك مقامه اكبر من هذه «الخردة» التى يركبها.. جهز له عروسة «فول اوبشن» على الزيرو.. وانا سداد!..

.. ويتناهى صوت الضحكات.. ليبقى فى الاثير.. ذبذبات كحشرجة الاحتضار..

درجة غليان الدم..

.. والشمس المصلوبة فى المنتصف تتجلى مقتربة فى حمأة ظهيرة بلا ضفاف!. شرايين واوردة يديه وذراعيه تمتلىء.. تنبض.. تنضح حبات العرق المتناثرة فتنزلق وتتساقط على منطاله فوق الفخذين.. والسيارة تدرج وسط الزحام ملتهبة عند اى ملمس للمقود او المقعد

او عصا ناقل السرعة او سطح.. التابلوه.. ورائحة بنزين غير محترق تتزايد.. ومؤشر الخزان يشير الى تناقص غير طبيعي.. هو غالبا ثقب في الخرطوم.

«عوض» الميكانيكي في شارع مجلس الشعب قرب تقاطع الناصرية.. صنايعي شاطر وعنده «مروحة» يسميها المتوحشة لزئيرها ورعشتها التي تهز اى سطح توضع عليه وعوض يحيطها بموانع سقوط لانها تتحرك.. سلطها على سيد بك الذى لم يأبه لتحذيرات عوض من ابتلال كل ملابسه بالعرق وخطر التعرض لتيار الهواء الذى تطلقه المتوحشة.

أي هواء ياعوض انها تجلب تيارا ساخنا كأنه أنفاس جهنم وتصلح أن تكون مجففا للشعر.

وعده الرجل بأن استبدال الخرطوم لن يستغرق اكثر من دقائق.

وجد نفسه على مدى خطوات من بيت نبيل.. فعبر الطريق.

ـ اعرفها.. زارتني مرتين مع شاهندة.. الله يرحمها.. كانت جميلة!.

.. غامت نظرات «ابله بثينة» بظلال قاتمة.. بينما انبرى نبيل.

ـ ما تتحدث عنه نتاج طبيعي للفترة.. الخلل يا سيد اصاب تركيبة الطبقة الوسطى.. فتصادمت التطلعات البورجوازية بأخلاقيات وتابوهات تراثية.. وخلق هذا الخلل فجوة.. اذا عجز الفرد عن عبورها سقط فيها.. وهذا ما حدث لزوجة صديقك.. او صديقة زوجتك.. سقطت في الفجوة..

هل يعني نبيل الكلمة؟.. لما اختار.. السقوط.. انت لم تذكر لهما غير واقعة الانتحار.

في غرفة مكتب نبيل المكيفة.. كان الحديث اقرب للتلامس.. ربما

كانت اول مرة يتحدثان كصديقين.. وربما كان هذا بمبادرة من سيد الذى احس بجوع هائل لمشاعر الاقتراب.

ـ اجل يا حضرة الضابط.. اعنى الكلمة بحرفيتها.

ـ يا سلام! مكشوف عنك الحجاب ام تشم على ظهر يدك؟

ـ لحظة..

وقف فى مدخل الباب ونادى على بثينة.

ـ تعالى واشهدى بالحق!.. ماذا قلت لك عندما زارتنا شاهندة ومعها صديقتها للمرة الثانية..؟

.. اخوك هذا فظيع يا سيد! لم يؤمن ابدا الا بالحكمة القائلة «سوء الظن من حسن الفطن».. بمجرد خروجهما اعطانى الوصف التفصيلى للحالة.. هذه زوجة ضابط شرطة مرتبة لا يتجاوز مع كل الاضافات والبدلات سبعمائة جنيه.. واهلها كما ذكرت ناس مستورين.. واهل زوجها يشاركون راتبه.. تتغندر بعطر فرنسى فادح الثمن وترتدى ارقى المودات الايطالية والانجليزية.. لاحظى القرط فى اذنيها و«الكولية» والاسورة.. انت بنت جواهرجى وتعرفين ان هذه المجموعة الماسية تساوى ثروة.. والامر واضح لا يحتمل التخمين ولا الجدل.. فى مثل هذه الظروف تسير النساء على صراط كحرف السكين.. وهذا المجتمع فى ظرفه التاريخى يخلق بالضرورة ضحاياه.. ولكن يا نبيل لماذا لم تسقط شاهندة؟..

ـ قلت لها انها مسألة وقت!!

غرس نظرته الحادة فى جبين سيد الذى احتج فى وهن.

ـ التكوين والتربية يا نبيل.

- اسرة السيدة شاهندة كما اعرف لاتربى بناتها على سجادة الصلاة!!..

.. «ماذا افعل؟.. هل اتشاجر معك واضربك..؟.. هل اثور واغضب واقاطعك لآخر العمر؟.. لقد جئتك مثخنا بالجراح وها انت تحشو جراحى بالملح..

تهادت كف نبيل على كتفه فانتفض.. فى نظرة «الماركسى» العتيق تبرق اخوة حقيقة

- لم اقصد ايلامك يا سيد.. فالاخوة لا تخضع للتحليلات العقائدية.. نعم.. عارضت دخولك كلية عسكرية.. وكرهت «الضابط» فيك.. واحتقرت ممارسات «السلطة» الغاشمة التى تهدر آدمية البشر.. ولكنى طبعا احبك.. وانا لا اتحدث عن نجوى وشاهندة من منطلق الادانة.. ابدا.. هن ضحايا كما ذكرت.

- لماذا تصر على ربط نجوى بشاهندة..؟

- السقوط يبدأ داخل النفس يا سيد.. وسقوط الجسد هو آخر خطوة..

- اذاً فانت تنفى الاختيار.. وكأن السقوط جبر وتسيير.

- لا اختيار الا مع الحرية يا سيد.. والحرية فى مثل هذا الظرف سراب.

لاتبرر السقوط يا أستاذ؟.. وما كل هذا الحديث عن «الظرف».. الظرف يقهر الضعفاء فقط.. هؤلاء الذين فسدت جذورهم.. فشبوا فى منبت السوء.

.. انا لا ابرر ولا احلل يا حضرة الضابط.. انا فقط اتلمس الاعذار.. لا اريد ان القى الاحجار على المجدلية لانى لست مبرئا من الخطيئة..

واعـرف ان الزهرة الرقيـقة قـد تنبت فى جلمـود الصخـر وتشقـه.. ولكن قدم الوحش قد تدعسها.

الظرف جمـاد غير عاقل يا سـيد.. لا منطق فيه.. ولا عـدل.. النجاة صدفة.. والسقوط صدفة.. الامران واردان بنفس النسبة.

.. اتعرف يا نبـيل.. هذه الموجة الحارة قد تنتـهى فى اى وقت.. لانها لابد ان تنتهى.. ولكن هل تتركنا مـثلما كنا حين بدأت؟.. وهل هى كالـظروف لاتعقل.. ولاتدرك مـاذا تفعله فى البـشر..؟ الا يـحدث خارج الجـدران المكيفـة الآن فى الشوارع وبيـوت الاحياء المـتوسطة والفقـيرة ان يسلك الناس ويتصـرفون ويتخـذوا قرارات وفقا لتـأثير منخفض الهند الموسمى؟.

.. انتحت به «ابلة بثينة» جانبا.

ـ ماذا تنوى ان تفعل يا سيد؟..

ـ لا اعـرف يا «ابله».. لقـد كنت دائمـا بالنسـبة لى اختى الكبـرى. وثقتى فى وجاهة رأيك بلا حدود.. فانصحينى.

تنهدت.. وقطبت حاجبيها وشردت نظراتها رغم احاطتها به..

ـ لاتصدق تحليلات نبيل.. شاهندة بنت قوية.. وهى محصنة بطبعها ضد السقوط..

ـ هل علمت بحكـاية الهدية الـتى اخذتهـا من قـواد اسـمـه حمـادة غزلان؟..

.. «قال نبـيل ان السقوط يبـدأ داخل النفس.. بالتفكيـر.. والتعليل.. والبحث عن مبررات.. وحساب المكـسب والخسارة.. وقبول الهدية حتى لو كان تورطا لا شعوريا الا يؤيد وجهة نظر نبيل؟..»

ـ طلقها يا سيد!.

.. النصيحة ليست اقتناعا بنظرية الزوج.. ولكنها بحث عن راحة «سيد» ..

.. سلمه عوض السيارة فسأله:

ـ اتظنها قادرة على مشوار اسكندرية؟..

ضحك عوض وهو يؤكد له ان المسألة ليست مضمونة.

غير رأيه بعد ان اصبح فعلا عند بوابة الرسوم فى الطريق الصحراوى.. عاد ادراجه وقرر ان يستشير آخرين.. الأب والأم.. والحاجة سنية زوجة العم..

.. لمعت عينا الست ام ممدوح بفرح حقيقى.. «ليتنى استطيع ان ازغرد..

وقال الاستاذ راشد.. فتسريح بإحسان!

.. اما الحاجة سنية فقد رآها لأول مرة مقرحة الجفنين والحزن يزلزلها.

ـ عمك تزوج اخرى يا سيد!



[٨] وشم الروح!



... الاستاذ راشد كان غاضباً لدرجة فاجأت سيد..

.. استطيع أن أحصى عدد المرات التى رأيته فيـها غاضباً على أصابع يد واحدة.. ومعظمها كانت لأسباب خارج «الأسرة».. وكان غضبه لا يكاد يُرى.. فهو لا يتعدى تلك السحنة المكفهرة عاقدة الحاجبين.. وشفـتين مطبقـتين مزمومـتين.. ونظرة كابيـة عبـوس.. والصمت.. والانزواء.

فى المرات القليلة التى رأيت فيها أبى على هذه الصورة.. كانت أمى تحذرنا..

ـــ دعوه وحده وحَذار أن يدفعـه أحدكم لنقطة الانفجار.. وإلا رأيتم شر الحليم إذا غـضب.. (نقطة الانفجار هذه رأيتـها الآن.. ولم أكن قد رأيتها من قبل..)

ـــ ماذا كان ينقصه؟ الخلفة؟ .. الأطبـاء أكدوا أنها مشكلة محلولة.. وعلاجـها جـراحة أبسـط من جراحـة الزائدة يمكن لسنية بعـدها أن تحمـل وتضع «أورطة» من الأطفال.. ولكن «الدكـتور» المتـبحـر فى علوم الدين.. الذى «فلقنا» منذ التـحق بالمعهد الابتـدائى بثرثرته عن

الحلال والحرام أصدر فتواه بأن الجراحة تعد اعتراضا على المشيئة والإرادة السماوية.. كان يضمرها فى أعماقه.. يبقيها حجة ليعلنها فى وجه من يعترض.. سنية معيبه لا تنجب.. ومن حقه أن يبحث عن «الولد» مع أخرى..

.. بقى سعد صامتاً.. منكساً رأسه فى أدب مصنوع جيداً.. (أدب القرود على أصوله كما همست أم ممدوح لسيد..) .. وهذا الأدب لم يطامن من غضب الأخ الأكبر..

ـ إذا كنت حقاً تعتبر الحرمان من الذرية مشيئته عز وجل.. فلماذا لم تمتثل وقد أرادت تلك المشيئة أن تجمع بينك وبين سنية؟ أجبنى يا سى رعد!..

.. لم يسمعه سيد ينطقها أبداً.. فهى اللقب الذى أطلقه نبيل على عمه.. وكان الأب يبدى امتعاضه منه وطلب من نبيل أن يمتنع بعد أن شكاه سعد.. وها هو الآن يجرده من الاسم واللقب العلمى.. وحتى لقب المشيخة.. ويناديه بلقبه «المكروه»..

.. واضطر سعد إلى التحلى -ولو مؤقتاً- عن أدب القرود..

ـ لك أن تلومنى وتعنفنى يا أخى.. فأنت لست شقيقى الأكبر فقط.. أنت أبى الذى ربانى.. ومهما قسوت علىّ فلن أعترض.. ولكن ألا تسمع دفاعى؟.. الأمر -صدقنى- لا علاقة له باشتهاء الحريم.. وإنما هو ابتعاد عن شبهة التناقض مع المشيئة واستخدام رخصة.. والله يحب أن تؤتى رخصه.. إذا كانت سنية -التى أحبها وأحترمها وأضعها فوق رأسى- قد حرمت من نعمة الانجاب فلى أن أبحث عن أخرى تكون بمثابة «ماعون» لا أكثر..

.. وقبل أن يرد الاستاذ راشد.. كانت الست أم ممدوح قد تحولت إلى بركان بشرى يقذف بحممه فى وجه الرجل.

ـ «ماعـون» يا سعـد؟ .. بنات الناس فى نظرك مـجرد «مـاعون»..
خـيبـة الله عليك من وسع.. وليـعـوضنى سبـحـانه خيـراً من الأيام
والليالى التى انفقتها فى تربيتك ورعايتك.. وليرحم الله ستى الحاجة
«نبويـة» أمك.. «الماعون» الذى احـتواك ثم وضـعك.. لو سمـعتك
تقولها لخنقتك ثم ماتت من الحسرة!!..

.. ورفضت الحاجـة سنية أن تبيت ليلة أخرى فى مـنزل «الدكتور»..
جاء شـقيـقها عـبدالرافع وتشـاجر مع صـديقه القديم حـتى تماسكا
بالأيدى.. ولولا وجود الاستاذ راشد والمقـدم سيد لانتهت الليلة فى
المستشفى وقسم الشرطة!..

.. وإذ سيطرت قضية الزواج الثانى للشيخ سعد على أجواء «السيدة
زينب».. فقـد عاد سيـد إلى شقته.. ولحظة وصـوله تلقى مكالمة من
عـمـر الجندى الذى عـاد للقـاهرة فـى اجـازة خـاطفـة حين علم بما
حدث..

... جاء فى وقته!..

أين ولت أيام الصفا يا عمر؟ .. ماذا فعلنا بأنفسنا أو فعلت الظروف
بنا..؟

قطر الندى

بيت عمر القديم فى القاهرة لا توجد به أجهزة تكييف.. فقط مروحة
سقف عـتيقـة وأصيلة.. أحـضر إلى غرفـتها مـروحة أخرى حـديثة
وأدارهما معاً..

ـ المشكلة أن المـراوح تحرك الهـواء السـاخن!.. قـد تجـفف العـرق
ولكنهـا لا توقف نزيفـه.. لدى فى مـرسى مطروح جـهـاز تكيـيف

ولكنى لا أستخدمه إلا فيما ندر.. الجو هناك جاف نسبيا رغم البحر!.. تقول انهم أوقفوك؟.. كنت أتوقع شيئاً من هذا القبيل وفى رأيى أنه تأخر!.. لم يعد لك عيش فى الآداب يا سيد.. لماذا لا تنتقل إلى إدارة أخرى؟.. المطارات والموانى.. الحراسات الخاصة.. مثلاً.. انت تعرف أن خالى أصبح نائب الوزير.. ويمكننى أن اتحدث معه بشأنك.. أنا؟ .. يا حبيبى أنا الذى أرفض النقل.. حياتى انتظمت واستقرت فى مرسى مطروح ولا أرضى بغيرها بديلاً.. ومع ذلك فقد ينقلوننى رغماً عنى فى أى وقت.. والآن يا بوالسيد .. ما هى قصة نجوى وصاحبك كمال؟..

... طول عمره يهوى الحديث فى الحمام.. هو لا يغلق بابه عليه أبداً.. ومنذ اللحظة التى يبدأ فيها خلع ملابسه وحتى اللحظة التى ينتهى فيها من حمامه لا يكف عن الحديث مع أى شخص -إذا لم يكن هناك من يزوره يدير حواراً مع «إمام» خادمه وطباخه العجوز الذى ورثه فيم ورث من بيت الأسرة- يقول كمال شيحه فى معرض تشنيعه على عمر الجندى انه اضطر حين سافر عم «إمام» لبلده فى عارض عائلى ما إلى استجلاب «عسكرى خدمة» ليستحم عليه.. وأن المسكين لأنه لم يستطع أن يقول غير نعم وحاضر مما أفسد متعة الحوار.. لقى جزاء سنمار وطرد شر طردة.. بينما يروى سيد تشنيعة أخرى.. وهو يقسم للجميع بأن عمر يفتح شباك الحمام ويتبادل الحديث مع الجيران إذا لم يكن لديه «زبائن».. (وهما طغمة من الأوغاد -هكذا يرد عمر- لا هم لهم إلا الانتقام منه لأنه الوحيد من «الشلة» الذى نفد بجلده ولم يتزوج).

ـ انت بالذات يا عمر لو تزوجت لكنت أسعدنا.. فستظل تتحدث مع زوجتك ليل نهار ولن تتيح لها أى فرصة للملل..

ـ لماذا تهرب من الإجابة يا سيد؟..

ـ انتظر حتى تنتهى من حمامك يا عمر.. فهذا حديث لا يصلح للكلام من خلف الجدران!..

... يخرج عمر ملفوفاً بالبشاكير.. ويلقى بنفسه على الكنبة وهو يعب «البيرة» من الزجاجة رأساً.. بينما يلف سيد «الشوب» بين كفيه مستمرئاً برودة الزجاج الذى تعلوه «شبورة» الثلج..

لم تمر ثوان حتى انبجس العرق من مسامه كلها.. وسيد يحكى قصة الساعات الأخيرة..

.. وأغمض عمر عينيه.. وبدا كما لو كان قد استسلم للنعاس..

.. هل بهتت حمرة التراب فى الزرقة الكحلية عند الأفق؟ قيل له ان ذلك حين يحدث يكون ايذانا بانكسار الحر.. وهو من بين رموشه المسدلة يتلمس أى مرئيات تتخلل مسارب الليل القاتم.. يحنو إلى نسمات ليلة صيفية من ليالى المغانى القديمة.. على أرصفة شوارع مصر الجديدة العريضة.. فى الميرغنى والنزهة وقرب حديقة «الميريلاند».. زمان قبل هجوم مواسم «الهند».. ينتهى حر النهار على حافة الغسق.. حيث يلتهم رماده حمرة الشفق القديم.. وتتقدم نسمات وسنانة تترنح تحت الأشجار وتترامي على الأعطاف التى تتنسم عبير نشوة موعودة.. فتعب بلا شبع وتسرى فى الأوصال تياراً من عنفوان شاب.

آه لأيامنا المسلوبة! وقد خوت قبضاتنا التى اطبقناها على الهباء..

ـ انت وكمال لم تحسنا الاختيار.. اندفعتما إلى الزواج بعد قصتى

حب سريعتا الاشتعال.. سريعتى الانطفاء.. أنا لا أحكم على نجوى فلم تتح لى أى فرصة لأن أعرفها عن قُرب.. رحمها الله..
ــ أتظنه يعرف يا عمر؟..
نطق سيد السؤال مباغتاً وبعيداً عن السياق فأربك عمر.. الذى اعتدل فى رقدته ورفع رأسه عن مسند الكنبة... (من يعرف ماذا يا سيد ياعجاتى؟..)
وكأنه لم يسمع السؤال واصل حديثه.. (.. فى شكواه لى.. تظاهر بأنه يعانى من عذاب الشك..!.. ولكنه كان يعرف)..
ــ أستغفر الله العظيم..
نهض عمر ليجلس.. وتجرع ما بقى فى زجاجة البيرة..
ــ وماذا أيضا فى جرابك يا سيد؟..
ــ دورى فى الشك يا عمر.. ولكنى لن أفصح حتى تتقلص مساحة الظلال عن مشارف اليقين..
.. يمعن الليل فى حلكته إذ يستقلان سيارة سيد فى طريقهما لكمال.. الاثنان مقطبان وقد غرقا فى صمت يشبه بحيرة زيت ساكنة.. صوت المحرك فقط يهدر فى تحد وقح لأوامر السكون.. فى رأس عمر صداع لا يعرف إذا كان نتيجة لاستلقائه تحت المروحة بعد الحمام.. أم أنه أمر داخلى بالامتناع عن التفكير.. أربكه سيد العجاتى تماماً بكل ما رواه عن نجوى.. لم يرها فى زياراته للقاهرة بعد زواج كمال غير ثلاث مرات.. فى دعوات شبه رسمية للعشاء خارج المنزل.. كانت تبدو أنيقة.. رشيقة.. لها ذلك الجمال «الحاضر» المسيطر.
.. فى مرة من المرات الثلاث.. كان هو المضيف.. ازاح لها الكرسى

لتجلس اتساقا مع قواعـد «الاتيكيت» فاحتكت به وهي تمر من المساحة الضيقة.. أثاره الاحتكاك وولّد داخله لفحـة اشتهاء سريعة.. ما لبث أن كبـحهـا مستنكـراً «وزّة» الشيطان».. هذه الغـادة «الفينوسيـة» التى لم يعرفها.. تفـعل ما حكاه سيد وما أودى بها إلى الجـحيم؟ .. لكن سيد يتساءل منذ التقى بصديقه المبتعد.. هل ينتهز فرصة وجوده.. شاهداً أو عازلاً.. أو حامياً؟..

.. مـصيـبتك الأزليـة يا سـيد!.. مـولود أنت بغـدة «شك» كالغـدد الليمفاوية والدرقـية والصنوبرية والكظرية وكل أنواع الغدد.. وغدة الشك عندك تفرز سمومها لتشبع بها جسمك ونفسك وتفسد عليك حيـاتك بأسرها..! ألم تدمر زيجـتك وتقطع خيـوط ارتباطك بالمرأة الوحـيـدة التى أحـببت؟.. أولا تسـير بك الآن إلـى فقـدان أقـرب أصدقائك؟..

كمـال شيـحة وعـمر الجندى وأيام الفـجر يا سيـد.. فى ذلك الزمن الرغـيد.. زمن البـكور وقطرات الندى تنحـدر على أوراق الخضـرة الطازجة! مـا الذى فصل الضلع الثـالث فى المثلث لينأى بنفـسه عن الحمـأة التى ألقيت فيـها انت وكمال شـيحه؟.. هل زود عـمر بتلك الحـاسـة ذات المجسات وقـرون الاسـتـشـعـار التى تنذره بالأرض الرخوة.. حيث تتـخمر ردغة الوحل فـتصنع قشرتهـا الخادعة توهم السـائرين بصـلابة ظاهرة حـتى إذا خطوا فـوقـها انـدعست تحـتـهم لتغوص أقدامهم وأجسادهم حتى الاختناق؟

حدث فى شتاء سابق

ارتمى كـمـال فى حـضن عـمـر وبكى عـلي كـتـفـه وهو يرثى «حـبيبـته» الراحلة ويعـدد مناقبـها ملحـاً على اعزازها الـفائق

لعـمر.. (.. كـانت دائماً تـردد.. عمـر هذا هو أخلص وأوفى أصدقائك!..)

احـمرت اذنا عـمـر وهو ينظر لسـيـد كأنما يشـهـده على مـبالغـات صاحبـه.. (ثلاث مرات كل الحكاية يا عم كمـال.. وحوارات عابرة لا تعنى شـيئا غـير المجـاملة.. ولكن.. لا بأس.. إنه احـساس الفـقد والخسارة والرغبة التى تتملك الموجوعين فى تضخيم الأشياء..)

لم يكف كمال عن الكلام ولم يغير موضوعه.. وعمر يسمعه ويؤمّن على مبالغاته ويواسيـه بكلمات موجزة بين الحين والحين.. بينما بقى سيد شـارداً.. عابساً يغوص بعـينيه وأفكاره فى السمـاء المحمرة من خلال الشرفة المفتوحة.. وحين لدغـته حشرة ما -لا يعرف إذا كانت بعـوضـة أو سوسـة طائرة من النوع الذى يظـهر فى الليـالى الحـارة الراكدة- كـانت اللدغة كـافية للاجـهاز على ما بقـي لديه من قدرة على مغالبة الانفجار.

ــ كنت تعرف كل شىء يا كمال!..

التفت إليه كـمال وقد باغتته نبـرة الاتهام.. أعرف كل شىء عن أى شىء يا سيد؟..

.. وكانت قـدم كمال قد انزلقت علـى المنحدر الأملس الناعم وبات من المستحيل أن يتراجع..

ــ لقد لجأت إلىّ لتبثنى شكوكك حـول كثرة المال فى يد نجوى.. وما يظهر عليهـا من آثار النعمة غير المبـررة.. وطلبت منى أن اعرف منها عن طريق شاهندة كل ما تخفيه..

شحب لون كـمال.. وابيضت شفـتاه.. بينما تدفق سيـد وكأنه يزيح بقدم حجراً يحجب انسياب مياه الرى الفاسدة إلى المصرف.

ــ لم تكن المسألة مجرد شك! أليس كذلك؟.. كانت يقيناً يا كمال.. وكنت تعرف..

... أخيراً استطاع كمال أن يستوعب ما يهدر به سيد..

ــ أعرف ماذا يا سيد؟..

ــ كل شيء يا كمال! .. كل شيء كان أوضح من أن يثير الشك فقط.. وكانت المرحومة تعرف انك تعرف..! هى لم تفاجأ حين حدثتها عن شكوكك.. فقط أدهشها انك أفصحت عما تظن هى انك تعرفه وتغض الطرف عنه! وكأنها بشكل ما تحتج على انك «حشرتنى» بينك وبينها..!

ــ ماذا تريد يا سيد؟..

صرخ كمال والغضب يكتسح أحزانه ويلقيها جانباً..

ــ ماذا فعلت لك نجوى حتى تحاول أن تشوهها؟ أى رغبة شريرة تتملكك وتجعلك ضبعاً ينبش قبور الأموات؟

.. تدخل عمر سريعاً.. (ما يقوله أحدنا للآخر هنا لن يتجاوز جدران هذه الحجرة.. ولا بأس من أن نفرج عما بداخلنا.. سيد لا يريد أن يشوه سمعة نجوى يا كمال.. انه مثلى يريد أن يعرف.. لقد لقى نجوى فى نفس اليوم.. قبل أن تموت بساعات قليلة.. ولا بد أنها ذكرت لك ما دار بينهما فى هذا اللقاء!)..

راح ينقل نظراته المرهقة بينهما.. وقد أصبح كالوتر المشدود.. [ماذا يريدان؟ ما الذى أتى بهما فى مثل هذه الساعة؟.. أجاء عمر حقا ليؤدى واجب العزاء؟.. أم اتفق مع سيد وجاءا لاستجوابك؟..]

تيار من الشك والتوجس والكراهية سرى بالتدريج فى ثنايا الجو الرطب الخانق.. أضحت الحجرة كوكر جرذان مسدود.

ـ اتركانى.. وليمض كل منكما فى سبيله.. سأتجاوز عن كل ما تثرثران به.. وارجعه إلى مزاج أفسده الحر.. بشرط أن تكفا..

.. لكن سيد كان يهوى فى انزلاقه إلى قاع البئر.. مغمض العينين.. لا يدرى ماذا سيجد عندما يرتطم.. أغلب الظن انه سيجد ذلك الأفعوان الذى ابتلع الجوهرة.. فى بيت جدته بالحلمية كان يلعب مع أطفال شارع «ماراسينا».. ويتسابقون فى شقاوة يغلفها الرعب للنظر من خلال فوهة السرداب القديم الذى حذرهم الأهل من دخوله أو الاقتراب منه لأنه ملىء بالعقارب وعناكب أبوشبت.. وأم أربعة وأربعين.. كلها تهون بجانب «وارد البيت».. أو «حارس كنز الجن».. ذلك الأفعوان الرهيب الذى يبلغ طوله أربعين متراً وقطر جسده خمسة أمتار.. ولا تقتله إلا ضربة فأس واحدة تبتر رأسه فتتدحرج معها جوهرة يضىء بريقها السرداب كله.

... جوهرتك هى الحقيقة يا سيد.. هى الخلاص.. هى الوصول إلى شاطىء السلام: حيث لا شكوك ولا وساوس.

ـ فلن أبرح حتى تجيبنى يا كمال..

ـ أجيبك على أى سؤال يا سيد؟! انت لم تسأل.. وجهت اتهاماتك الحقيرة فقط.. وانت يا عمر باشا.. تضع لى ساقاً على ساق وتريد أن تعرف.. جئت من مرسى مطروح خصيصاً لتستجوبنى.. فلتعلما كلاكما أن نجوى كانت أطهر امرأة فى الوجود.. وكانت أخلص زوجة!.. نجوى كانت تعبد التراب الذى أسير عليه.. وتلك عقدة كل منكما... الباشا سيد العجاتى تزوج امرأة يحبها ولا تحبه.. عشر سنوات والحب من طرف واحد.. والباشا عمر الجندى لم يعرف

الحب طوال عمره.. عرف فقط أحضان «الساقطات».. فمن أين لكما أن تعرفا نعمة الحب؟..

[... قاع البئر يقترب.. وفحيح الأفعوان يلهث...]

ــ كفاك تظاهراً ونفاقاً لنفسك يا كمال.. أنت تعرف جيداً ماذا كانت نجوى تفعل.. ولم تجرؤ على مواجهتها مطلقاً.. هى التى واجهتك بعد لقائى بها.. جاءتك معترفة.. وضعك اعترافها فى مأزق.. وانسد عليكما الطريق!

.. لم يعد وجه كمال وجهاً لإنسان.. أصبح قناعا من الشمع.. ولم تكن الحشرجة التى خرجت من حلقه صوتاً لكائن على قيد الحياة..

ــ اخرج من بيتى الآن يا سيد يا عجاتى!..

.. غمز عمر لسيد بركن عينه.. (اتركنا معاً يا سيد.. ولنلتق فى الصباح..

لمح عمر زجاجة «البلاك» فى أحد أرفف المكتبة.. ووجد قوالب الثلج فى «الفريزر»..

حول المائدة «البامبو» فى الشرفة.. كان كمال اكثر هدوءاً.. وتساقطت قطع الثلج فى الكأسين.. وكان الصوت دعوة للتصالح..

ــ لم أكن أتصور أن تكرهنى يا عمر!..

ــ المسألة لا يمكن أن تكون كراهية يا كمال!..

ــ وماذا تكون إذاً..؟ أخبرنى أنت فربما أثر الحزن الهائل على رؤيتى وحكمى!..

.. صمت عمر طويلاً.. وهو يدير قطع الثلج فى كأسه بأصبعه السبابة.. أغراه هدوء كمال باستئناف المحاولة..

ــ مازال السؤال معلقاً يا كمال..

... لم تكن الشمس قد غربت حين أضيئت الأنوار فى الشقة.. فاجتذبت أعداداً كبيرة من الذباب.. التصقت واحدة بجبهة كمال العريضة فى المسافة المحايدة عند بداية صلعته.. ولكن لم يحس بها.. ضايقت عمر فراح يراقبها ويود لو أبعدها عن صلعة صاحبه وكأنها تطن على جبهته هو..

ـ شادى وشذا حدثانى بالهاتف اليوم من بيت جدهما.. اعتقد انهما لم يستوعبا حتى الآن ما حدث..

(.. يا عمر.. هذا رجاء مستتر من صاحبك لكى تتعاطف مع «يتم» طفليه فتترك سيرة أمهما فى حالها.. لكن السؤال مازال معلقاً كما قلت.. تركه سيد كالبندول يتأرجح ولا يتوقف.. والاحتمالات التى يثيرها تعبر منطقة الخوف إلى تخوم الجنون.. والمشكلة لم تعد «شكوك» سيد لأنه فيما يبدو لك قد وصل إلى يقين يريد فقط أن يسمعه على لسان الآخرين.. المشكلة الآن هى شكوكك أنت..)

ـ بينى وبينك يا كمال.. هل صارحتك نجوى بشىء قبل انتحارها؟..

... تحركت الذبابة على صلعته أفقياً ولكنه لم يحس بها أو لم يأبه لها.. رفع الكأس إلى شفتيه وتجرعها مرة واحدة وكأنها «شَربة» ملح انجليزى يريد الخلاص من طعمها..

ـ ماذا يدور فى رأسك أنت أيضاً يا عمر؟ .. المسكينة مازالت فى ثلاجة زينهم لم تدفن بعد وتريدان نهش جسدها قبل ديدان القبر؟

لطمته العبارة.. ولكنها لم تثر قرفه أو رثاءه كما تصور كمال.. دفعته بالعكس إلى الشاطىء المقابل.

[أنت تحب هذا ياكمال.. تستعذب الإحساس بالخيانة.. وتختار

دائماً «الأنثى» الخائنة!.. كيف تهتدى إليها؟.. لا أعرف.. ولكنى عاصرت وشهدت كل علاقاتك قبل الزواج.. أتذكر ذلك الشتاء البعيد.. وتلك الليلة فى يناير.. التى جئتنى فيها محمر العينين تبكى وتتهمنى بأنى خطفت منك «سلمى»؟ .. المضيفة التى صادقتها ثم عرفتنى بها ورحت تدفعها نحوى بكل الطرق.. حتى خامرنى الظن بأنك تريد التخلص منها بعد أن مللتها فتجاوبت مع محاولاتك وحين حدث المقدور خاصمتنى وملأت الجو بصياحك وشكواك حتى عرف القاصى والدانى حكاية سلمى مع كمال وعمر؟.. تذكر طبعاً! وتذكر أيضاً خطيبتك الأولى «هناء الصاوى» التى جررتنى من ذراعى لكى نضبطها معاً فى تلك الشقة المفروشة «بروكسى» مع زميلها الراقص فى فرقة الفنون الشعبية؟.. وكيف درت بنفسك على الجميع تحكى لهم دامع العينين حكاية الحب الخائب والخيانة؟..

انت لست غاضباً من سيد العجاتى.. وغداً ستقص بنفسك اتهاماته لنجوى على الجميع.. انت حالة يا كمال.. وحالتك تخطت الحدود القديمة لضعفك وأصبحت مرضاً عضالاً ينهش أعماقك..]..

.. تلقى سيد مكالمة عمر عند الفجر..

ـ سأعود إلى مرسى مطروح فى الصباح.. كل شكوكك حول كمال فى محلها.. كان يعرف ويهرب من المواجهة.. وحين حدثت أطبق الظلام.. أراك على خير يا سيد!

لعبة التداعى

نور «المقام» أخضر.. وأسراب العصافير تسبح فى فضاء القبة الداخلى حول الشخشيخة.. والسجاد الذى نحلت حوافه يحمل

عطن الأقدام المبللة بالعرق وماء الوضوء.. ورائحة «البخور» والعطور الشرقية النفاذة التى تباع على ناصية الصاغة والحمزاوى..!
نور المقام أخضر بلون الشال الذى يلف عمامة كبير متصوفى الطابق الأرضى.. ولون الزرع فى الأصص والقصارى الفخارية الموضوعة فى المنّور المكشوف وتحرص الست أم ممدح على النزول لريّها فى مواعيد منتظمة..

ـ عمتك كانت مولعة بها.. وأنا أراعيها اكراماً لذكراها..

فى احدى صباحات ذلك اليوم الصيفى.. داخل الإصيص الكبير كانت هناك سحلية خضراء.. لم تهرب حين اقتربت.. وظلت تحدجك بعينيها الكرويتين اللتين تشبهان حبتى «عين العفريت».. فى محل عطارة الجد بشارع زين العابدين..

أيا زين.. أيا زين العابدين..

أيا ورد مفتح.. جوه البساتين..

.. على زين العابدين.. ابن الحسن.. ابن الإمام.. وابن أخ السيدة ذات الشموع «القايدة».. نور المقام أخضر.. وشال العمامة.. وزرع القصارى.. وسحلية المنّور..! سعد الأزهرى يرفض التبرك بالمقام ويصمه بالوثنية.. ونبيل الماركسى كان يذاكر دروسه قبل الامتحان فى رحاب المسجد الزينبى!..

ـ الحب ليس تخلفاً يا سيد.. حتى لو أحببت المكان! وأحببت الحجر!.. والناس هنا يحبون السيدة.. والحسين.. وزين العابدين.. وكل آل البيت.. وهذا الحب هو الذى جعل الشوك ورداً بفضل عرق المصطفى.. الناس يحبون المقام والنور الأخضر والحضرة.. هم لا يعبدون الجماد.. وعمك سعد لا يفهم!

.. باكياً يجرى صاعداً درجات السلم.. وقد رأى دماء «الحولى» على رصيف الجامع .. يخبط رأسه فى الحائط حتى يدميه.. تحتضنه الأم وهى تتلو الآيات بصوت مسموع. ويمسك بخناقها.. يضغط بأصابعه ليخنقها.. ثم ينهار مغشياً عليه..

... قيل للست أم ممدوح أنها لمسة «أرضية».. وداخت به السبع دوخات بين «الحكماء» والمشايخ وأضرحة الأولياء.. حتى كان القول الفصل.. «لا بد من الزار»..

تضع الست أم ممدوح شالاً من القطيفة الخضراء.. لكن دماء الديك الذبيح تختلط بدماء «الحولى» بسواد «الكودية».. يلطخون جبينه بأصابع مغموسة فى دم الديك.. ويتمتمون بكلمات مدغمة ثم تنفجر الدفوف.. والأصوات المشروخة.. وترقص النساء فى دائرة تتقدمها الست أم ممدوح مع الكودية التى تنطق ملامحها الزنجية الغامقة وكحلها الأزرق والخرزة المغروسة بجانب أنفها بكل ما كتب من طلاسم فى مدن المجوس.. ينعقد لواء الرعب على أسنة رماح الجان.. قيل للست أن من تلبس جسد طفلها هو جن سودانى رضيع.. يعول فى أصوات مذبوحة تخرج من حلوق رجال ذوى شعر طويل ينسدل على الكتفين.. وكانت آخر وصايا اليوم المشهود.. أمراً من الجن:

دقى له!!

.. يجب أن تدق له وشماً.. والوشم أخضر.. ونور المقام أخضر.

في مدرسة «القربية» -حيث تلقى أول دروس الخشونة وتم تكريسه وعجنه بمياه العفاريت.. كان الأطفال من جبهة الخصوم يزفونه مهللين.. (سيد يا بو دقة.. فاكر ولا لأ؟)

.. بكى فى البيت ورفض أن يذهب إلى المدرسة.. ثم لجأ إلى الهرب و«الزوغان».. وكان عمه سعد يبحث عنه حتى يجده فيحمله بنفسه إلى «الناظر» ويضربه أمامه متظاهراً بتأديبه..

والست أم ممدوح تتشاءم من إزالة الوشم.. فقد ارتبط بشفاء الصبى من اللمسة الأرضية.

.. ولكن الاستاذ راشد -فى احدى المرات القليلة التى تصدى خلالها لإصدار القرار-اصطحبه إلى الدكتور «شقوير» فى درب الجماميز..

سيد لا يحب اجترار الألم.. ينساه.. ولكن.. تلك المساحة اللامعة معدومة الشعر والمسام فى جلد ساعده كانت تذكره بالساعة الرهيبة فى جحر شقوير بالبدروم.. الذى خرج منه وقد انتقل الوشم من ظاهر الجلد.. إلى الداخل.. بقعة مستديرة خضراء تومض بالألم إلى حد البكاء كلما حزبه أمر..

سيد يا عجاتى.. سيد يا عجاتى..

خيبتك القوية عايزة مغنواتى..

.. فيم جئت.. وفيم ترحل يا عمر يا جندى..؟

المواجهة لم تكتمل.. وكمال مازال مختبئاً.. والأسئلة لا تجد إجابات..

شال العمامة أخضر.. وشال الأم من القطيفة الخضراء.. ونور المقام أخضر.. يراوح على ارتعاشات الأهداب يريد أن يسبق دمعة تتكون تحت الأجفان..

عطر الأم يتسلل إلى أنفه مع ملمس صدرها.. واهتزازات جسمها على إيقاع هينمات المهد..

هو.. هو.. هو..

.. ابتسامة طفلية قـديمة على وجه سيد.. والست أم ممدوح تطل عليه من فرجة البـاب.. تلمح قطرات العرق على جبينه.. تتـسلل بخفة.. وبمنديل من مناديلها التى لا تـفرط فيهـا -بعد ثورة الكلينكس».. تمر مراً رفيقاً..

خلف تقاطع الرموش.. يرى سيد مساحة خضراء..

لون شيش «الخنصر» المطلى بالزيت الأخضر حديثاً..

الخنصر ذلـك الشباك الصـغيـر فى ركن حجرة الصـالون المطل على الشرفـة.. والطفل يصـعد على الكرسى.. ويدفع الشـيش الذى تمت شنكلتـه.. ليرى وجـهين.. وجه يكرهه ولا يطيـقه لشـاب كان يزور البيت كثيرا.. والأم تأمرهم بأن ينادوه «خالى فكرى».

قـيل لـه بعـدها بسـنوات أنه ابن عم الست أم ممدوح.. وكـان داير «عليهـا» قبل أن تتدخل القسـمة لتعطيـها للاستاذ راشـد.. لا يعرف سـيد هل كـرهه قـبل مـوقعـة الخنصـر أم بعـدها.. الوجه المـستـدير بحاجـبيـه المزججين.. والشارب «الدوجـلاس» الفاحم.. والشـفتين المتلثـتين المفتوحتين دائماً عـن ابتسامة متـدلية تجذب معـها لأسفل شفته السفلى..

كـان يهمس.. للوجـه الآخر الذى يظـهر جـانبيـا فقط.. نظرة شـاردة.. وسـمت عابس.. وجـه يسمع بشـفتين مـزمومـتين لا تفتـران.. وحمـرة تخضب الخد.. يد «فكرى».. تتحرك.. تتلمس أصابع الأم.. التى ترتجف بشدة ثم تتـباعد.. وكلمـات هامسة سـريعة مشـحونة بالغـضب المكتوم تتدافع.. وتخرج الست أم ممدوح.. ويبقي الوجه الكريه وحده..

هو.. هو.. هو..

وسيد لا ينام...

فى النور والنار

... مع أول ساعات النهار طلبوه فى الإدارة!.. كان الطريق خالياً على غير العادة ثم تذكر أنه يوم اجازة رسمية توافق مناسبة ما.. استطعم مذاق شطيرة الفول بالكمون والطماطم الذى أصرت الست أم ممدوح على أن يأكله فى الطريق بعد أن استيقظ متأخرا.. والله زمان! ظل عشر سنوات كاملة يُعد الفطور لنفسه.. والآن يعود ليأكل من يد «الحاجة»! .. سرح فى «شاهنده» طوال الطريق!.. لم يستطع حتى اللحظة أن يحدد أسباب الفشل... هل السبب كما قال كمال انه أحبها من طرف واحد؟ .. كلا.. فقد أقسمت له مراراً أنه حبها الأول.. وأن عمرها ما عرفت معنى الحب إلا بين أحضانه.. ثم أن نجوى كانت تعشق كمال ومع ذلك خانته.. (ومن أدراك أن شاهنده بدورها لم...؟) بتر السؤال داخله وقد تشنجت يداه على المقود وانطبق فكاه كلٌ على الآخر فى ضغط يكاد يحطم أضراسه.. تعكر المزاج.. فى بداية يوم آخر من أيام الحريق..

ـ سرك باتع يا شيخ سيد.. ربنا يجعلنا من مريديك..

كان عاطف خلف يتميز غيظاً ودهشة وهو مضطر للترحيب به..

ـ لم تمض على ايقافك غير ساعات.. ويصدر لك أمر آخر بحلّ الوقف.. من أين لك بهذه «الكوسة»؟

هى مفاجأة فعلاً... (معقول؟ هل استطاع عمر الجندى أن يتصل بخاله نائب الوزير بهذه السرعة؟ ... انه حتى لم يطلبها منه ولم يشر عمر بكلمة إلى احتمال التدخل «الأسرى».. أم أن المسألة جاءت طبيعية حين عرض موضوع سيد على الباشا نائب الوزير؟

.. ربما.. فاللواء شريف الجندى يعرف سيد جيدا.. وقد أخبره اكثر من مرة ان الباشا يمتدحه ويعتبره «ضابط شاطر».. إذاً فهذا هو التفسير الوحيد...)

رفع الاحتمال المرجح من معنوياته فمازح العميد عاطف ساخراً:

ــ أنت «كوستى» ياباشا.. أكيد تدخلت والتمست منهم رفع الإيقاف عن أحسن ضابط عندك!

رمقه عاطف عابساً..

ــ وهو كذلك يا خفيف الدم.. خذ.. رزقك فى رجليك..

دفع إليه «بمحضر» تحريات.. وعقب وهو ينهض تاركاً المكتب..

ــ استصدر أمر النيابة.. وجهز القوة.. أريد هذه القضية خلال أربع وعشرين ساعة..

.. انتحى جانباً وطالع المحضر.. كان باله مشغولاً بأمر آخر.. ولكن الطنين تسرب إلى سمعه.. ترك الأوراق وطلب مجدى فى المباحث الجنائية.. أخبره مجدى بأن رئيس النيابة قيد الحادث انتحاراً وأمر بدفن الجثة..

(صوت الرجل حول الطنين فى أذنيه إلى دوىّ تختلط فيه أصوات كثيرة وكأنها أصوات مولد السيدة فى ليلته الكبيرة.. يميز من بينه «جلجلة» المدفع المحمل بطارات الفولاذ يدفعه الشباب ذوى العضلات ليرتطم بالمصد.. صوت مجدى فى قراره الأجش يوحى بأنه غير مقتنع..)

ــ هل تريد أن تصارحنى بشىء يا مجدى؟..

ــ ربما فى وقت آخر يا سيد بك..

ولماذا فى وقت آخر؟.. إذاً فهناك ما وراء الأكمة! ولست مريضاً

بالشك يا سيد! عمر نفسه قالها قبل سفره.. [كل شكوكك حول كمال في محلها].. هاجمه بغتة احساس بالذنب والخجل وكأنه يتآمر على صديق عمره!.. مالك أنت وكل ما جرى بينه وبين زوجته وبينها وبين الآخرين؟.. انفض يديك من الأمر كله.. وركز في عملك.. ليهرب من مناقشة قرار لم يتخذه جدياً.. عاود قراءة المحضر.. فانجلى الطنين عن صوت واضح يرن في رأسه:

ـ لا شك في الاسم.. شيرين أحمد ربيع!!

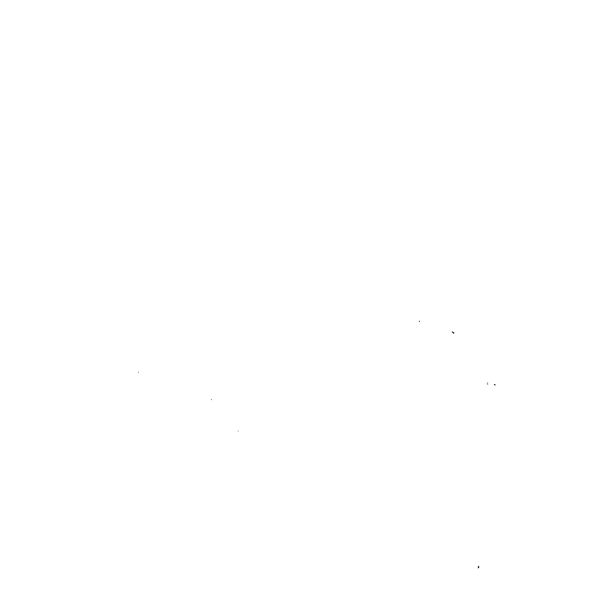
ضبط نفسه بفرحة تشفى يخالطها تقلص في أمعائه.. وغصة حزن حقيقى في صدره..

أصدر تعليماته بتكوين قوة المداهمة.. وحدث وكيل النيابة المختص ليعد الإذن.. وقضى الساعات الباقية قبل الصفر.. في المكتب.. يدخن ويجرع أقداح القهوة على الريحة.. وغالب اكتئابه باستحضار صورة حمادة غزلان وهو يتراقص ساخراً أمام معرض العرايشى ويدعوه لقعدة «مزاج ونسوان».. وظل يمعن في تفاصيل الصورة استحضاراً وتحديقاً ليتغلب على دفقة حزن غير مبررة.. حاول طويلا أن يحلل السبب.. خطر له أنه حزن على «ظرف» عام.. ولكنه همس لنفسه والصول «حجازى» يدعوه للركوب على رأس حملة المداهمة..

حرام على إجلال.. حلال على حمادة!!



[٩]الإنكســـار...



... ركب الحملة يسير وكأنه موكب جنائزى بلا مشيعين.. ساعة الصفر كانت الثالثة على «وش» الفجر..

مرات عديدة شاهد سيد نفس المشهد.. فى السابعة كان جزءاً منه ولكنه هذه المرة «يتفرج» عليه.. لم يندمج.. ربما لأن نقطة ما غائرة فى وعيه على حدود الخط الفاصل كانت تنغص نشوة الظفر.. ورغبة مراوغة تتأرجح على حافة الانتظار بأن يخيب «محضر التحرى» فيما يتعلق بالبنت شيرين ... لِمَ؟... ربما لأن «إجلال الشيمى» لا تستحق هذا العقاب!

... لكن غزلان يستحق بالتأكيد... هذا المخلوق الآفة.. الذى انحط مع الحر والغبار والرطوبة على أديم الأرض ليصيبها بالجرب واللعنة.. ذبابة تقود سربا من ذباب يهبط على مآقى العيون وزوايا الشفاه محملا بذرات الروث والرمم العفنة ليتقيأ لعابة المسموم ملوثا كل منهل...

... وآذنت ساعة الصفر بالهجوم.. الشقة رقم سبعة وأربعين بالدور السابع.. كل ما ورد بالتحريات كان دقيقا.. إلا ما يخص

شيرين ربيع!!.. لفوا الفتيات فى ملاءات السرير وضبطوا «المتعلقات» واقتادوا «الشهود المشاركين».. ولكن لم يعثروا على شيرين فى أى مكان... مع أنهم لم يتركوا شبرا فى الشقة..

قال «المخبر» ذاهلاً:

ـ لم أتحرك من مكانى يا باشا.. وقد دخلت العمارة أمام عينى هاتين .. شيرين أحمد ربيع بنت حماده غزلان.. كانت الساعة سبعة إلا عشرة .. ولم ألمحها تخرج.. تحول الإحساس الأول بالارتياح إلى غيظ جامح.. وقد رأى حماده يخرج له لسانه ويرقص له رقصته الرقيعة!..

ـ يمكن لبست طاقية الاخفا يا حجازى!..

.. سيعثر عليها حتى لو اضطر لتفتيش طوابق العمارة العشرة!

أحضروا له البواب.. وقدم لهم تقريرا وافيا عن الشقق المفروشة وطاف بها مع الصول حجازى.. لم يجدوا ضالتهم حتى بقيت شقة واحدة كانت مغلقة..

ـ صاحبها يأتى يومين فى الأسبوع ويقضى بها ساعة أو ساعتين ثم ينصرف..

ـ بمن يلتقى؟..

ـ أنا لا أتبع كل واحدة تدخل العمارة يا باشا..

.. الشقة المضبوطة فى القضية مؤجرة باسم «الخادمة» المشرفة على الإدارة .. والخادمة إحدى فتيات «غزلان»... يعرفها سيد جيدا.. ويعرف كيف يتعامل معها.. كانت لا تتحمل فى يده «غلوة» ولكنها أبدا لم تعترف بأى صلة تربطها بحماده. وتقسم بكل ما تحفظه من

«إيمان» بأنها لا تعـرفه.. لا هو.. ولا «المدام».. هى تعلم طبعا أنـهما من أبناء «الكار» ولكنها تعمل لحسابها ولا تتبعهما!.
هذه المرة كان الضغط ساحقا.. هددها سيد ـ وقد واتاه إلهام شيطانى مفـاجىء ـ بأنها ستـلبس قضيـة البنت قتيلـة المصعد لأن التـحريات أثبتت أنهـا كانت من فـتياتهـا وأنها تشاجـرت معهـا قبل اكتـشاف الجريمة بيومين.. «لطمت» المرأة كلا صدغـيها وأعولت ككلبة تلقت رفسة فى بطنها.. وراحت تجأر صارخة بأنها بريئة..
.. كان الـفجر قـد شقـشق.. وبشائر الصـبح تحمـر فى الأفق.. حين بدأت تنهار وتغرد..
ـ شيـرين ربيع لا تدخل شـقتى.. وإلا ذبحنى حـماده غـزلان.. هى تأتى فى السـر وحدهـا لشقـة القنفـذ!!.. رفق خصـوصى من وراء الكل.. وإن كان البـعض يتهـامسون بأنهـا زوجته وقـد كتب عليـها «عرفى» يأتى لهـا مرتين فى الأسبـوع.. وتنصرف من المدخل الخلفى بعد ساعة..

مـرثـيـة الـعـمـر الـضـائـع:

.. إجلال عبدالفـتاح الشيمى ليست هفية.. ولحـمها مر لا يؤكل.. ـ الله فى سـمـاه لو كنتم حتى مـن مخـابرات الأمـريكان أو كنتم من الجن! أى مباحث يا «عمر»؟
.. إذا أردت أن تصـفى حـسـابك مع ابـن خـضـرة شناوية فـاذهب وامسح به الأسـفلت.. وإذا احبيـت فافعـصه تحت قدمـيك.. وابعد عنى وعن أولادى.. ومـن يحـاول منـكم أن يمس شـعــرة من رأس احدهما فسيكون أجله على يدى..

.. كان جسدها يرتجف كما لو كان موصلا بتيار قوته خمسمائة فولت.. وتشعث شعرها وحده دون أن يمسه مخلوق.. ودارت عيناها فى محجريهما لا تستقران.. وأيقن سيد فعلا أن المرأة يمكن أن تقتل فى هذه اللحظة أى مخلوق أمامها..

ـ اهدئى يا إجلال.. وحاولى أن تتقبلى الأمر بالعقل.. وإلا فضحتى نفسك وتفرج عليك جيرانك.. بنتك شيرين تعرف «محسن العرايشى» وتذهب إلى إحدى شققه مرتين فى الأسبوع.. الأحد.. والأربعاء.. من الثامنة إلى التاسعة..

.. عمر سيد فى ممارسته لمهنته ما قبل أن يتجاوز كائن من كان حدوده معه.. خصوصا تلك النفايات البشرية المرذولة.. وكان رد فعله يسبق بسرعة البرق أى محاولة حتى للاعتذار والتراجع.. ولكنه هذه المرة تملكته حالة من البلادة والسكينة وهو يسمع ويرى ألفاظ السباب وحالة الهستيريا التى حولت «إجلال» إلى صورة مجسمة لما يقال عن غضب اللبؤة وشراستها فى الدفاع عن جرائها..

اكتفى فقط بالانسحاب.. وأغلق الباب خلفه..

... على ركبتيها جثت إجلال وقد أحاطت بطنها بذراعيها كمن يمزق الألم أحشاءها وراحت تعوى كذئبة جريحة..

ـ يا ولاد الكلب.. يا ولاد الكلب...

... كانت تؤمن يقينا بأن سيد العجاتى هذا ضابط ابن حرام تدفعه خصومته لحماده والثأر البايت له عنده إلى الانتقام من أولاده..

... على صوت عويلها أقبلت شيرين.. وركعت بجوارها.. سألتها فى جزع.. وانتفضت إجلال لتمسك بشعر ابنتها .. وتبرك فوقها.. ماذا تعرفين عن شقة سبعة وأربعين.. عمارة خمسة وستين شارع الموصل؟..

تجمدت كل قطرة لـتصبح ندفة ثلج.. وتحول الدمع المخـتلط بالعرق النازف إلى وخـزات «حـقن» تمزق الجـلد.. حـتى تقلصـات المعـدة انفجرت فى قيىء خالطته خيوط الدم.. وانبسطت لا إراديا عضلات المثانة.. فاندفع البول ساخنا بين ساقيها..

باكية مولولة جرت شيرين لتحضر الورقة...

.. ورقة البراءة سلامة العفة يا إجلال..البنت لم تنحرف ولم يستطع أحد أن يضـحك عليهـا أو يجرها للمـشى البطال.. فقـد فعلت كل شىء بورقه..

.. وضعت إجلال الورقة على رأسها وراحت تتمايل راقصة .. ومن جـوفهـا خرجت على لسـانها تلك الـترنيـمات القـديمة.. التى طالما سمعتها من «أم أحمد» المعددة...

.. قالوا لى راحت وردة.. وجت شاردة.. قلت يا حزنى..

.. بالنيلة كان كحلها.. ولون الدم فى المنديل.. يشبه فلاح عرسى..

.. منذ الخـيبة الأولى يا إجـلال.. وكل لياليكـى أخيب ليالـى!.. حتى الحلم خاب رغم كل ما بنيته حـوله من جدران الحماية.. ورغم سنينك التى ضـاعت لتبـعـدى الولد والبنت عن طريق ابن الشناوية!.. ليـتك فعلت كـالقطط وأكلتيهـما! لكنك مـرة منحوسة بنت كلب.. رمـيتى طوبة الرجل ولكنك لـم تستـغنى عن مـاله.. ظل يخيـم على حيـاتك وحياة أولادك بعباءة القرش.. وأنت تعرفين أن قرشه حرام فى حرام.

.. إجـلال الشـيـمى تقـتـرب من الجنون أمـسكت بمعـصم شـيـرين لتقودها.. حاولت الفتاة أن تتملص.. بكت وتوسلت وانهارت لكن يد الأم «مـاتت» على المعـصم.. جـرتهـا من الشـقـة إلى السلم إلى الشارع..ولم تفلتها حتى فى التاكسى..

*

ساعة القيالة وحماده قد استرخى على السرير فى برودة التكييف..
ونوسة تدلك ظهره بخفة لتساعده على النوم..
كان يحكى لها ضاحكا كيف استطاع أن يؤدب سيد العجاتى وكيف حصل على وعد مؤكد بأن هذا الضابط «الرمة» سيحال إلى الاستيداع فى أول حركة.. ويقسم حماده برحمة أمه الغالية الشناوية بأن الفصل والتشريد لن يشفيا غليله وأنه لن يستريح أو يقر له قرار إلا بعد أن يحسره فى قعر «بطنه» ويكسر «عينه»
عقدته امرأته شاهندة!.. ولابد أن يرانى معها.. تماما كأنها امرأتى أنا
.. حين ضربته نوسه فى صدره محتجة بترت ضحكته الخشنة على أصداء جرس الباب.. وغاضت كل الدماء فى جسمه حين رأى إجلال ترمى شيرين أمامه وتلقى بالورقة فوقها.. ثم تبصق فى وجهه.. وتعود أدراجها.. لا تلوى على شىء..

الرحيل فى قارب مثقوب:

.. فى الغسق اجتمعوا على مشارف المقبرة.. حيث دفنت نجوى بطريقة أقرب إلى العجلة والسرية.. لم يحضر أحد من أهلها.. أسر كمال هامسا للعميد عاطف.. سألوا شيخا فأفتاهم بأن المنتحر يموت كافرا ولا يجوز تشييعه ولا الصلاة عليه.. ولا يقبل فيه عزاء.
.. وحين جاء دور سيد ليصافحه معزيا.. أمسك كمال معصمه بيده الأخرى.. وسأله وعيناه محمرتان مغرورقتان..
ـ مازلنا أصحاب ياسيد!!..
ـ طبعا..
وفجأة دفن كمال رأسه فى كتفه واجهش باكيا..

فلتذهب إلى الجحيم بظنونك وشجونك المريضة! هذا أقرب أصدقائك إليك يا رجل.. لماذا تظن أنه يبالغ أو يمثل أو يحاول أن يكذب عليك؟.. القضية قيدت انتحارا وانتهت.. وصفحة نجوى طويت فى الهباء..

ـ محتاج لك ياسيد!

.. أهى استغاثة؟ أم دعوة للتعاطف؟.. عينا كمال تشيران إلى انهيار وشيك.. ربما كان حزنا عاصفا لا يحتمله. أو لعله نوع من التداعى تحت وطأة مشاعر الذنب..

قال عمر الجندى فى مكالمته ا لقصيرة قبل سفره: كل شكوكك فى محلها!!.. لابد أنه يقصد ما اتهمت به كمال عن معرفته بكل ما كانت نجوى تفعله.. أما ظلال الجانب الآخر من الشك فهى أبعد ما تكون عن ذهن واضح مستقيم..

ذهنك أنت هو المريض.. أصيب من زمن بعيد بفيروس الشك!.. هل لأن عقمك البيولوجى تحول إلى عقم نفسى أعجزك عن الحب فلم تعد ترى غير النقص والتشوه؟

.. ركبا جنبا إلى جنب ولفهما الصمت طوال الطريق..

كانا فى سيارة واحدة مع ا لعميد خلف الله.. الذى أراد أن يقطع الصمت فطفق يتحدث عن قضية الأمس..

وبينما شاركه كمال.. ظل سيد بعيدا.. يفكر فى آخر الانفاق التى يجب أن يعبرها حتى يصل إلى المساحات المكشوفة.. لم تعد الكلمة تخيفه فقد ألف هواجسها وأشباحها لكنها فقط تعوقه.. تبعده عن نقطة انتهاء السبق والتقاط الأنفاس..

بعد أن افاق من غيبوبة النوم عند الظهيرة قالت له أمه أشياء كثيرة لم

يلتقط منها غير عبارات مبهمة عن حياته المبعثرة التى تحتاج لإعادة ترتيبها من جديد..

ـ مازلت فى شرخ الشباب لكن الشيخوخة تطل من عينيك...

وعلى مرآة الحوض فى الحمام القديم راح يتفحص الشعرات البيض فى فوديه!.. أليست مبكرة بعض الشىء؟.. يقولون أن الشيب وراثة.. ولكن رأس الاستاذ راشد مازالت فاحمة السواد رغم الأعوام الخمسة والستين.. ولو .. قوانين الوراثة شديدة التعقيد ففيها السائد والمتنحى والطفرة. كما أن الصفات البيولوجية فقط هى التى تورث.. فشتان بين طباعك ياسيد وطباع الوالد أو الوالدة.. وفى المثل يقولون يخلق من ضهر العالم فاسد ومن ضهر الفاسد عالم.. والحكمة الشعبية أصدق من أى قانون.. ولكن .. البنت شيرين أفسدها المناخ وليست الوراثة..

ـ أنزلونى هنا.. لدى مهام منزليه لابد أن أؤديها..

وألح عليه كمال.. «لابد أن أراك الليلة!».. وعده ثم ترك السيارة وقد استقر عزمه على المضى قدما داخل النفق!..

.. واضعا رأسه المنسحقة بين كفيه.. غارسا نظره فى رسوم السجادة الكاشان .. أنصت أحمد ربيع عبدالحى الشهير بحماده غزلان إلى رواية ابنته شيرين..

.. بنت النكد وفراش الشؤم تقول أنها تحب القنفذ.. تسلل من وراء ظهرك ليعبث فى عرضك وفى شيرين بالذات.. «يارب كم أحببت هذه البنت.. وكم من أحلام غزلتها فى سواد ليلى وبياض نهارى من أجلها.. وكم تحملت من سلاطة لسان أمها ورذالتها لأنى تصورت أنها أكثر منى قدرة على حمايتها.. خشيت عليها من «كارى» ومن

مقالب القمامة التى أعيش فيها وظننت أن بعدها عنى سيجعلها أنظف وأطهر ثم يتسلل ابن الحرام الذى أكل عيشك وملحك *وخانك وخاواك كالكلب ليعقر البنت..*

.. تقول شيرين وهى تبكى ان محسن أقسم لها أن أباها وهبها له وطلب منه أن يعدها لحياة القصور ورغد النعمة وبلهنية النعيم.. وأن حماده اختفى من الصورة لأن أمها تكرهه وتمنعه من امتاع أولاده بما يرتع فيه..

ـ صدقته يا شيرين؟.. صدقته يا بنت الكلب؟..

هذه المرة كان حماده يلطم خديه بالشبشب الذى استله من قدميه..

تصرخ شيرين مرعوبة.. وتولول نوسة.

ـ حرام عليك نفسك ياحبيبى.. البنت والحمدلله فعلتها فى الحلال.. زواج على سنة الله ورسوله..

واستدار إليها وقد فقد السيطرة على نفسه.. وراح يضربها بوحشية.. بينما هبت شيرين وفرت هاربة من باب الشقة الذى تركته أمها مفتوحا..

.. نعم ياسيد ياعجاتى؟..

شرب القنفذ حليب السباع وهو يحدج الضابط «الرخم» بنظرات نارية ما فعله بحماده لن يستطيع أن يكرره معه فليس كل الطير يؤكل لحمه.. وحين رأى سيد يجلس ببروده المعتاد صمم أن يذبح له القطة من أولها..

ـ إذا كان حماده قد أوقفك عن العمل فأنا استطيع أن أسجنك..

ـ واضح أنك لم تذهب اليوم إلى خمسة وستين شارع الموصل!..

تشمع وجه العرايشى واغبرت سحنته! أحس كأن أحدا يسحبه من

قدميه على أرض زلقه.. ولكن.. هو قد سمع صباح اليوم أن شقة من شقق غزلان فى العمارة تعرضت «لكبسة» ضبطت فيها البنت «المديرة» «وبناتها».. وهذا هو بالقطع ما يعنيه «العجاتى» ويريد أن يجعل منه «شركا» لاصطياد أى غبار فى الهواء..

ـ ولماذا أذهب لشارع الموصل يا جناب الجنرال؟..

ـ لتنام مع بنت صديق عمرك وحبيبك الروح بالروح يارمة!

نهض سيد فجأة وصفعه على وجهه..

ـ هذه من أجل البنت التى أفسدتها.. وهذه من أجل أمها التى عضت بلاط الأرض لتبعدها عن الأوباش ولكن سمومكم كانت أقوى!

ظل يوالى ضربه حتى تورم لحم كفيه..

ـ اضربنى كمان ياسيد.. اضربنى ياباشا.. اضربنى يا حضرة الضابط..

ـ ولم لا أتركك لحبيبك.. لعله الآن فى الطريق..

.. خرج سيد.. تجمع عمال «المعرض» حول العرايشى.. وهتف صبيه «الخصوصى»

ـ ابطح نفسك عليه وبلغ مدير الأمن يا حبيبنا...

ومحسن ملتصق بالكرسى .. كانت سيول العرق تغمره وتثقل أوصاله.. ومعدته تتقلص فى وخزات مؤلمة.. وعيناه زائغتان تدوران بحثا عن وجه آخر فى لجة العرق..

.. أى نزوة ملعونة!.. أى نزغة شيطان!.. نسوان وبنات الدنيا أمامك ولا تتدلى «ريالتك» إلا على بنت غزلان؟.. حقا إنك لوسخ وابن أوساخ صحيح.. تعرف أن حمادة مهووس ببنته ويراها صورة

طبق الأصل من خالدة الذكر خضرة شناوية «كلما نظرت إليها يا محسن يا خويا رأيت المرحومة.. عيناها.. رسمة حنكها.. استدارة وجهها.. كلها هى..».. وتعرف أن شيرين وحدها هى التى أبقت إجلال الشيمى على ذمته وجعلته يغدق عليهم فى الصناديلى رغم ما تدعيه أمهم من بخله.. تعرف كل هذا وتسوقك نفسك الأمارة إلى البنت بالذات.. بإصبعك خوزقت نفسك وثقبت قاربك وحلت عليك لعنة الغباء الكونى..

.. من خلال الزجاج بدا الشارع بين البرجين يسبح فى أضواء النيون المنبعثة من المحلات المتناثرة.. الأخضر والأحمر يتناوبان الوميض.. وحماده يرفل فى الدشداشة البيضاء ويتقدم.. والمياه تتدفق من ثقب القارب.. حارة تكاد تغلى..

ليلة قتل المماليك:

رفض سيد ان يذهب لكمال فى منزله ودعاه أن يلحق به فى منزل السيدة زينب!.. صاح كمال يناديه من بير السلم «.. والله زمان» رد عليه من فوق الدرابزين بأنه سيلحق به حالا ودعاه فى عزومة مراكبية لشرب الشاى.. وقف كمال على الرصيف.. منذ سنوات لم يحضر للشارع الذى كان وجهته اليومية.. لم يتغير شىء.. محلات العصير والخردوات والمخبز وقهوة القرنفلى ومطعم فول وطعمية «البقلى»...فقط اختفى نادى الفيديو وحل محله نادى البلياردو وكافيتريا!..

ـ لماذا لم تصعد؟... أم ممدوح كانت تريد أن تعزيك!..

لم يجب كمال ولم ينتظر سيد إجابة.. سارا بلا اتفاق على خط

السير القديم.. عبور الميدان إلى شارع قدرى.. وطوال الشارع مرورا بالخضيرى وصولا إلى الخليفة.. ثم اجتياز الميدان الجديد مكان سجن مصر العمومى «قرة ميدان» إلى القلعة..
فى الساحة الجديدة.. بدت القلعة نظيفة ومضاءة.. تنبه كمال فجأة لحقيقة تسربت فى هدوء..
ـ ألم تلاحظ يا سيد أننا مشينا كل هذه المسافة بلا عناء؟..
ـ مازلنا شبابا إلى حد ما يا كمال!..
ـ لا شباب ولا كباب.. موجة الحر انكسرت!!
.. كيف لم تحسها يا سيد؟ الجو فعلا مختلف .. هذا المساء غير مساءات الأيام الستة الماضية.. بل إن هناك مايشبه فى ساحة القلعة.. نفثات دافئة ربما ولكنها تحرك الأنفاس بإمكانية واعدة للمسات حانية فى ساعات الليل القادمة... على الحافة الحجرية جلسا..
ـ أتذكر سرداب المماليك؟ زمان قيل لنا أن الأرواح التى حصدتها سيوف ا لوالى محمد على باشا تتجمع فى بعض الليالى لتصرخ وتعول وتطالب بالثأر..
بلهجة هجومية لا مبرر لها أجابه سيد.. ـ لعل الليلة إحدى هذه الليالى.. بضحكة خافتة مبتورة أنهى كمال الحدث حول المماليك..
وشرد فى الأفق وقد تغضن جبينه.. وخرج صوته هامسا كأنه زفرة ألم: هات ماعندك ياسيد!
جردت لهجته سيد من كل ما عكر صفو إحساسه بصديقه.. بل غمرته مشاعر حنو وإشفاق أدهشته وفاجأته.. «كان يحفز نفسه طوال ساعات ما بعد الجنازة للنفور من كمال بلا سبب واضح».. التفت إليه يتأمله..
وحاول أن تكون نبرة صوته متوائمة مع همسات كمال المحزونة..

ـ نجوى.. خلاص.. أصبحت فى عالم لا ظلم فيه ولا كذب.. والنيابة حفظت القضية.. وأغلقت لعبة الدومينو من أطرافها الأربعة!! ولن أسألك عن شىء فلست محققا.. أنا صديقك وأريد أن أنظر بداخلك. أراك.. أريد أن اقطع رأس الأفعوان وألتقط الجوهرة.. لى ولك يا كمال.. وأنت تعرف يقينا أن ما سوف تقوله لى الآن لن يعرفه إنسان غيرى..

جوف السرداب حالك الظلمة يخلق أشباحه على كل وجه.. تغمض عينيك فترى ألوانا تتقاطع فى السواد وتتشكل بتنويعات زخرفية لو طاردتها فلابد أن تصيبك بصداع يفلق رأسك.. **افتح** عينيك ولتكتفى بظلمة الليل..

ـ كنت أشك ياسيد .. وكنت أراوغ شكى.. **كنت أهرب من كارثة** «أن أعرف» ... أتدرك معنى أن «يعرف» الرجل **أمرا كهذا؟.. أن** يصبح ظهره للحائط ولاَ يرى ثقبا واحدا ينفذ منه النور.. **أن تكون** الكارثة هى «اليقين»..

أفضيت إليك بشكى وأنا أتمنى عليك أيا كان الذى ستعرفه أن تعود إلى مبرئا ساحتها وتقسم لى أنها أشرف امرأة فى الوجود وأن رجلا غيرى لم يمسس منها ولو بوصة.. نعم تمنيت أن تساعدنى ولو كذبا.. ويومها فوجئت بها تعود فى غير موعدها.. وبمجرد دخولها أغلقت على وعليها باب حجرة النوم وركعت أمامى باكية.. بللت دموعها اقدامى.. انحنت تقبلهما وهى تتوسل أن أغفر لها.. اعترفت يا سيد.. قطعت هى رأس الأفعوان وألقت بالجوهرة فى حجرى ولكنى لم أجرؤ على التقاطها. لم أستطع.. كنت مشلولا يا سيد!.. لم أفكر فيم أريد أن أفعله.. فكرت فقط فيما يجب أن أفعل..

وكأننى أمام قانون لابد أن أطبقه.. تحركت بلا حس.. بلا إرادة.. بلا أى قصد أعيه إلى الدرج المجاور لفراشى وأخرجت منه الطبنجة الميرى.. واستدرت إليها.. إنه القانون الذى غرس فينا وربما سرى إلينا فى نطفة الأجداد فى الأصلاب.. ورأت هى فى هدوئى وخلو تصرفى من أى علامة حيوية.. حتى ما انتظرته هى من غضب أو ثورة أو بركان ينفجر فيها ويوسعها ضربا وتمزيقا.. رأت أننى سأنفذ القانون.. مسحت دموعها.. وقالت أنها تعرف ما سأفعله وهى مستعدة له.. فقط تريد أن تلقى ربها طاهرة.. ستدخل الحمام وتخرج لتصلى وتتلو الشهادتين وتضع حياتها تحت تصرفى.. ووجدت فى طلبها إمهالا يتيح فرصة للخلاص من المأزق!.. والعيش والملح يا سيد أحسست بالفرحة فى بقعة غائرة من جوانحى.. وأشرق ذهنى بنور العقل.. أى قانون وأى عقاب؟.. بمجرد خروجها وانتهائها من صلاتها.. سألقى عليها يمين الطلاق وأغادر البيت إلى غير رجعة .. فقط سأشترط عليها التنازل عن حضانة شادى وشذى.. وتنفست الصعداء وجلست أنتظرها. ولكنها لم تمهلنى ياسيد.. فعلتها.. طبقت القانون بيدها!..

.. انكسرت ذروة الموجة..

وكانت الفكرة التى سيطرت على عقل سيد أن القاعدة فى حياة البشر هى التعاسة والاستثناء هو اختلاسات يسيرة ينتهبها الناس بالصدفة..

ـ لماذا صمت يا سيد؟.. ألا تصدقنى بعد؟..

آلمه اليأس المتوتر فى صوت كمال.. فانعطف نحوه ووضع يده على كتفه..

ـ أصدقك تماما يا كمال..
ثم أعـاد يده إلى جانبـه وبدا كمن يبـدأ طقسـا شعـائريا لاسـتـرضاء القوى الخفية.
أتهمني شقيقى نبيل كثـيرا بأننى استسلمت لمن قتلوا الإنسان داخلى وحولونى إلى آلة للقـهر والبطش! قال أننى فقـدت مشاعر الـرحمة والخوف ومـحبة الأخـوة البشرية.. وأن شـيئـا جوهريا فى ضمـيرى قدمات!.. أعرف أنه كان يستحـضر ذكريات ما لقيه من «زملائنا».. فى أمن الدولة إبان فـتـرة اعـتقـاله. ولـم اسـتطع أن أجـادله أو انكر اتهامـاته.. فهناك ثنائيـة تحكم عالـم البـشر منذ إنسان الـكهف وحتى اليـوم.. ظالـم ومظلوم. حاكـم ومـحكوم. قاهر ومـقـهـور.. ونحن لا نختار الطرف الذى ننتمى إليه.. الظروف تضعنا.. فأنا حين حصلت على الثـانوية العـامة كـان مـجمـوعى لا يؤهلنى لدخـول الطب أو الصيـدلة أو الاقتصـاد.. كليات القمـة كما يـسمونهـا.. كان بالكاد يسمح لى بدخول اخـتبارات الكليات العسكرية. وساعـدتنى لياقتى البدنية وتوصـية من لواء شرطة كان بالخدمة وقتـها وكان يمت بصلة قـرابة لأرملة خالى المـرحوم حـسنى. فـتم قبـولى.. لم أخـتر كليـة الشـرطة ولكنى قـبلتهـا بديلا.. لم أفكر وقـتـها فى عـلاقـة السلطة بالناس ولا أدركت ثنائية القـهر.. ربما صنعوا منى فى الكليـة.. كما صنعـوا منك.. ومن عمـر الجندى.. ومن مـئات آخـرين ذلك المسخ الآدمى الذى يتـحدث عنه نبـيل.. ولكن نبـيل لا يغلق الدائرة.. ولا يعى أن كل قاهر مقهور.. وها نحن كما ترى..
.. اكتشف سيد فى دهشة عـارمة أنه لم ينطق كلمة واحدة مما قال!.. فقـد أفاق على صـوت كمـال يستـحثه علـى الكلام.. «قل شيـئا يا

سيد.. فصمتك يربكنى».
قفز السؤال على لسانه دون أن يعنيه.
ـ سؤال أخير يا كمال.. البنت هنية.. الشغالة..
ـ آه .. قتيلة المصعد.. مالها؟
ـ كيف تصادف انها قريبة حماده غزلان؟ وكيف تلحق بمنزلك خادمة من طرف قواد؟
.. هز كمال كتفيه فى استهانة مهينة.. «ماذا بك يا سيد يا عجاتى؟.. تعرف أن ثلاثة أرباع المخدمين والمخدمات على صلة قوية بشبكات الدعارة.. وتعرف ان معظم الشغالات فى هذه المنطقة بالذات تابعات لعصابات الرقيق الأبيض توردهن للشقق المفروشة.. ماذا تتوقع أن أفعل حين احتاج إلى شغالة؟ أعمل لها كشف عيله أو بحث اجتماعى؟
لقد طلبت من أحد مخبرى الإدارة!.. وجاءنى بالبنت هنية.. وكان لها بطاقة شخصية باسم هنية حامد سلامة.. لم يقل لى أحد أنها قريبة المدعوق.. ولم أعرف صلتها به إلا منك أنت بعد أن أخبرك مجدى الصفتى».
طلع الفجر من خلف مآذن وقباب مسجد محمد على.. ولم يعد السرداب مظلما كما كان وخفتت صرخات المماليك المطالبة بالثأر والرحمة معا!
سرت فى الأعطاف لمسة برودة حانية.. تشربتها المسام العطشى التى يبست طوال أيام المنخفض..
ـ نلحق النوم قبل الشمس؟..
وافق كمال ولكنه توسل لسيد أن يحدد له موعدا مع عمه الشيخ سعد!..

رب القلوب:

.. يلقى الدكتور سعد العجاتى «درسه» عقب صلاة المغرب فى مسجد «الكوثر» حيث يتقاطر حوله معجبيه ومريدو حلقته العلمية بعد أن ذاع صيته ولقب بالداعية..

والمسجد حديث أنيق بنى على طراز المسجد الكبير فى «إسلام أباد».. فبدأ شكله مختلفا عن المعمار المعهود فى المساجد المصرية والذى يستوحى عمارة العصر المملوكى أو الفاطمى.. عشرات الثريات الكريستال تضىء صحنه وأروقته.. تتوسطها نجفة «أم» تحتها مباشرة يجلس ا لدكتور سعد على أريكة قارىء السورة..

استمهلها الرجل حتى انتهى من درسه واستأذن من رواد حلقته.. وانتحى بهما جانبا فى الصحن المكشوف عند الفسقية!.. بوجه حان لا تند عنه نأمة انفعال استمع سعد إلى اعترافات كمال المقتضبة.. وإذا انتهى منها.. تمتم سعد فى نبرة اقرب للحياد..

ـ المسكينة خسرت دنياها وآخرتها.. لكن رحمة الله واسعة.. وسبحانه يغفر لمن يشاء.. بادره سيد وهو يستحضر دلاله القديم عنده..

ـ عمى!.. كمال لم يجىء لك لتستمطرالرحمة والغفران لنجوى فى الآخرة هو فقط يريد رأى الدين فى تركة نجوى.. أموال ومجوهرات يشعر تجاهها بالحرج.. ولا يريد أن ينفق على أطفاله أو يورثهم مالا أتى عن ذلك الطريق!..

أطرق سعد برهة.. ثم راح يتمتم بآيات وأدعية لم يتبينا تفاصيلها.. ثم رفع رأسه ناظرا لكمال وأمسك بكلتا يديه..

ـ كل ما أتى من حرام فهوحرام.. وقد هدتك فطرتك إلى النفور من أموال اقتنتها تلك المرأة من حرام بين لا شك فيه..
ـ وماذا أفعل بها؟..
ـ أخرجها صدقة.. تبرع بها لغرض من أغراض الخير..
ونهض منهيا اللقاء وهو يسأل سيد عن أحوال الوالد والوالدة..
ـ أما زالا غاضبين من أجل سنية؟..
أجابه سيد بسؤال مقابل وهم يعبرون الصحن إلى خارج المسجد..
ـ أمازالت أبلة سنية «غاضبة»؟..
لم يرد العم.. وتعلل بأنه متعجل لموعد يريد أن ينتهى منه قبل صلاة العشاء جماعة.. حكى لكمال وهما فى طريق العودة ما سمعه عن زيجة عمه الجديدة..
«يقولون أنها كانت من رواد دروسه الحرة فى المسجد.. وأن لها أولادا من زواج سابق..» علق كمال.. من حقه أن يكون له أولاد يا سيد.
ـ لا أعتقد أنها مسألة الانجاب يا كمال.. فقد كان بإمكان زوجته الأولى أن تنجب بعد جراحة بسيطة كما أكد الأطباء..
وحملته الموجة إلى شطئان أخرى مقابلة...
من حق شاهندة أن تكون أما.. «.. والحب يا عالم؟.. ما له الحب يا سيد؟ إذا كانت تحبك فعلا لما رفعت فى وجهك راية الأمومة ولاكتفت بك عن كل أطفال العالم.. وعليك أن تواجه الحقيقة مهما بلغت مرارتها.. شاهندة فقدت حبها لك.. والحب إذا ضاع لا يمكن استعادته..
التفت إلى كمال وهاجمه بسؤال مباغت.. أما زلت تحب نجوى؟..

ـ أحب نجوى؟
ردد السؤال وقد شملته رعدة سرت كتيار كهربائى من رأسه إلى عموده الفقرى..
ـ أى نجوى فيهما يا سيد؟
أهناك اثنتان يا كمال يا شيحة؟ نظر إليه مدققا ولاحظ أنه كان جادا لا يمزح.. هم بأن يستوضحه ولكنه أدرك فجأة حقيقة ما يعنيه.. هناك نجوى التى أحبها وأمتلك مشاعرها وبادلته نفس الحب والامتلاك! وهناك نجوى أخرى لايحبها ولا يعرفها تلك التى ركعت أمامه وقبلت قدميه ثم دخلت الحمام وتناولت الأقراص وغاصت فى البانيو..
ـ فى رأيك يا سيد .. هل..
لم يكمل سؤاله.. واستحثه سيد .. رأيى فيم يا كمال؟..
ـ هل يمكن أن يكون القلب فى واد.. والجسد فى واد آخر..
.. يفكر كمال فى نجوى.. وتفكر أنت فى شاهندة.. «لنجوى أحبت كمال بكل جوارحها.. منحته قلبها كاملا دون أن تشرك فيه غيره.. ثم أعطت جسمها للغير بمقابل.. وشاهندة صانت جسدها ولم تفرط فى بوصة منه لغيرك.. ولكنها صارحتك بأن قلبها لم يعد ملكك»
ـ ملك من إذا؟..
هاجمه السؤال كصفعة مباغتة.. المسألة مسألة منطق.. إذا لم يكن ملكك فهو ملك غيرك!.. من يكون هذا الغير؟
.. أقعى على الأرض بجوار «الكنبة» التى جلست عليها الست أم ممدوح وأسند رأسه إلى ركبتها.. بينما راحت تمسح له شعره بأصابعها الطويلة.. كثيرا ما فكر فى أن أصابعها كانت تؤهلها لأن

تكون عازفة بيانو ماهرة.. شاهندة كانت أم الأم؟ .. الاثنتان لهما نفس الأصابع.. وتتشابهان ايضا فى سمات أخرى.. يقولون أن الرجل يبحث فى امرأته عن ملامح الأم.. لكن نبيل سخر من هذا الرأى وقال أنه بعض من دجل سيجموند فرويد.. ذلك البورجوازى اليهودى الذى ملأ أدمغة الناس بعقده هو.. وبعد أن حكى طويلا .. جاءه صوت الأم.. رخيما هادئا.. وكأنها تغنى..

ـ الطريق مسدود يا سيد.. فلا تعذب نفسك يا ضنايا.. وإذا خاب النصيب مرة.. فعلى الإنسان أن يجرب مرة أخرى..

غدا يا أمى أسافر إلى الإسكندرية.. وأنتهى من الأمر كله..

لحظتها رن جرس الهاتف..

ـ الرائد مجدى الصفتى.. من فضلك أريد أن أحدث المقدم سيد.. آلو.. سيادة المقدم . أردت فقط أن ابلغك فربما عن لك أن تحضر .. عندنا هنا مجزرة فى معرض محسن العرايشى..



[١٠] اليقظـــة..



.. برد الدم مع انكسار الموجة الحارة.. وحين عـاين خبراء الطب الشرعى والمعمل الجنائى الضـحايا والمكان.. كان الموت جـاثماً بلا جلال.. ملقـياً كحيوان نافق لا يأبه له أحد..

ــ قتـيلان.. صـبى غزلان.. وصـبى العرايشى.. كل منهـما بقـرت بطنه وخرجت أحـشاؤه ونزف حتى آخر قـطرة.. وأربعة جرحى غيـر غزلان والعرايشى.. شهود اللحظة اتفقت آراؤهم لتعطينا تصوراً عما حدث..

جاء أحمد ربيع مـتبوعاً بأربعة من «البودى جـاردز» أو القوادين الصغار ممن يعـملون فى شبكـته.. وإذ بدا عليـهم «الشر» فـقـد استنفـر محـسن العرايشى حـراسه وعـمال معـرضه.. بمجـرد اقتحـام غزلان للمـعرض اشتبك مع صديقه الصدوق فى مشادة تبادلا خلالها كل صنوف السب.. حتى قال العرايشى كلاماً قبيحاً فى حق المغفور لها «خضرة شناوية» يمس عرضها ومـواطن «العفة» فى جسدها.. ولحظتهـا بدأت المعركة (يلاحظ بواب البرج الأول وكان أسرع الجميع لحلبة «الفرجة» أن حمادة ومحسن لم يشـتـبكا مـعاً إلا باللـسان بينمـا تولى الأعـوان مـسـئوليـة الضـرب مستخدمين كل ما اتيح لهم من وسائل...

ـ وكيف جرحا إذاً؟..
ـ نال كل منهما بعض الضربات العشوائية من أعوان الخصم.. نقل الاثنان إلى مستشفى العجوزة.. حمادة يحتاج إلى جراحة «تربنة» لعظام يافوخه.. ومحسن مصاب بخلع فى الكتف وكسر فى الترقوة! ... هز سيد رأسه فى امتعاض وعدم رضا... (ليت كلا منهما قتل الآخر..)
زفر مجدى الصفتى بقوة.. وهو يهمس..
ـ فى الاستجواب المبدئى اتهمك الاثنان بأنك من بدأ المعركة وأشعلها.. وكل شهود المعركة يؤيدون أقوالهما.. لقد رأوك تدخل المعرض وتظل فيه حتى جاء غزلان ومعه أتباعه ... ولم يرك أحد تخرج...
وفى محاضر النيابة -والتى انتقلت للمستشفى فور ابلاغها بإمكانية استجواب المصابين- كرر الاثنان نفس الأقوال، وزادا عليها أن سيد العجاتى اقتحم منزل الأولاد فى شارع الصناديلى وجر شيرين ربيع من شعرها وأقلها بسيارته رغماً عنها واعتدى عليها بالضرب المبرح لتقول لأبيها أن محسن العرايشى يعاشرها معاشرة الأزواج فى الحرام!
... وفى وقت آخر أكدت شيرين أقوال حمادة ومحسن.. أما إجلال الشيمى فقد اختفت ولم تترك أثراً..
نوسة الزوجة الثانية لغزلان اكدت أيضا قصة الضرب المبرح والاعتراف.. وأكدت «مديرة» الشقة سبعة وأربعين في العمارة رقم خمسة وستين بشارع الموصل الأقوال التى أدلى بها البواب ونفى فيها تماما أن يكون قد رأى شيرين ربيع أو محسن العرايشى فى شقة لقائهما «الوهمى» الذى اخترعه «سيد باشا» ضابط الآداب..
ـ كلم «القحبة» تلهيك وتجيب ما فيها فيك!
هكذا قال سيد لنفسه.. ولكن ما قاله لنفسه ليس كافياً.. فهناك نسيج

عنكبوتى يتخلق حوله فى سرعة مذهلة.. والقضية التى بدأت بمعركة «بين البرجين».. تتحول إلى مساحات رخوة من الخطر المحلق فى الافق. عاطف خلف الله لم يضحك ساخراً هذه المرة.. بل واجهه عابساً مرهقاً.. ولم تكن فى نبرته أى لهجة شماتة.. (سيد يابنى.. هذه المرة لن تجديك أى «كوسة».. فالأصابع الخفية تلعب فى القضية من كل جانب.. واقبلها منى نصيحة.. خذها من قصيرها واطلب احالتك للاستيداع»..

.. الغثيان والسأم

.. وأمامها جلس مطأطىء الرأس.. (أحس يا أمى لأول مرة اننى مهزوم.. واننى أضعف كثيرا مما كنت أظن!.. فاشل أنا منذ بدايتى.. لم أنجح فى اختيار واحد.. لا الدراسة.. ولا العمل.. ولا الزواج.. ولا الحب.. نعم ولا الحب.. أنا لم أحب شاهنده بل اشتهيتها ومرضت بها.. تملكنى داء الامتلاك والاستحواذ.. رفضت أن يكون لها كيان «منفصل» منى ولو فى جزء من المللى فى جسدها أو قلبها أو حتى تفكيرها المكنون فى غياهب اللاوعى.. أردت المحال.. فأضعت الممكن!.. ماذا أكون إذاً غير صفر كبير؟)

.. لم تخرج الكلمات على اللسان.. فلم تصل إلى أذن «أم ممدوح».. ولكنها قرأتها فى هيئة هذا الجسم الماثل أمامها والذى كان قطعة من أحشائها.. قرأتها فى انتكاسة الرأس وتقوس الكتفين وتغضن الجبين وامتقاع اللون واسوداد ما حول العينين..

أحقاً لم تحبه كما يجب؟

قالت لها المرحومة حماتها -وكانت قد عمّرت حتى الثمانين- أعطيت قلبك كله لممدوح.. ودفنته معه فظلمت نبيل وسيد!.. فهل تراها فعلت

ذلك حقاً؟ .. كيف واتاها قلبها أن تطرد نبيل ثم لا تشعر بذلك الولع الذى يصيب الجدود والجدات بأحفادهم؟.. فلا تحن لأولاد نبيل.. بل تكاد تنساهم فى أغلب الأحيان!.. كيف تقبلت جوانحها إصابة آخر عنقودها بالعقم فلم تذرف من أجله دمعة؟..

الكل فى الأسرة يقولون عنها أنها.. «قوية»!.. فهل تعنى القوة «قساوة القلب»؟..

.. قال لها راشد ذات خلوة.. (قلبك أحن القلوب.. ولكنك لا تجيدين التعبير باللسان)

.. المسألة ليست مسألة «حنِّيه.. الحب هو السؤال!..

أدامت إليه النظر.. فأحست بدفق من مشاعر الإشفاق يطفر بالدموع من عينيها.. وفى هذه اللحظة تمنت أن تسأله ذلك السؤال القديم.. السؤال الذى أقصاها بعيدة عنه.. نافرة منه يتخشب جسدها حين يحتضنها أو يريح رأسه على حجرها.. (هل رأيت يا سيد؟)

... ماذا رأى سيد؟!..

لم يكن قد مضى على استشهاد ممدوح غير أيام قليلة.. جلست مع راشد فى حجرة النوم صامتين بعد أن تقرحت مسارات الدموع وجفت المنابع حتى تشققت.. جلسا يئنان بلا صوت.. متوحدان.. سدت أمامهما كل منافذ الأمل..

تلاصقت جبهة الأب بجبهة الأم.. ومعاً راحا يهمسان باسم الشهيد.. (لحظة الفقد هى لحظة الاحتياج.. والخوف من الوحدة! .. تشبثا كلٌ بالآخر.. فتناغم الجسدان بعد طول اغتراب.. واحتمى كل بالآخر.. اتحد فيه.. طأمنه من الوحدة والخوف..)

كانت عيناها فى مقابل الباب.. واللحظة الحميمة لم تكن مدبرة.. وكان

الباب مفتوحا إلى منتصفه.. وسيد يندفع داخلاً.. مجرد ثوان.. لم يبد على وجهه ساعتها أى تعبير عن التعرف.. التفت بوجهه يمنة ويسرة ثم قفل خارجاً.. وهو ينادى نبيل متظاهراً بالبحث عنه!.. ولولا أنه أغلق الباب معه حين خروجه لما تسرب أى شك إلى أعماقها.. فلماذا أغلقه؟.. هل كان هذا رد الفعل الطبيعى لأنه «رأى»؟

.. قال راشد محاولاً التهوين من الأمر.. (لا يمكن أن يكون قد رأى.. وحتى لو رأى؟.. انت أمه وأنا أبوه.. وهو بعد غلام أقرب للطفولة فلا تحملى نفسك مالا طاقة لك به..)

ولكن أم ممدوح عاشت بالسؤال رزحاً على صدرها.. (أكان هذا ما أبعد الفتى عن قلبها؟.. لا يمكن أن تكون قد كرهته.. فكيف تكره لحمها؟..)

رفع إليها رأسه بعد إطراقته الطويلة..

ــ الدنيا أصبحت بغيضة يا أمى..

أسرعت إلى احتضانه.. وأحست بأنفاسه على نحرها.. ولأول مرة لم يتخشب جسدها.. بل عاودها احساس المهد القديم بمتعة الإرضاع.. ولعل ثديها قد «حنّ» بالفعل..

ــ يا حبيب أمك يا سيد..

أبكته الجملة كما لم يبك طفلاً.. فهى لم تقلها إلا لممدوح.. كانت تستقبله بها حين قدومه فى أجازة من الجبهة.. «يا حبيب أمك ياممدوح».. وظلت تخاطبه بها دامعة العينين بعد استشهاده، وكلما تذكرت، وهى لم تنس.. «يا حبيب أمك ياممدوح».. لم تفه بها لغيره إلا اليوم..

هزها بكاء سيد.. اعتصر قلبها فبكت بدورها... وطلبت منه أن يصارحها..

.. وعيناه مغمضتان.. وأنفاسه تتوافق مع ضربات قلبها فتهدهدانه معاً..

ولم يدر إن كان يتكلم فى يقظة حقيقيـة أم يسمع نفسه فى المنام.. حدثها عن حمـادة غزلان ومـحسن العـرايشى واجلال الشـيمى وشيـرين ربيع والحمأة التى انغمس فيها ليتـعامل مع حثالة النفايات الآدمية.. عن رائحة «بيوت الدعارة» التى تغثيه وتسـئمه.. عن الغضب الذى يعصف به كلما رأى قواداً.. أو «معلمة».. أو «مديرة»..

روى لها حـديث شاهندة وهديـة «غزلان» وخطط «المدام» جمـيلة ذات الشفه الأرنبية.. سحبـته الأمواج إلى منطقة تملؤها الصخور والطحالب.. لم يستطع أن يفصل لحـظة الاختناق بأسفكسيا الغـرق عن لحظة الإغماء فى حضن الأم.. شـفتـاه لا تتحـركان ولكن الأم تسمع كـل شيء وتهز رأسها معقبة.. حتى غرام شاهندة برائحـة عرقه.. ومضاجعته لها مرتين.. على شاطيء وداخل البحر.. [أحقاً قلت هذا للست أم ممدوح؟...]

لم يصدقه نبيل ! قال له أنه تشوش واختلطت عليه الأمور..

ـ دعك مما قلته أو لم أقله.. فليس هذا مربط الفرس!..

.. تفرس فـيه نبيل مليـاً.. ثم خلع نظارته الطبية ومـسحها بعـد أن ضبب زجاجهـا بأنفاسه.. كـانت تلك عادته كلما أراد ألا يتسـرع فى الإجابة.. وأخيراً أعادها إلى أرنبة أنفه.

ـ إنها العلامات يا سيد.. أراقبك منذ فترة وأراها واضحة!..

.. أية علامات يا نبيل؟.. اعمل معروفـاً ولا تدخلنى فى متاهات تفسيرك «المادى الجدلى» لكل الأشياء..)

ـ روحك تحتج. تتـوق إلى الخلاص.. وسيظل هذا التـوق يعذبك إن لم تقدم..

ـ على أى شيء أقدم؟

ـ خطوة شجـاعة! .. أتعرف شجـاعة الفئـران يا سيد؟.. إنها القـفز من

السفينة حين توشك على الغرق.. وسفينتك مثقوبة يا أبا الأحناف.. فاقفز!..
ﷺ يضحك نبيل وهو يربت على كتفه فى ود حقيقى وكأنه أحس أخيراً بالرضا عن شقيقه.. ويذهب سيد إلى مجدى الصفتى!.. طلبته الست أم ممدوح عند نبيل وأبلغته أنه يريده على وجه السرعة..

البحث عن جريمة منسية

.. صنف آخر مختلف تماما ينتمى إلى فصيلة نادرة ربما كانت **النموذج** الأصلى لفكرة «رجل الأمن المحترف».. فمجدى.. **ذلك النحيل.. ذو** الملامح الدقيقة.. نادر الابتسام.. خفيض الصوت.. **لا يمت بصلة للنمط** العادى من ضباط الشرطة.. ربما كان **أقرب** لنمط «**الدبلوماسى» أو** «العالم» المنهمك فى معمل أبحاثه!.. وهو لا يقرب أساليب الاستجواب (العادَية) التى يمارسها الآخرون ويعتقدون أنها الوسيلة المثلى للتعامل مع السفلة والمجرمين.. وبدوره لم يكن يحظى بشعبية تذكر فى إدارته أو لدى رؤسائه.. رغم أنه لم يكن عدوانيا مثل سيد.. فقط.. كان يتسلح بهدوء «يفلق الحجر»..
.. بابتسامة يسيرة.. لا دهشة فيها.. واجه سيد..
ـ كأنك عرفت.. على مررت بالمستشفى؟..
خفق قلب سيد بشدة.. أنت الذى بحثت عنى يا صفتى!.. (طلبك فى الإدارة والمقدم كمال أعطانى نمرة البيت)..
ـ خيراً.. تبدْو منشرحاً.. هل هناك أخبار عن إجلال الشيمى!
ـ مازالت مفقودة.. ولم يبلغ أحد عن غيابها.. ولا يبدو أن هناك من يهتم غيرك!..

– تعرف يا حضرة الرائد.. هذه المسكينة أنظف من فى قضيتك..
– إجلال الشيمى لا صلة لـها بقضيتى يا حضرة المقـدم!.. ثم ان قضيتى قد انتهت..

.. أحداث المعرض حـقائقها واضحـة والنيابة ستكيف قرار الإحالة فـيها وفـقاً لما تراه.. العـقـدة كانت فـى قضـية.. «هـنية».. قـتـيلة المصعـد..! التحـريات والاستـجوابات وصلت كلهـا لطريق مسدود.. وأيقـنت انها ستقـيد فى النهاية «ضد مجـهول».. حتى صباح اليـوم طلب أحمد ربيع عبـدالحى الشهيـر بحمادة غـزلان أن يدلى بأقوال جـديدة تهم «العدالة» وأمام وكيل النيابة أفضى بالحقيقة كاملة.

(.. البنت ابنة ابن عـمى.. أرسلها لى من البلد وائتـمننى عليهـا.. ولأنها عرضى ولحمى الحقـتها بوظيفة مدبرة منزل لدى كمـال بيك شيحة.. من وراء ظهرى –وكعادته– تسلل المنجوس ابن الانجاس الذى انخدعت فيه دهراً.. مـحسن العـرايشى.. واستلم أذن المسكينة.. وعـدها بأن يجعلـها نجمة سينما.. وعرفها فى أحـد لياليه السوداء بمنتج سينمائى فعلاً.. البنت «لونه» يا حضرة الوكيل وطائشة وعـينها قابلة للزغللة.. فلم تكذب خبرا وطفشت من بيت كمال بيك.. ليتلقفها الوغد ويقدمها للمدام –جميلة– شـريكته.. وزبائن المدام كلـهم من الشواذ يا بيك هنـية ليـست قديسـة.. ولكن عندها كـرامة.. فى الليلـة النحس إياها أخذها الزبون فى شـقتـه.. «الفيلا بأعلى العمارة» وأقـسم أننى لم أره.. بل لم أعرف أنه موجود فى مصر!.. رفضت هنية أن يأتيها من الدبر.. وحين أصر وحاول أن يرغمها سبـته وصفـعته وهددته بأنهـا ستفـضحه.. جن جنونه وخنقـها.. وحين «فطست» بين يديه استغاث بالعرايشى..

.. كنا جالسين نتفـرج على التليفزيون.. والدنيا حر مـوت رغم انتصاف

الليل.. واضطر القنفذ لمصارحتى بالموقف.. كانت لنا مصالح مع الرجل صاحب البرجين.. فوافقت على أن أبلع لسانى وأصمت ورحمة أمى فى نومتها لم أفعل سوى الصمت.. حتى اننى لم أتزحزح من جلستى أمام التليفزيون.. ذهب القنفذ وحده.. ولم أعرف ماذا فعل مع القاتل والقتيلة.. حتى ظهر اليوم التالى حين فوجئنا بجثة المسكينة ملقاة فى المصعد..!!)

.. إذاً فقطعة العفن البشرى المسماة بحمادة غزلان قد انتقم لنفسه من العرايشى أم تراه ينتقم من القاتل؟ .. ولأى سبب؟

ــ وهل قبضتم على القاتل؟..

ــ هرب فى نفس اليوم ولم يعد بعدها..

ــ استصدروا أمراً دولياً ليحضره الانتربول!..

.. صعده مجدى بنظرة دهشة وكأنه يتساءل أولاً عن جدية ما يقول..

(..يحضره من أين يا سيد ياعجاتى؟.. تتظاهر بالسذاجة أم تراك أبله بالفعل؟.. يا حبيبى.. القضية انتهت من «الوجهة الفنية».. اكتشفنا مرتكبها.. والنيابة ستصدر قرار الاتهام.. مشفوعا بأمر القبض والإحضار.. وترفعهما إلى الجهات المسئولة فى الحكومة.. وما يحدث بعد ذلك ليس من شأنى ولا من شأنك...)

ــ ومحسن العرايشى؟.. ألم تستمع النيابة إلى أقواله؟

ــ واجهته بأقوال غزلان.. سبّه ولعن أباه فى كل كتاب.. ولكنه اعترف..

يبدو مجدى الصفتى متنعشاً راضياً عن نفسه.. وتلمع عيناه بذلك البريق الخاطف الذى يشبه ومضة البرق.. ليضىء ابتسامة لا تخلو من خبث..

ــ أنت لم تبحث عنى فقط لتخبرنى باعترافات غزلان!.. هات ما عندك يا صفتى..

ــ لا شيء يا سيادة المقدم!.. فقط.. الوغد يلح في طلبك!..
ــ أي وغد فيهم؟ .. قضيتك المنتهية مليئة بالأوغاد يا حضرة الرائد!
الابتسامة العريضة تقول ان مجدى لا يصدق السؤال.. فمن يجهل ان «وغدك» الملتصق بك كالحدبة هو أحمد ربيع عبدالحى؟
الضمادات الكثيفة تحيط برأسه كعمامة سلطان مملوكي! وتحجب جبهته المنسحقة وتلامس شعر حاجبيه الكثيف المشعث.. (من تعرضوا لنفس الجراحة يعانون بعدها من صداع رهيب.. أما هو فلم يشك من شيء ولم يطلب حتى قرص اسبرين).. همست الممرضة وهى تقرب الكرسى لسيد ليجلس..
ــ قد أموت يا سيد باشا!...
لم تكن اللهجة منتمية إلى تعبير ما بين مقصد قائلها.. فرد عليه سيد بجفاء مقرراً تلك الحقيقة الروتينية.. بأن كل الناس سيموتون.. فالموت عليهم حق..
ــ أريد أن ابرىء ذمتي وأخلص ضميرى..
في ظروف أخرى كان من الممكن أن تضحكه هذه العبارة كثيراً.. فكلام أحمد ربيع عن الذمة والضمير يشبه القفشة الحراقة فى «سطلة حشيش».. ولكن المزاج لم يكن مواتياً..
ــ نحضر لك شيخ الجامع ليسمع منك ويقرئك صيغة الاستغفار والتوبة!
اندفعت يد غزلان بسرعة لتمسك كالكلابة بمعصم سيد الذى هم بالنهوض!..
ــ أبوس رجل سعادتك!..
مال عليه سيد قليلاً.. (اترك يدى يا حيوان ولا تلمسها ثانية وإلا ألحقتك

فى لمح البصر بكبيرة قوادات الدنيا المحجومه الشناوية...)
تراخت أصابع أحمد ربيـع عن معصيم سيد.. ومرت فوق وجـهه سحابة صفـراء تركت من ظلهـا ابتسـامة أشـبه «بالتكشـيرة» (.. الله يـرحمـها ويسامح كـل من ظلمها!.. أنا لـن أرتاح ياباشا إلا إذا اعتـرفت لك بكل شيء ونفضت عن كاهلى حـملاً ثقيلاً لن أقوى بعد على تحمله.. أصبر علىّ لحظة ولن تندم.. المسـألة تتعلق بالسيـدة الفاضلة حـرمك.. شاهنده هانم)..
توترت كل نأمه فى جسد سيد! وكل شـعيرة دموية فى رأسه.. تحول فى أقل من ثانية إلى كـتلة متداخلة من الأعـصاب الدقيـقة القابلة للانفـجار والتلاشى فى الهواء.. بينما اتسعت على وجه أحـمد ربيع ابتسامة تصعد من خديه الهـضيمين مجـمدة ما تحت عـينيه وما حـولهما لتحـيلا بذلك البريق الذى يتلظى بالخبث والاستمتاع والتشفى..
ــ أعتـرف وليغفر الله لى.. أننى ارتكبت الفـاحشة معـها.. شكوكك في محلها يا باشا!
(.. هل كان سيد يتوقع شيئاً كهـذا فى خلفية وعيه البعيدة؟... وهل كان ينتظر من خنزير ألا يغـمس خطمـه فى القاذورات؟.. الأمـر إذاً لا يؤدى بالضـرورة إلى الانفعـال أو الثورة...) انحنى عليـه سيـد ليهمـس وكأنه يناجيه..
ــ تعرف يا بن خضـرة.. أنت الخاسر الضائع.. وما حـدث لشيرين بنتك أطار صوابك.. تريد فى عـقلك الباطن الشبيـه ببربخ المجارى أن تسـتفز سيد الـعجاتى ليضـربك أمام المرضين والأطباء وحـراسك من الشرطة لتستكمل انتقامك.. ولكن لا فائدة.. فذكـري حشر العصا فى مؤخرتك لن تبرحك.. وسيد العجاتى لن يتيح لك فرصة استفرازه..

اندفعت كل الدماء فى وجـه أحمد ربيع إلى شعيرات العـينين وتقصفت فإذا بهـما كأسين مـترعتـان بالدم.. وراح الوريد الوداجى ينبض متنفـخاً وكأنه دودة علق توشك علـى الانفجار بالدم.. كـان الجنون يلامس حبل الوريد.. والفحيح يخرج من حلقه متخللا صوته المذبوح..
ــ ورحمة أمي –وانت تعـرف غلاوتها– لقد اعتليت امـرأتك وملكتها.. وسأخبـرك بالأمارة!.. الشامة السـوداء فى الجانب الأيمن من البطن تحت ندبة عملية الأعور!..

.. الأمـطار لا تهـطل فـى أغسـطس

الصوت الرتـيب الخفيف المنـبعث من ضغط عـجلات القطار التـوربينى على «الفلنكات».. لم يستطع أن يطرد من أذنيه أصـوات الدقائق الأخيرة فى المستـشفى! عواء غـزلان المخنوق وصرخة الممـرضة وأقدام عسـاكر الشرطة الغليظة.. وعبـارات التحذير والمناشدة بينما تمتد أيد كثـيرة لتحرر عنق غزلان من أصابعه ثم ترفعه من تحت إبطه.
ــ دعـه يا باشا!.. سيـموت بين يديك وهو فـسل لا يسـتحق أن تسـأل فيه!.. اتركه ياحضرة الظابط!.. حذار ياسيد بك..
.. آخر الأصوات حين أفلحوا فى إبعاده.. عواء الخنزير يتحول إلى سعال يقـذف رذاذه الدامى على وجه الطبـيب.. ولهـاثه يتخلل الكلمـات التى يطلقها بغضب كلب معقور..
ــ شـامـة سوداء يـا حضـرة البـاشـا الحكمـدار.. على يمين السُّـره تحت العملية..
وتتناهى خلفه ضحكات غزلان الهازئة الموتورة..
... ماذا لو تركوك حتى إزهقت روحه؟..

.. المشكلة يا سيد ان أحمد ربيع عبدالحى محسوب على الهيئة البشرية..
ومهما بلغ من الانحطاط والسفالة فالقانون يعاقب على قتله بنفس المعيار
الذى يعاقب به من يقتل قديساً أو عالماً أو فيلسوفا!..
أسند رأسه إلى زجاج النافذة مواجهاً صورته المنعكسة فى عمق الظلمة
خارج القطار..
تأمل الجانب الذى تظهره أضواء العربة.. لم يكن أبداً من محبى تأمل
أنفسهم فى المرايا.. وظنه بنفسه لم يكن حسناً لدرجة ملاحظة وسامته..
(قالت له شاهندة فى أيام العسل الأولى.. انه يُعد من الرجال
«الحلوين».. لم يصدقها وعلق بأن القرد فى عين أمه...)
.. شاهندة!!
لم ترد على خاطره قبلاً بمثل هذا الهدوء.. رغم «أمارة» غزلان..
وغضبه عليه وشروعه فى قتله لم يكونا لأنه يصدق.. بل فقط لأنه
يرفض أن تكون سيرته أو سيرة امرأته مجالا للغو هذا الحقير.. ولكن..
.. الأمارة تبدو دامغة يا سيد!.. فالشامة موجودة وفى نفس المكان!
كيف يتأتى لغزلان أن يعرف عنها إلا أن يراها؟ وإذا لم يكن قد رآها..
فمن أخبره عنها؟.. كل الإجابات المحتملة تنتهى بطرق مسدودة..
لا بد أن أعرف!.. (تعرف ماذا وأنت فى طريقك لتطلق؟)
هتف بصوت أنكره على نفسه وتلفت ليتأكد من أن أحداً من الركاب قد
سمعه..
وتحسس جيب السروال الخلفى حيث وضع قسيمة الزواج..
فلننته من هذا الفصل التعس..
على رصيف المحطة.. فاجأته القطرات الدافئة.. واحدة فواحدة.. ثم
اثنتان فعشر.. حين خطا إلى الميدان كانت القطرات قد أصبحت وابلاً من

مطر حقيقى.. فى العشرين من أغسطس!.. تخيل وهو يلقى نفسه فى سيارة التاكسى أم ممدوح وهى ترنو للأمطار الصيفية من خلال النافذة وتعبس تتمتم بأدعية تلتمس الستر والنجاة..

ـ مطر الصيف نذير شؤم يا أولاد.. والسنة التى يمطر صيفها لا بد وأن تشهد موت عظيم أو كبير قبل انتهائها...

ناقشوا الأمر فى جلسة عائلية ذات أمسية صيفية بللها رذاذ خفيف.. أمن الاستاذ راشد على قول زوجته مؤكداً أن الدنيا أمطرت فى صيف السنة التى مات فيها سعد باشا زغلول... وقال الشيخ سعد انه سمع مرة من استاذ له فى الأزهر أن أمطاراً غزيرة نادرة قد هطلت فى صيف العام الذى توفى فيه الرسول عليه الصلاة والسلام.. أما نبيل فقد أكد انه يذكر جيداً أمطاراً نزلت فى أغسطس قبل موت عبدالناصر بشهر واحد ولكنه يرجع الأمر كله للصدفة.. وربما اعتسفت أموراً بلا توثيق لتأكيد صلة غير موجودة!

... في الطريق إلى مراقيا توقفت الأمطار.. وعلق سائق التاكسى..

ـ سحابة صيف وعدت يا باشا!

... رائحة البحر.. مع رائحة المطر التى تبخرت قطراته على أديم ليل صيفى بعد انتهاء موجة حر وحشية أطلق عليها رجال الأرصاد «منخفض الهند الموسمى»... مع رائحة الخضرة الطازجة فى الشجيرات التى غسلها المطر.. والمتناثرة فى الأحواض الملحقة ببعض «الفيللات» والشاليهات.. ونسمات خلصتها مياه السماء من بقايا شمس النهار... لم يخبرها أنه فى طريقه إليها.. ومع ذلك وجدها فى انتظاره..

ـ شىء ما فى داخلى أكد لى أنك ستجىء الليلة..

● بسخرية -لم تعرها التفاتا- أجابها:

ـ لعل قلبك هو الذى أخبرك..
.. سألها عن باقى أفراد الأسـرة.. فأخبرته بأن اختهـا سافرت إلى القاهرة صباح نفس اليوم لتودع خطيبها المسافر إلى أمريكا فى مهمة تتعلق بعمله لمدة شـهرين.. أمـا الأب والأم فهـما فى زيارة مـجاملة لمعـارف (هنا فى مراقيا) وسيصلان فى أى لحظة..
ـ لا أرى معك حقائب.. هل حجزت فى الفندق؟..
ـ كلا.. سأرجع إلى القاهرة الليلة!...
لم تسأله عن السبب ولم يتطوع هو بالتفسـير!.. عرضت عليه أن تقدم له شيئـاً من الثلاجة، فاعـتذر ولم تلح.. تبادلا كلمـات مبتسرة سـريعة عن حـفظ التحـقـيق فى وفاة نجـوى.. ثم سـاد صمت ثقـيل.. لم يبـد على شاهنده أى رغبة فى قطعه.. وكانت بنظراتهـا السريعة المتسائلة تخبره بأن الكرة فى ملعبه منذ أبلغته بقرارها فى القاهرة... وأن عليه هو أن يتكلم..
طلب منها أن يمـشيا دقـائق على البحر فلم تعـارضه.. ولكنهـا حرصت على الاحـتفـاظ بمسافـة بينهـما لا تتـيح أى تلامس جـسدى.. وتبـادلا الحديث دون أن ينظر أحدهـما للآخر.. قص عليها ما ذكره حمادة غزلان صباح اليوم.. وبعد لحظة أتاه صوتها بارداً.. خالياً من أى رد فعل...
ـ صدقته؟..
ـ ليـست المسـألة أن أصدقـه أو أكـذبه.. ولكن «الأمـارة» قاطعـة.. من يعرفها غيرك وغيرى؟..
... ساد الصمت لثوان.. وجاء الصوت بنفس النبرة..
ـ تعرفها أمى وشقيقتاى.. والجراح الذى استأصل الزائدة.. ومساعدوه..
وهم بأن يسـألها كـيف يتاح لـغزلان أن يعـرف من أحد هؤلاء ولكنهـا عاجلته..

ـ وتعرفها أيضاً.. مدام جميلة!!
قالتها وتوقفت عن مواصلة المشي..
(.. تريد بأي وسيلة أن تثبت خيانتي.. لأن هذا سيعطيك الفرصة للاستشهاد وإلقاء مسئولية فشلك على الزوجة الخائنة.. وأقول لك -وهذه هى المرة الأخيرة التى أتحدث فيها عن هذا الأمر.. ولعلها أيضا المرة الأخيرة التى أراك أو أحدثك فيها- ان أحداً لم يمسس جسدى غيرك.. حتى جميلة التى تنهشك عنها الآن شكوكك.. رأتنى فى حمام سيدات النادى وأنا أغير ملابسى وأرتدى المايوه.. وانت تعرفه.. فقد اشتريته لى بعد الحاح.. مايوه «حشمة» قطعة واحدة.. تبعتنى المرأة إلى الحمام.. وفتحت علىّ الباب الداخلى وأنا عارية تماما وظلت تأكلنى بعينيها حتى أفقت من المفاجأة ومسحت بها بلاط الحمام.. هذه هى حكاية أمارتك يا سيد باشا.. فهل لديك اتهام آخر تريد مناقشته لتتهرب من الطلاق؟..)
دون أن يجيبها.. مد يده إلى جيب السروال وأخرج قسيمة الزواج.. وقدمها لها..
ـ أحضرتها معى.. وسأفعل ما تريدين..
بحزن شديد أردف والليل يتكاثف داخله...
ـ أنا أصدقك يا شاهنده.. ولكنى تبادلت حواراً طويلاً مع كمال شيحه.. انتهينا فى آخره لنتيجة اعتقد فى صحتها.. لقد أحبته نجوى لدرجة العبادة.. ومع ذلك أعطت جسدها لغيره.. أما أنت فقد احتفظت بجسدك لى.. ولكنك صارحتنى بأن قلبك لم يعد معى..
ـ وهذا صحيح.. لم أكذب عليك!
ـ وما دام قلبك لم يعد لى.. فهو الآن لآخر؟!

... بعد لحظات تردد لم تطل.. نظرت إليه مباشرة لأول مرة..
ـ نعم! ولا تسـألنى من هو... لأننى لن أجيـبك!.. والآن.. هل تفى بوعدك وتطلق؟ أم ستركب رأسك ويتملكك شيطان العناد وتردد المقولة إياها بأنك لن تتركنى لأسعد معه على حساب تعاستك؟..
نظر إليها بدوره طويلاً.. وتذكر مـوكب جنازة نجوي التعس... لم يرد أن يناقش أو يحـتج... فـقد جـردته الظروف والمكتـوب والنصـيب من أى ذريعة للغضب أو حتي العتاب..
همس فقط بلهجة من يطلب رأى الآخر..
ـ تعرفين أن الخيانة الحقيقية هى خيانة القلب؟..
هزت كتفيها ولم تجب...
أشاح عنها باحثـاً بعينيه عن قمر المحاق... (**تبـحث عن المحال يا سهد... فلو رأيته لما كان فى المحاق...**)
ـ ارجعى إلى الشاليـه واطلبى من أبيكى أن يستدعى المأذون.. **أنت طالق** يا شاهنده!

... ...

تم الأمـر فى هدوء.. ولم تـؤد شـاهندة ذلك المشـهـد المـيلودرامى الذى أصبح من طقـوس الطلاق.. فلم تبك.. ولم تتمن له السعادة مـع غيرها حين يوفقه الله لمن يستحقها والتى ستكون أفضل منها ألف مرة..
فـقط أصـرت على أن تصـحبـه إلى مـوقف «السـوبر جـيت».. وهناك صافحتـه وقبلته فى خديه.. وناولها هو مفاتيـح الشقة.. (حين تفرغى من أخذ أشيائك.. اتركى لى المفاتيح مع البواب...)
... وطلع فجر الواحد والعشرين من أغـسطس على سيد راشد العجاتى نائماً بملابسه بجوار الست أم ممدوح وقد توسد ذراعها.. ومع أول شعاع

للشمس دخل من زجاج نافذة الخنصر الشرقية وانعكس على وجهه لمعت دمعة لم تجف بين الرموش..

المكتوب على الجبين

قفز عمر الجندى إلى جواره فى السيارة، كان قد وجده على باب المنزل... (ما الذى عاد بك سريعاً من مرسى مطروح)

ـ طلبنى كمال وقص علىَّ ما حدث فى الأيام الأخيرة.. كلمت خالى لأحاصر ردود الفعل فوجدته غاضباً رغم حبه لك.. وطلب منىِّ أن أنزل وآخذك إليه..

ابتسم سيد تلك الابتسامة التى استغرقت كل وجهه... (لماذا تبتسم هكذا؟)

ـ يقولون فى نشرة الأرصاد.. ان موجة حارة أخرى ستبدأ من الخميس القادم

ـ أهو منخفض الهند الموسمى أيضاً؟...

... لم يرد سيد وإن زادت ابتسامته عرضاً..

ـ إلى أين أنت ذاهب يا عرب؟.. ليس هذا طريق الوزارة...

ـ سنعرج على الإدارة أولاً فى مهمة سريعة لن تستغرق طويلاً..

... لم يهادنه عاطف خلف الله إلا يوماً واحداً عاد بعده إلى طبعه الأثير..

ـ وقعتك سوداء هذه المرة يا عجاتى.. والجميع قد وضعوا أصابعهم فى الشقوق..

ـ سلامة أصابع سعادتك من الحشرة فى أى ضيِّق... صباحك فل!..

... عمر سيد العجاتى ما قال قولاً مثل هذا.. ما الذى حدث فى الدنيا؟

... فرد سيد أمامه الورقة..

ـ شرفنا بتوقيعك..

ـ على أى شىء؟.. ما هذا؟.. طلب إحالة للاستيداع؟..

... ...

سأطير يا عمر!.. سأطير يا كمال!.. لن أنتظر موجة الخميس القادم..
سأغطس فى بحر المرسى.. خذنى معك يا جندى!

... وتوهج الرمل الدقيقى الأبيض تحت أشعة شمس شمالية.. سخنت السائل الأخضر المذاب فى البحر فنشع على الأفق..

ورائحة الخبز «الفينو» الفرنسى.. وطعم السجق بالبيض.. وانكسارة حر الظهيرة أمام نسمات زاحفة على شاطىء الغرام..

يغسل سيد العجاتى جبينه.. يطهره.. يمحو من عليه ما بقى من الحروف القديمة.. ويشرعه لريشة كل الأقدار المنتظرة.. صفحة تنتظر الكلمات..

ويبتسم حين يتذكر نبيل العجاتى وهو يريح نظارته الطبية على أرنبة أنفه..

ـ خطوة شجاعة!.. أتعرف شجاعة الفئران يا سيد؟ .. انها القفز من السفينة حين توشك على الغرق.. وسفينتك مثقوبة يا أبا الأحناف.. فاقفز..

... ابتسم لنفسه وهو يغمغم..

ـ قفزت يا بلبل.. ولكن لماذا شجاعة الفئران؟.. أليس الإنسان أفضل كثيرا من مجرد فأر؟..

وأغمض عينيه على حلم القيلولة.. ونسى السؤال.



المؤلف

أسامة أنور عكاشة

مولود فى ٧/٢٨ بطنطا...
موطن الأسرة فى كفر الشيخ حيث تلقى تعليمه حتى المرحلة
انوية.
التحق بكلية الآداب ـ جامعة عين شمس ـ قسم الدراسات
فسية والاجتماعية وتخرج منها ١٩٦٢.
كتب القصة القصيرة منذ بداية الستينيات ونشر فى مختلف
وريات الأدبية.
بدأ الكتابة للتليفزيون منذ عام ١٩٧٦.
متزوج وله أربعة ابناء.
كتب للتليفزيون مايقرب من ثلاثين مسلسلاً تليفزيونياً أهمها:
ـربية ـ ابواب المدينة ـ وقال البحر ـ الشهد والدموع ـ الحب
ئياء أخرى ـ رحلة السيد أبو العلا البشرى ـ الراية البيضاء ـ
ـفور النار ـ ضمير ابلة حكمت ـ ليالى الحلمية (خمسة اجزاء) ـ
وة ـ أرابيسك ـ امرأة من زمن الحب ـ زيزينيا ـ بالاضافة إلى
ـالى عشرين سهرة درامية!

ب صدرت للمؤلف :

- خارج الدنيا «مجموعة قصصية»
- مقاطع من أغنية قديمة «مجموعة قصصية»
- أحلام فى برج بابل «رواية»
- الناس اللى فى الثالث «مسرحية»
- ليالى الحلمية ـ الجزء الرابع «سيناريو»
- الاسكندرانى «سيناريو»
- أوراق مسافر «نثر فنى»
- همس البحر «نثر فنى»
- تباريح خريف «نثر فنى»







فيديو عرض وتسجيل
وفيديو عارض وإمكانية تسجيل

راديو كاسيت مع CD
وراديو كاسيت مزدوج

تليفزيونات وفيديوهات وراديو كاسيت دايو

لدى جميع فروع :

•شركة الأزياء الحديثة (بنزايون - عدس - ريفولى) •عمر أفندى •شركة الأزياء الراقية (الصالون - هانو - شيكوريل)

•الموزع الوحيد :

•شركة الأفق الجديد (محمود رمضان وشركاه) تليفون : ٤٠٢٨٤٩٤/ ٤٠١٧٨٩٢

شركة بنها للصناعات الإلكترونية

كاترون

التحرير : ٧ ميدان التحرير ت : ٠٢/ ٥٧٥٧٤١٣

رمسيس : عمارة رمسيس ت : ٠٢ ٥٧٥٢٧٨٦

الهرم : عمارات الضباط أرض المزرعة شارع شكرى ت : ٠٢/٥٨٤٧٠٦٢

جسر السويس : عمارة ٧ إسكان الضباط ش محمود أبو العيون ت : ٠٢/٢٤٦٥٨٩٩

سوق القاهرة الدولى : أرض المعارض بمدينة نصر - السوق التجارى ت : ٠٢/٤٠١٤٢٦٢

الإسكندرية : ٧٠٥ طريق الحرية لوران ت : ٠٣/٥٧٢٤٩٠٠

بنها : ١ ش الأشراف ت : ٠١٣/٢٢٣٨٣٦

دمنهور : خلف ستاد دمنهور الرياضى ت : ٠٤٥/٣٤٤٤٥٤

شركة الاعلانات الشرقية - مطابع دار «الجمهورية» للصحافة